من



جمهورية مصر العربية

وزارة الأوقاف

# موسوعة الخطب العصرية

## الجزء الثامن

إعداد

**الإدارة العامة للفتوى وبحوث الدعوة**

إشراف وتقديم

**أ.د/ محمد مختار جمعة**

**وزير الأوقاف**

**رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية**

**وعضو مجمع البحوث الإسلامية**

١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م



بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{إِنْ أُرِيدُ إلا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْـتُ وَمَـا تَوْفِيقِي إلا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}

(هود: ٨٨)



**بسم الله الرحمن الرحيم**

## مقـــــــدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين.

**وبعـــد:**

فيسرنا أن نقدم للسادة الأئمة والخطباء والمثقفين والمعنيين بالشأن الدعوي في مصر والعالم الجزء الثامن من موسوعة الخطب العصرية الذي أعدته الإدارة العامة للفتوى وبحوث الدعوة بوزارة الأوقاف تحت إشرافنا ومراجعتنا .

وقد تنوعت موضوعات هذا الجزء ما بين قضايا إيمانية وتربوية وأخلاقية ، تهدف إلى إيقاظ الضمائر وتهذيب الأخلاق، وقضايا اجتماعية تسهم في دعم وتقوية أواصر المودة والرحمة بين أبناء المجتمع، وتسهم في حفظ تماسكه وتلاحم نسيجه ، وأخرى تتصل بالمعاملات التي تعد جزءًا لا يتجزأ من السلوك القويم للمسلم، وقضايا وطنية تهدف إلى تقوية الانتماء الوطني والحفاظ على أمن الوطن واستقراره ، إضافة إلى ما لا غنى عنه من بعض خطب المناسبات .

ويتناول هذا الجزء العديد من القضايا العصرية ، منها : فقه بناء الدول ، وحماية الشأن العام والمصلحة العامة ، الآداب العامة وأثرها في رقي الأمم ، خطورة الشائعات وتزييف الوعي ، وغير ذلك من

الموضوعات المهمة التي تسهم في بناء الوعي ونشر الفكر الوسطي المستنير .

وقد آثرنا في هذه الخطب أن تكون في إطار سماحة الإسلام ووسطيته ، بعيدًا كل البعد عن جميع ألوان التشدد والغلو والإفراط أو التفريط، محققة لرسالة المسجد ، تجمع ولا تفرق ، وتهدف إلى تحقيق مصالح البلاد والعباد ، من منطلق أن شرع الله (عز وجل) قائم على مراعاة هذه المصالح ، فحيث تكون المصلحة فثمة شرع الله وبما يؤدي إلى تشكيل وعي ديني صحيح ورشيد ومستنير ، وحس وطني صادق ونبيل.

كما راعينا في إخراجها السهولة واليسر ، والبعد عن التقعر والتكلف، سائلين الله (عَزَّ وجَلَّ) أن يكتب لهذا العمل القبول ، وأن يكون زادًا علميًّا وفكريًّا ومعرفيًّا في مجال الثقافة الإسلامية الرصينة، وأن يكون إضافة متميزة للمكتبة الدعوية ، في إطار دور مصر الريادي في نشر الفكر الوسطي المستنير وترسيخ سماحة الإسلام ، وإبراز معالمه الحضارية للبشرية جمعاء .

والله من وراء القصد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

**أ.د/ محمد مختار جمعة مبروك**
**وزير الأوقاف**
**رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية**

# اغتنام مواسم الطاعات

الحمد لله رب العالمينَ ، القائلِ في كتابه الكريم : {سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الحديد:٢١]، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه ورسوله ، القائل : (إِنَّ لِرَبِّكُمْ عزَّ وجلَّ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ ، فَتَعَرَّضُوا لَهَا ، لَعَلَّ أَحَدَكُمْ أَنْ تُصِيبَهُ مِنْهَا نَفْحَةٌ لا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا) (المعجم الأوسط) ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليهِ وعلى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

**وبعـد :**

فمـن فضـل الله تعـالى وكرمـه علـى عبـاده أن جعـل لهـم مواسـم للخيرات ، تضاعف فيها الحسنات ، وتكثر فيها الخيرات ، وتتنوع فيها الطاعات ، ومن هذه الأيام أيام الحج ، حيث يجتمع فيها حجاج بيت الله الحرام في أطهر بقعة من الأرض ، عند بيته المحرم ، يتسابقون في الطاعات ، ويتنافسون في الخيرات ، ويلبون نداء أبيهم إبراهيم (عليه السلام) حيث يقول الحق سبحانه : {وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ}[الحج:٢٧] .

وفي هذه الأيام العشر الأول من ذي الحجة التي أقسم الله تعالى بها في كتابه تكريما لها ، وتعظيمًا لمكانتها ، وتنويهًا بشأنها ، وبيانا لفضلها، وإرشادًا لأهميتها ، قال سبحانه : {وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * والشفع

والوتر}[الفجر:١-٣]، وما عليه جمهور المفسرين أن الليالي العشر هنا هي عشر ذي الحجة ، حيث ورد عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أنه قال: (مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَن أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ) ؛ يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: (وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ) (سنن أبي داود) ، وقد أمر الله تعالى عباده بكثرة ذكره في هذه الأيام، فقال سبحانه: {وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ}[الحج: ٢٨].

وفي هذه الأيام يوم عرفة ، وهو يوم تُجاب فيه الدَّعوات ، وتُقال فيه العَثَرات، ويباهي اللهُ فيه الملائكة بأهل عرفات، وهو يومٌ أكمل الله فيه الدِّين، وأتم فيه النِّعمة، فعنْ عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) : أنَّ رجُلاً منَ اليهود قال له: يا أمير المؤمنين ، آية في كتابكم تقرؤونها ، لو علينا - معشرَ اليهود - نزلَتْ، لاتَّخذنا ذلك اليوم عيدًا، قال: أي آية؟ قال: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا}[المائدة:٣].

قَالَ عُمَرُ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) : " قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ، وَالمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ " (متفق عليه واللفظ عند البخاري) ، ففي هذا اليوم الأغر يغفر الله تعالى الذُّنوب ، ويعتق الرقاب منَ النار ، ويباهي بأهل الموقف ملائكته ، يقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : (مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا

مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمِ الْمَلَائِكَةَ فَيَقُولُ مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ) (صحيح مسلم).

ومن فضائل هذه الأيام أنها تحوي الأيام التي تؤدى فيها مناسك الحج ، من طواف وسعي ، ووقوف بعرفات ، ورمي الجمرات ، وحَلْق أو تقصير، وذبح الهَدْي ، وغير ذلك من المناسك .

وإذا كان الحاج ينعم بذلك كله ، فإن فضل الله في هذه الأيام يشمل أيضا غير الحاج ، الذي يغتنم هذه الأيام التي يضاعف فيها الله سبحانه الأجر للحاج ولغيره ، فحري بكل مسلم أن يغتنمها ، فهي أيام العمل والمسارعة إلى الخيرات ، فليحرص كل مسلم على اغتنامها، والاستفادة منها، فيمَا ينفعُهُ فِي دنياه وأخراه ، قال (صلى الله عليه وسلم): (اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ) (سنن النسائي) .

ورَحِمَ اللهُ شوقي إذ يقول في ديوانه :

دَقَّاتُ قَلْبِ الْمَـرْءِ قائلةٌ لهُ      إنَّ الحياةَ دقائقٌ وثوانِي

ومن ثمَّ فإنه ينبغي على العاقل أن يغتنم وقته، وأن يحرص على الاستفادة الكاملة منه فيما ينفعه في دينه وفي دنياه ، وفيما يعود على الأمة بالخير والسعادة والنماء ، حتَّى تتحقَّقَ لهُ السعادةُ فِي الدُّنيا والفوزُ فِي الآخرةِ وهي أيام الفوز والسعادة والفلاح ، فالسعيد من اغتنم هذه الأيام واستثمرها في طاعة الله ، وتقرب فيها إليه سبحانه بالأعمال الصالحة، عسى أن تصيبه نفحة من النفحات، فلا يشقى بعدها أبدًا، ومن

هذه الأعمال: الصلة ونبذ ما كان من شحناء أو بغضاء، ففي الحديث القدسي: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (أَنَا اللَّهُ، وَأَنَا الرَّحْمَنُ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا مِنَ اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ) (سنن الترمذي)، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): ( لَيْسَ الوَاصِلُ بالمُكَافِئِ، وَلكِنَّ الوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا)(صحيح البخاري).

ومن الأعمال الطيبة هذه الأيام المباركة الصيام، وخاصة في أيام العشر من ذي الحجة، فالصيام من أفضل الأعمال، وقد أضافه الله (عز وجل) إلى نفسه لعظم شأنه وعلو قدره، فقال سبحانه في الحديث القدسي (كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ) (صحيح البخاري)، وقال (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، بَعَّدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا) ( متفق عليه واللفظ عندالبخاري)، ومن ثمَّ فيسن للمسلم أن يصوم التسع من ذي الحجة، فصومها من الأعمال المحببة إلى الله تعالى ، وخاصة صيام يوم عرفة لغير الحاج: فقد خص النبي (صلى الله عليه وسلم) صيامه من بين أيام العشر، حيث قال (صلى الله عليه وسلم) : (صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ) (صحيح مسلم) .

كما يستحب للمسلم أن يكثر من التكبير والتحميد والتهليل والذكر، وأن يستشعر ذلك بقلبه ، ويظهر أثره في سلوكه ومعاملاته، قال (صلى الله عليه وسلم) : (مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعَمَلُ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ، فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ) (سنن ابن ماجه).

ومن الأعمال الطيبة في هذه الأيام : الإكثار من الصدقة، لإدخال الفرح والسرور على الفقراء والمحتاجين، وقد حث عليها الحق سبحانه في قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ}[البقرة: ٢٥٤]، وفي الحديث: (ما نقصت صدقة من مال) (صحيح مسلم)، ولا سيما في هذه الأيام التي تضاعف فيها الحسنات، فما أحوجنا إلى التكافل والتراحم، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ ؛ لاَ يَظْلِمُهُ، وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ) (متفق عليه واللفظ عند البخاري)، ومن صور التكافل المشروع بين المسلمين الأضحية، فهي شعيرةٌ من شعائر الله قال تعالى: {ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ}[الحج:٣٢]، وهي سنة من سنن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ينبغي الالتزام بها للمستطيع، فحين سئل (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ): يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذِهِ الْأَضَاحِيُّ؟ قَالَ: (سُنَّةُ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ) (سنن ابن ماجه)، وقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ يَوْمَ النَّحْرِ عَمَلًا أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ) مِنْ هِرَاقَةِ دَمٍ ، وَإِنَّهُ لَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأَظْلَافِهَا وَأَشْعَارِهَا ، وَإِنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنْ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ) بِمَكَانٍ ، قَبْلَ أَنْ يَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ ، فَطِيبُوا بِهَا نَفْسًا)( سنن ابن ماجه) ، فهي قربة يتقرب بها العبد إلى الله (عز وجل)، والله طيب لا يقبل إلا طيِّبًا.

**أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم**

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين .

**إخوة الإسلام**:

كما ينبغي للحاج الابتعاد عن كل ألوان التشدد والغلو ، فالحج قائم على التيسير ورفع الحرج، والإسلام في مظهره وجوهره هو دين الرحمة، واليسر، ومراعاة مصالح البلاد والعباد، قال تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}[البقرة:١٨٥]، وقال سبحانه: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}[الحج:٧٨]، وقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ : إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّه أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ) (سنن ابن ماجه)، وهذا ما أكده النبيّ (صلى الله عليه وسلم) عمليًّا حين رفض وأنكر كل أشكال التشدد في الحج ، ومن ذلك أنه (صلى الله عَلَيْهِ وَسلم) رأى شَيْخًا يُهَادَى – أي: يمشي متحاملًا – بَيْنَ ابْنَيْهِ، قَالَ: (مَا بالُ هَذا؟)، قالُوا: نَذَر أنْ يَمْشِي، قَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (إنَّ الله عَنْ تَعْذِيبِ هَذا نَفْسَهُ لَغَنِي، وأمَرَهُ أنْ يَرْكَبَ) (متفق عليه)، ومثله ما جاء عَنْ عُقْبَة بْنِ عَامِرٍ (رَضِي الله عَنهُ) قَالَ: نَذَرَتْ أُخْتِي أَنْ تَمْشِيَ إِلَى بَيْتِ اللهِ، وَأَمَرَتْنِي أَنْ أَسْتَفْتِيَ لَهَا النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم)، فَاسْتَفْتَيْتُهُ ، فَقَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (لِتَمْشِ وَلْتَرْكَبْ) (متفق عليه)، ومظاهر اليسر في الحج متنوعة، ومواقف النبي (صلى الله عليه وسلم) في ذلك أكثر من أن تحصى، فقد وَقَفَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ بِمِنًى لِلنَّاسِ يَسْأَلُونَهُ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ:

لَمْ أَشْعُرْ فَحَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَذْبَحَ، فَقَالَ: (اذْبَحْ، وَلاَ حَرَجَ)، فَجَاءَ آخَرُ، فَقَالَ: لَمْ أَشْعُرْ فَنَحَرْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ، قَالَ: ( ارْمِ وَلاَ حَرَجَ )، فَمَا سُئِلَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) عَنْ شَيْءٍ قُدِّمَ وَلاَ أُخِّرَ إِلاَّ قَالَ: (افْعَلْ، وَلاَ حَرَجَ) (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

ونؤكد على أن التيسير الذي نتحدث عنه ونسعى إليه هو التيسير المنضبط بضوابط الشرع ، المقرون بمدى القدرة والاستطاعة ، إذ ينبغي أن يحرص المستطيع على أداء العبادة على وجهها الأكمل والأفضل الذي يحقق أعلى درجات الفضل والثواب، ولا يتهاون فيها، فيفرغها من مضامينها التعبدية الأصيلة السامية ، فالمسلم يأخذ من الرخص ما يقتضيه واجب الوقت ، وظروف أداء الشعيرة ، وموجبات التيسير .

كما يجب على الحاج العمل على وحدة الصف ، ونبذ الفرقة، فالحجيج جميعا في هيئة واحدة ، يؤدون المناسك نفسها، يهللون ويكبرون، ويدعون إلها واحدًا سبحانه، فيجب عليهم جميعًا الاعتصام بحبل الله، والبعد عن كل ما يشرذم ويفرق ولا يجمع، فلا ينبغي أبدًا أن ترفع في الحج شعارات سياسية، ولا تعلو نعرات مذهبية ؛ وإنما الوحدة، والأخوة، والتآلف، والتواد، والتراحم، قال تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا}[آل عمران: ١٠٣]، وقال جل شأنه: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}[آل عمران:١٠٥].

اللهم إنا نسألك فِعْل الخيرات ، وتَرْك المنكرات ، واجعلنا من المخلصين.

* * *

# الدروس المستفادة من خطبة حجة الوداع

الحمد لله رب العالمينَ، القائلِ في كتابه الكريم: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا}[المائدة: ٣]، وأَشهدُ أنْ لاَ إلـهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه ورسوله، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ.

**وبعد**:

فلقد أرسل الله (عز وجل) رسوله (صلى الله عليه وسلم) بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويأخذ بنواصيهم من الضلالة إلى الهدى، ويسلك بهم سبل النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة، فدعا (صلى الله عليه وسلم) إلى القيم الفضلى ، والمُثل العليا، وبلَّغ رسالة ربه (عز وجل) على أكمل وجه، وأتم صورة ، فظل طوال حياته يرسخ للقيم الإنسانية بقوله ، وفعله ، وتقريره.

وعندما أذن الله (عز وجل) لنبيه (صلى الله عليه وسلم) بأداء الركن الخامس من أركان الإسلام وقف النبي (صلى الله عليه وسلم) بعرفات، عند الصخرات ، في أعظم تجمع بشري – في ذلك الوقت – يوضح مناسك الحج لأصحابه ، وللأمة من بعدهم ، ويرسخ للقيم الإنسانية والأخلاقية التي ظل يدعو إليها طوال حياته ، وهو يستشعر دنو أجله، وانتهاء عمره ، فاشتملت خطبته (صلى الله عليه وسلم) على كثير من الدروس العظيمة ، والعبر البليغة التي تعد منهج حياة للبشرية بأسرها .

ومن هذه الدروس: **ترسيخ مبدأ العدل والمساواة بين الناس جميعًا** ، قال نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ) [شعب الإيمان]، فقد جعل (صلى الله عليه وسلم) التقوى والعمل الصالح معيار التفاضل، امتثالًا لقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}[الحجرات: ٣] فالناس جميعًا سواسية في الحقوق والواجبات ، دون تمييز طبقي ، أو تعصب قبلي ، وهذا ما يقتضيه العدل الذي هو ميزان إقامة الحق، واعتدال الأمم ، قال سبحانه : {وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى}[الأنعام : ١٥٢] ، وقال تعالى: {وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ}[النساء : ٥٨]، وقال سبحانه: {وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى}[المائدة : ٨].

ومن هذه الدروس أيضًا: **حرمة الدماء والأموال والأعراض** ، فعن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ (رضي الله عنه) عَنْ أَبِيهِ، أنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) قَعَدَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَأَمْسَكَ إِنْسَانٌ بِخِطَامِهِ – أَوْ بِزِمَامِهِ– ثم قَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ: أَلَيْسَ بِذِي الْحِجَّةِ؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي

شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ) [صحيح البخاري] ، ففي هذا الموقف لفت النبي ( صلى الله عليه وسلم ) انتباه أصحابه، واستحضر أذهانهم بهذه الكلمات البليغة التي شملت هذا الأسلوب النبوي البديع الدال على عِظم حرمة الدماء، والأموال، والأعراض، وعصمتِها، وأنه لا يحل الاعتداءُ عليها بأيِّ نوع من أنواع الاعتداء، فالإسلام يدعو إلى الأمن والأمان، والسلم والسلام، ويريد للناس جميعًا أن يحيوا حياة مستقرة، بلا تمييز، ولا تفريق بين إنسان وإنسان آخر ، مهما كان جنسه، أو لونه، أو دينه، لأن الشريعة كفلت ذلك لكل إنسان، قال تعالى: {وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}[الأنعام: ١٥١] وجعل الله (عز وجل) قتل نفسٍ واحدة بغير حق كأنه قتلٌ للبشرية كلها، فقال تعالى: {مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأرض فَكَأَنَّمَا قَتَلَ الناس جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا}[المائدة: ٣٨] ، وتأكيدًا على حرمة الدماء، وتجريمًا للاعتداء عليها ، حذر (صلى الله عليه وسلم) تحذيرًا آخر في هذه الخطبة يتعلق بالدماء وحرمتها ، حيث قال (صلى الله عليه وسلم) : (لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ) [صحيح البخاري].

وكما حرَّم الإسلام الاعتداء على الأنفس حرم كذلك الاعتداء على الأموال بأي صورة من صور التعدي، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ}[النساء: ٢٩] وقال سبحانه: {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ

وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}[البقرة: ١٨٨] ، وحفاظًا على الأموال بوجه عام حرمت الشريعة الإسلامية السرقة ، ووضعت لها عقوبة رادعة ، حيث يقول سبحانه: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[المائدة: ٣٨] ، وحرمت كذلك اغتصاب الأراضي بأي شكل كان، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ طُوِّقَهُ اللّه إيَّاه يَوْم القِيامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ) [صحيح البخاري].

وكذلك حرم الإسلام الاعتداء على الأعراض ، أو النيل منها بأي وجه من الوجوه، لا فرق في هذا بين مسلم وغيره، قال تعالى محرمًا الزنا:{وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا}[الإسراء : ٣٢] ، كما حرم النبي (صلى الله عليه وسلم) قذف المحصنات، وعدّه من الكبائر، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ)، قيل: يا رسول الله، وما هنّ؟ قال: (... وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ..) [صحيح مسلم]، ونهى (صلى الله عليه وسلم) عن السباب والشتم بوجه عام، وسماه فسوقًا، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ) [صحيح البخاري].

ومن الدروس كذلك: **الدعوة إلى الوحدة والتحذير من الفرقة**، حيث قال (صلى الله عليه وسلم) في خطبته: (...إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يُعْبَدَ فِي بَلَدِكُمْ هَذَا آخِرَ الزَّمَانِ، وَقَدْ رَضِيَ مِنْكُمْ بِمُحَقَّرَاتِ الْأَعْمَالِ، فَاحْذَرُوهُ فِي دِينِكُمْ...) [المنتخب من مسند عبد بن حميد] فلنتحد،

ونعتصم بحبل الله جميعًا، استجابة لقوله (جل شأنه) : {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ}[آل عمران:١٠٣]، وقوله سبحانه:{وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ}[الأنفال: ٤٦] ، ولنعلم أن التشرذم والتفرق ليس من دين الله في شيء ، قال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ}[الأنعام: ١٥٩] ، فالإسلام يدعو إلى الوحدة، ويحرم النزاع والفرقة.

ومن الدروس: **وجوب التمسك بكتاب الله** (**عزّ وجلّ**) **وسنة رسوله** (**صلى الله عليه وسلم**)، حيث قال صلى الله عليه وسلم: (...وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَمْ تَضِلُّوا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابَ اللَّهِ، وَأَنْتُمْ مَسْئُولُونَ عَنِّي...) [سنن أبي داود] ، وكتاب الله (عزّ وجلّ) هو المعجزة الخالدة ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لا يتبدل ولا يتغير على مرّ الأعوام، وفوات الدهور ، قطع الله به وبسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم) الأهواء، وقضى بهما على الاختلاف ، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [النساء: ٥٩] والتمسك بالكتاب وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) علامة الإيمان، وبرهان التقوى، حيث يقول سبحانه: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}[النساء: ٦٥].

**أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم**

* * *

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

**إخوة الإسلام**:

لا شك أن خطبة حجة الوداع تُعد أول وثيقة وإعلان عالمي للحفاظ على حقوق الإنسان، لما اشتملت عليه من قيم إنسانية تحفظ للإنسان كرامته، وتحقق له أمنه وسلامته، ومن أهم الدروس المستفادة من خطبة حجة الوداع: **بيان قدر المرأة ومكانتها في الشريعة الإسلامية**، فقدْ أوصَى النبي (صلى الله عليه وسلم) بالمرأةِ تقديرًا لها، وبيانًا لمكانتِهَا، فالنساء شقائق الرجال ، والحقوق والواجبات متبادلة بينهما، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (أَلاَ إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا) [سنن الترمذي] ، ولقد أكرم الإسلام المرأة أمًّا وأختًا وبنتًا وزوجةً، وجعل لها من الحقوق ما يكفل سعادتها في الدارين، ويصونها، ويحافظ على كرامتها الإنسانية، وعندما سُئل النبي (صلى الله عليه وسلم): مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: (أُمُّكَ)، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: (ثُمَّ أُمُّكَ)، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: (ثُمَّ أُمُّكَ) ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: (ثُمَّ أَبُوكَ) [صحيح البخاري] وقال (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ، فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ، وَأَطْعَمَهُنَّ، وَسَقَاهُنَّ، وَكَسَاهُنَّ مِنْ جِدَتِهِ ، كُنَّ لَهُ حِجَابًا يوم القيامة مِنْ النَّارِ) [سنن ابن ماجه] وفي رواية : (مَنْ عَالَ ابْنَتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثَ بَنَاتٍ ، أَوْ أُخْتَيْنِ ، أَوْ ثَلَاثَ أَخَوَاتٍ ، حَتَّى يَبِنَّ ، أَوْ يَمُوتَ عَنْهُنَّ ، كُنْتُ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ ، وَأَشَارَ بِأُصْبُعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى) [مسند

الإمام أحمد] وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاَهُ ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا) [صحيح البخاري] ، فكلمة (خيرًا) الواردة في الحديث كلمة جامعة مانعة ، توحي بوجوب التخلق بأسمى معاني الرجولة حين يتعامل الرجال مع النساء .

فما أحوجنا جميعًا أن نطبق هذه القيم النبيلة التي جمعت الخير للبشرية كلها ، فقد جاءت بحق سبقًا في تاريخ البشرية ، حيث أرست قواعد حقوق الإنسان ، ورسمت المبادئ والقيم الأساسية الإنسانية والخلقية التي إن تدبرها الناس ، وعقلوها ، وعملوا بما فيها ، لكانت سببًا لسعادتهم في الدنيا والآخِرة.

ربنا تقبل منّا إنك أنت السميع العليم ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم .

* * *

# ماذا بعد الحج؟

الحمد لله رب العالمينَ، القائلِ في كتابه الكريم: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ}[فصلت: ٣٠ ] وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه ورسوله، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليهِ وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ.

**وبعد**:

فإن المتأمل والمتدبر لسنة الله (عز وجل) في خلقه يرى سرعة انقضاء الأيام والشهور والأعوام ، أيام تمرُّ وأعوام تكرُّ، وما الحياة الدنيا إلا أنفاس معدودة، وآجال محدودة، وفي ذلك عبر لمن نظر وتفكر واعتبر، يقول سبحانه: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا}[الفرقان:٦٢].

وإذا كان الحج المبرور يمحو الله تعالى به الذنوب، فيعود الحاج كيوم ولدته أمه، حيث يقول النبي (صلى الله عليه وسلم) :(مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ) [صحيح البخاري] فإن على العاقل أن يغتنم فضل الله تعالى عليه، فيقلع عن سائر المعاصي، ويقبل على ربه بقلب صاف وإخلاص كبير .

وينبغي للحاج أن يستشعر نعمة الله (عز وجل) عليه إذ وفقه لأداء هذه العبادة ، ويعلم أن ذلك يستوجب شكر المنعم (سبحانه وتعالى) بالمداومة على العمل الصالح ، فالطاعات ليس لها زمن معينٌ ، ولا مكان معين، بل إنها مستمرة دائمة بدوام حياة الإنسان وتحقق شروط تكليفه

بها ، وهذا ما كان يفعله النبي الكريم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فالمداومة على الطاعات والعبادات هو امتثال لقول الله تعالى:{وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}[الحِجر:٩٩]، وامتثال لقوله تعالى:{فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ *وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ}[الشرح:٧، ٨] أي : إذا انتهيت من عبادة وطاعة فتلبس بطاعة وعبادة أخرى قاصدًا بها وجه الله (عزّ وجلّ).

والمداومة على العمل الصالح من أحب الأعمال إلى الله (عز وجل) ودليل على حسن الخاتمة ، فعَنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) أَنَّهَا قَالَتْ : سُئِلَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: (أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ) [صحيح البخاري]، فهنيئًا لمن وفقه الله لطاعته، وأحسن عمله، وحسَّن خلقه، وسعى في قضاء حوائج الناس، وفرَّج عنهم كربهم، ونشر الخير في مجتمعه ووطنه.

وإذا كان المؤمن قد وفقه الله تعالى لأداء فريضة الحج، فليس ذلك نهاية الطاعات، بل إن لديه الكثير من الأعمال الصالحة التي يتقرب بها إلى الله (عز وجل)، كالإكثار من العبادات والنوافل ؛ من صلاة، وصيام، وسعي في مصالح العباد والبلاد، وكفالة الأيتام، وعيادة المرضى، وغير ذلك مما يرفع قدره، ويعلي منزلته عند الله تعالى، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (...وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ) [صحيح البخاري].

كما ينبغي للحاج أن يظهر أثر عبادته في **حسن خلقه وسماحته في معاملاته**، وهذا من علامات قبول الحج، فيخالق الناس بخلق حسن، ويعاملهم معاملة صالحة، ويتدارك ما كان منه من تقصير قبل الحج، ويظهر ذلك في سلوكه مع أهله من أب وأم وزوج وولد، ومن صلة للرحم، وغير ذلك من صنوف البر مع الناس جميعًا، قال تعالى: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} [البقرة:١٧٧].

فالحج لابد وأن يترك أثرًا أخلاقيًّا في سلوك الحاج ، فليس الحج طقوسًا جوفاء ، بل هو عبادة شُرِعت لترتقي بالإنسان ، وتسمو بأخلاقه، قال تعالى: {الْحَجُّ أَشْهُرٌ معْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ}[البقرة: ١٩٧]، وقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَنْ أَتَى هَذَا الْبَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ) [صحيح مسلم]، وقيل للحسن البصري (رحمه الله) : الحج المبرور جزاؤه الجنة؟ قال: آية ذلك أن يرجع زاهدًا في الدنيا، راغبا في الآخرة، و قيل له: جزاء الحج المغفرة؟ قال: آية ذلك أن يدع سيئ ما كان عليه من العمل[تفسير القرطبي].

فالعبادة إذا لم تؤثر في خُلُقِ الإنسان وتهذب سلوكَهُ فلا قيمة لها ولا ثمرة لها في الآخرة، يقول نبينا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ؟) قَالُوا: المُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، قَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (المُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ بِصَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ وَزَكَاتِهِ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا فَيَقْعُدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْتَصّ مَا عَلَيْهِ مِنَ الخَطَايَا أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ) [سنن الترمذي]، ولما سُئل (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا، وَصِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: (هِيَ فِي النَّارِ)، قَال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، وَصَلَاتِهَا، وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنَ الْأَقِطِ، وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: (هِيَ فِي الْجَنَّةِ) [مسند الإمام أحمد].

ومن الأمور التي يجب أن يحرص عليها العبد حسن الخاتمة، وحقيقتها: أن يُوفق الله (عزّ وجلّ) العبد قبل وفاته للابتعاد عما يغضبه سبحانه وتعالى، وييسر له سبل التوبة من الذنوب والمعاصي ، والإقبال على الطاعات وأعمال الخير ، ثم يكون موته بعد ذلك على هذه الحال الحسنة.

ولما كان الإنسان في الدنيا مرهونًا بعمله ، كان التوفيق للعمل الصالح علامة على حسن الخاتمة ،كما أخبرنا النبي (صلى الله عليه وسلم) حيث قال: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ) [صحيح ابن حبان]، وفي

رواية: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ كَالْوِعَاءِ، إِذَا طَابَ أَسْفَلُهُ طَابَ أَعْلَاهُ، وَإِذَا فَسَدَ أَسْفَلُهُ فَسَدَ أَعْلَاهُ) [سنن ابن ماجه] ؛ لذا يجب على كل إنسان أن يجتهد ليحسن خاتمته، وأن يستعد للقاء الله (عز وجل) بالعمل الصالح، كما وجهنا القرآن الكريم بقوله سبحانه: {فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}[الكهف: ١١٠]، فمن اتقى الله (عز وجل) وأطاع أوامره، وانتهى بنواهيه، وفقه الله تعالى للعمل الصالح ثم يقبضه عليه، كما بين النبي (صلى الله عليه وسلم) بقوله: (إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ)، فقيل كيف يستعمله يا رسول الله؟، قال: (يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ الْمَوْتِ) [سنن الترمذي]، وفي رواية: (إِذَا أَرَادَ الله بِعَبْدٍ خَيْرًا عَسلَهُ)، قِيلَ: وَمَا عَسلَهُ؟، قَالَ: (يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُ عَمَلًا صَالِحًا قَبْلَ مَوْتِهِ، ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ) [مسند الإمام أحمد]، فالعبرة في الأعمال بخواتيمها، فمن وفقه الله سبحانه وتعالى للطاعة والعبادة، وداوم على فعل الخير ختم له بحسن الخاتمة، وكان من السعداء الفائزين بالجنة، قال تعالى: {وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ}[هود: ١٠٨].

ومن الدروس المستفادة من الحج ، سواء للحاج أو لغير الحاج: التسليم المطلق لله (عز وجل) مع الأخذ بالأسباب ، وإيمان الإنسان بأن الأمر كله لله ، وأن ما قدره الله تعالى كائن لا محالة ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى:{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا} [الأحزاب:٣٦]، ويقول سبحانه: {مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا

مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [فاطر: ٢]، فالتسليم المطلق لله عز وجل من دلائل الإيمان، وثوابت الإسلام، ولكي يتحقق ذلك فلا بد وأن يُحْسِن الإنسان الظن بالله تعالى، فإذا ما رضي بقدر الله وسلَّم الأمر لله؛ فإنه ينعم بالرضا ويستشعر السكينة والأمان.

**أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم**

* * *

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

**إخوة الإسلام**:

لقد عاد الحاج من حجه بإذن ربه مغفورًا ذنبه ، مشكورًا سعيه، مأجورًا على عمله، فليحذر أشد الحذر من الانخداع بثناء الناس عليه، فليس الحج لقبا، ولا مفاخرة، لذا ينبغي على الحاج أن يكون **متواضعًا وَجِلا**، فالحج فريضة جليلة القدر، عظيمة الثواب، من أداها، وتحمل مشقتها، وجد لذتها في قلبه، وانعكس أثرها في حياته تواضعا لله تعالى، وتذللًا له وحده، فلا يداخل نفسه كبر، ولا ينازع طاعته عُجب، فما من طاعة يؤديها المؤمن بإخلاص وصدق نية إلا وتدفع به إلى طاعة أخرى، وعبادة أسمى، فلا يزال يرتقى من عبادة إلى عبادة ، ومن طاعة إلى طاعة، حتى يبلغ درجة الإحسان ، وهذا من علامات قبول الطاعة.

ولقد ذكر الحق سبحانه وتعالى أن أهل الإيمان الذين يسارعون في الخيرات يقفون مقام الخوف من عدم قبول العمل، والرجاء والطمع في

قبوله ونيل ثوابه، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ* أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ}[المؤمنون : ٥٧ - ٦١]، يقول ابن كثير (رحمه الله): " أَيْ هُمْ مَعَ إِحْسَانِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ وَعَمَلِهِمُ الصَّالِحِ مُشْفِقُونَ مِنَ اللَّهِ، خَائِفُونَ مِنْهُ، وَجِلُونَ مِنْ تبدل حالهم [تفسير ابن كثير]، وعَنْ أم المؤمنين عَائِشَةَ (رضي الله عنها)، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قول الله تعالى: {والَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ} [المؤمنون :٦٠] هُوَ الَّذِي يَسْرِقُ، وَيَزْنِي، وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ، وَهُوَ يَخَافُ اللَّهَ؟ قَالَ: (لَا يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ، يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يُصَلِّي، وَيَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُ، وَهُوَ يُخَافُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ) [مسند أحمد]

فالمؤمن لا يهتم بكثرة العبادات والنوافل بقدر ما يهتم بقبول العمل من عدمه، وبقدر ما ينعكس على حياته من هذه العبادات، ولقد أمر الله تعالى نبيه (صلى الله عليه وسلم) بالسعي والاجتهاد في الطاعة، فلا يستصغر عملا فيتركه، ولا يستكثر عملا فيعجبه، ولقد أخبر النبي (صلى الله عليه وسلم ) بأن العُجب من المهلكات ومحبطات الأعمال، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): (الْمُهْلِكَاتُ ثَلاثٌ: إِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ، وَشُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبِعٌ) [مسند البزار].

اللهم أعنا على ذكرك ، وشكرك ، وحسن عبادتك .

* * *

# الصحبة وأثرها في بناء الشخصية

الحمد لله رب العالمينَ، القائلِ في كتابه الكريم: {الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ}[الزخرف: ٦٧]، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه ورسوله ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليهِ وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ.

**وبعد**:

فإن الإنسان اجتماعي بفطرته ، يحيا في مجتمعه ، يتأثر به ويتفاعل معه، من خلال سماته الشخصية التي تختلف عن غيره ، فإن للمجالسة والمقارنة أثرها الواضح الفعال في فكر الإنسان وسلوكه ، وهي سبب في تحديد مصيره وسعادته في الدنيا والآخرة .

ولا خلاف أننا نحتاج إلى شخصية سوية تتسم بأسمى معاني الإنسانية، وأعلى درجات الوطنية، حتى يخرج لنا جيل يبني ولا يهدم ، يعمر ولا يخرب، يقدم مصلحة الوطن العامة على أية مصلحة أخرى .

وقد أمرت الشريعة الغراء بحسن بناء الشخصية ، لتكون شخصية واعية، تدرك المخاطر، وتحسن مواجهة أعباء الحياة، وتتقي الفتن والشبهات، قال تعالى:{وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً}[الأنفال: ٢٥].

كما وجهت الشريعة أيضا أن يكون الإنسان صاحب شخصية واثقة ، غير مترددة ، تعي الصواب النافع ، وتتبع الحق، ولا تخوض مع الخائضين، يقول النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً ؛ تَقُولُونَ:

إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا) [سنن الترمذي].

ولا شك أن من أهم الأمور التي لها أثرها البالغ في بناء شخصية الإنسان: الصحبة ، فإنّ المرء يتأثر بجليسه ويصطبغ بصبغته فكرًا ومعتقدًا وسلوكًا وعملا، وقد دلَّ على ذلك الشرع والعقل والتجربة والواقع والمشاهدة .

هذا وللصحبة الصالحة أهميتها البالغة في بناء شخصية سوية، نافعة لدينها، ووطنها، ومجتمعها، وهذا ما ربَّى عليه النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) صحابته الكرام ، وفي مقدمتهم سيدنا أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) الذي ضرب أروع المثل في حسن الصحبة والوفاء بحقها ، وذلك حين قال له أهل مكة : إن صاحبك يزعم أنه أُسري به الليلة إلى بيت المقدس، ثم عاد، فقال بثقة ويقين في صاحبه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : إن كان قال فقد صدق ؛ إني أصدّقه فيما هو أبعد من ذلك ، أصدِّقه في خبر السماء [دلائل النبوة للبيهقي].

وهذا ما كان عليه صحابة رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فيما بينهم، وهم خير قدوة للصحبة الصالحة الطيبة المبنية على المؤاخاة ، والإيثار ، والانتماء ، والوحدة ، والعمل الإيجابي النافع ، والتواد والتراحم، فعَن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى) [متفق عليه].

كما أن لصحبة الصالحين بركتها وفضلها في الدنيا والآخرة ، قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً، فُضُلًا يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ، قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا، عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ (عَزَّ وَجَلَّ)، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الْأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيُهَلِّلُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا، أَيْ رَبِّ، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ، هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ) [صحيح مسلم].

**ومن ثمرات الصحبة الصالحة** أنها سبب في حب الله (عز وجل) والفوز بالجنة ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا ، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ (عَزَّ وَجَلَّ)، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ) [صحيح مسلم].

**وكذلك تكون سببا للحشر معهم يوم القيامة** ، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: (وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟)، قَالَ: لاَ شَيْءَ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَقَالَ: (أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ)، قَالَ أَنَسٌ : فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ)، قَالَ أَنَسٌ : فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَأَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ ) [صحيح البخاري]

ولله در الإمام الشافعي حيث قال:

أُحِبُّ الصالِحينَ وَلَستُ مِنهُم    لَعَلّي أَن أَنالَ بِهِم شَفاعَة
وَأَكرَهُ مَن تِجارَتُهُ المَعاصي    وَلَو كُنّا سَواءً في البِضاعَة

**وكذلك من ثمرات صحبة الصالحين أنها تذكر بالله (عز وجل)**، وتثمر خيرًا في الدنيا والآخرة، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ جُلَسَائِنَا خَيْرٌ؟ قَالَ: (مَنْ ذَكَّرَكُمْ بِاللَّهِ رُؤْيَتُهُ، وَزَادَ فِي عِلْمِكُمْ مَنْطِقُهُ، وَذَكَّرَكُمْ بِالْآخِرَةِ عَمَلُهُ) [الزهد والرقائق لابن المبارك].

والصاحب الحق مرآة أخيه ، يحثه على الخير ، وينهاه عن الشر، ويحب له ما يحب لنفسه ، قال تعالى: {وَالْعَصْرِ * إِنّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}[سورة العصر كاملة]، وعن أنس (رضي الله عنه) عن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قال: (انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا)، قلنا : يا رسول الله ، نصرته مظلومًا، فكيف أنصره ظالمًا؟ قال: (تَكُفُّهُ عَنِ الظُّلْمِ ؛ فَذَاكَ نَصْرُكَ إِيَّاهُ) [صحيح

البخاري]، وهذا ما طبقه الصاحب الصالح الذي وجد صاحبه يحيد عن الحق، وينجرف عنه متبعًا للشيطان والهوى، فنصحه وبين له الحق، ووصاه بما ينبغي أن يفعله، وحذره من عواقب البعد عن الله (عز وجل)، قال سبحانه: {قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا * لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا * فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا * أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا * وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا}[الكهف: ٣٧ – ٤٢].

ولله در القائل:

إنَّ أخاكَ الحقَّ من كان مَعَكْ ... ومَنْ يضرُّ نفسَه لينفعَكْ

ومَنْ إذا ريبُ الزمانِ صَدَعكْ ... شتَّتَ فيه شَمْلَهُ لِيَجْمَعَكْ

وكما أن للصحبة الصالحة أثرها الطيب النافع في الدنيا والآخرة، فإن للصحبة السيئة أثرها في تكوين الشخصية السلبية، أو الهدامة، أو المنحرفة، ولذلك ضرره البالغ ومفاسده الوخيمة في الدنيا، وسوء العاقبة في الآخرة؛ فالصحبة السيئة تهدم القيم النبيلة، وتمحو الأخلاق الحسنة، وتفسد النشء والشباب، وتعطل مسيرة العمل، وتروج الشائعات وتنشر الضلال والفتن، فصاحب السوء يسعى لإضلال صاحبه بالعقائد الفاسدة، والأفكار الهدامة، ولقد ذكر القرآن الكريم لنا مشهدًا واضحًا للصاحب السوء، فقال سبحانه: {فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ *

قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ * يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ * أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ * قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ * فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ * قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ * وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ * أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ * إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ} [الصافات:٥٠ـ ٦١]، وقال سبحانه: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا}[الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩]، ولقد صور لنا النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) صاحب السوء بنافخ الكير، فقال (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً) [متفق عليه].

كما أن صحبة السوء تُعدُّ أداة هدم وظلم للنفس والغير ، وأخطرها من يحاول أن يجرك إلى طريق الجماعات الهدامة الضالة المنحرفة التي تدعو إلى التخريب والهدم والإفساد في الأرض ، ومن يحاول أن يجرك إلى طريق المخدرات أو الإدمان بقوله أو بسلوكه ، لأن هذا وذاك يأخذان المرء إلى طريق الهلاك والهاوية وإلى سخط الله (عز وجل) في الدنيا والآخرة .

**أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم**

* * *

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

**إخوة الإسلام**:

ينبغي علينا جميعًا الحذر من رفقة أهل السوء، وعدم مخالطتهم، حيث يقول سبحانه: {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا}[النساء: ١٤٠]، وقال سبحانه: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}[الأنعام: ٦٨]، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ) [سنن أبي داود]، ويَقُولُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ) [سنن أبي داود]، وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْن مَسْعُودٍ (رضي الله عنه) قال: اعْتَبِرُوا النَّاسَ بِأَخْدَانِهِمْ ، فَإِنَّ الْمَرْءَ لَا يُخَادِنُ إِلَّا مَنْ يُعْجِبُهُ (الإخوان لابن أبي الدنيا) ، ولله در القائل:

إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَصَاحِبْ خِيَارَهُم    وَلاَ تَصْحَبِ الأردى فتردى مَعَ الرَّدِي

عَنِ الْمَرْءِ لاَ تَسْأَلْ، وَسَلْ عَنْ قَرِينِه    فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارَنِ يَقْتَدِي

[ديوان طرفة بن العبد]

على أننا نؤكد أن بناء الشخصية من خلال تحقيق الصحبة الصالحة مسئولية مشتركة؛ ينبغي أن يتكاتف عليها المجتمع كله، وعلى الجميع

أن يدرك عظم هذه المسئولية ، قال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) [متفق عليه]، فينبغي الاهتمام المبكر بالتربية والحفاظ على النشء من خلال الأسرة والمدرسة والمسجد وسائر مؤسسات المجتمع التربوية والفكرية، والإعلامية ، وتضافر وتكامل الجهود لتحصين النشء والشباب من الفكر المتطرف والجماعات الخداعة الهدامة ، والعمل على تعزيز الانتماء الوطني، فرعاية أبنائنا وشبابنا ، ومشاركتهم في اختيار رفقتهم ، أمانة كبرى ، ومسؤوليةٌ عظمى ، قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا}[التحريم:٦]، وقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ اللَّهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاه ، أَحَفَظَ ، أَمْ ضَيَّع؟ حَتَّى يَسْأَلَ الرَّجُلَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ) [صحيح البخاري].

اللهم ارزقنا الصحبة الصالحة، وحقق لنا ثمرتها يا رب العالمين.

* * *

## مفهوم الهجرة بين الماضي والحاضر

الحمد لله رب العالمينَ، القائلِ في كتابه الكريم: {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[التوبة: ٤٠] وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه ورسوله، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليهِ وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ.

**وبعد**:

فعندما اشتد الأذى بأصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في مكة، أذن لهم النبي (صلى الله عليه وسلم) في السنة الخامسة من البعثة بالهجرة إلى الحبشة قائلًا لهم: (إِنَّ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ مَلِكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ فَالْحَقُوا بِبِلَادِهِ ، حَتَّى يَجْعَلَ اللهُ لَكُمْ فَرَجًا وَمَخْرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ) [السنن الكبرى للبيهقي] فخرج بعض الصحابة إليها، ونزلوا بأرضها، فأقاموا بِخَيْرِ دَارٍ ، وَفي خَيْرِ جوارٍ، وأمنوا عَلَى دِينهم ، وعبَدوا ربهم ، حتى بلغهم أن أهل مكة دخلوا في الإسلام فقرروا العودة مرة أخرى، ولما كان الأمر على غير ما سمعوا به ونالهم الأذى مرة أخرى ، أذن لهم النبي (صلى الله عليه وسلم) في الهجرة إلى الحبشة للمرة الثانية، وكان على رأس المهاجرين سيدنا جعفربن أبي طالب (رضي الله عنه).

ولما علمت قريش بأنهم في مأمن وعزة ومنعة في جوار هذا الملك العادل، أرادات أن تستردهم مرة أخرى ، فأرسلوا رسلهم إلى النجاشي

يطلبون منه أن يسلمهم إليه، فقالَ: لَا وَاللهِ لَا أُسْلِمُ قَوْمًا لَجَئُوا إِلَى بِلَادِي، وَاخْتَارُوا جِوَارِي عَلَى جِوَارِ غَيْرِي حَتَّى أَدْعُوَهُمْ واسمع منهم، ثم وقف جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (رضي الله عنه) ليرد على مزاعم قريش وافترائها، فقال: (أَيُّهَا الْمَلِكُ ، كُنَّا قَوْمًا نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَسْتَحِلُّ الْمَحَارِمَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ ، وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ ، حَتَّى بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا ، نَعْرِفُ نَسَبَهُ ، وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ ، وَعَفَافَهُ ، فَدَعَانَا إِلَى اللهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ ، وَالْكَفِّ عَنْ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ ، وَنَهَانَا عَنْ الْفَوَاحِشِ ، وَقَوْلِ الزُّورِ ، وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَأَمَرَنَا بِالصَلَاةِ ، وَالزَّكَاةِ ، وَالصِّيَامِ، وعَدَّدَ عَلَيْهِ سيدنا جعفر (رضي الله عنه) أُمُورَ الْإِسْلَامِ – ثم قال: فَصَدَّقْنَاهُ ، وَآمَنَّا بِهِ ، وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ، فَعَبَدْنَا اللهَ وَحْدَهُ ، فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا ، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا ، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا ، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا، فَعَذَّبُونَا ، وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا ، لِيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللهِ ، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنْ الْخَبَائِثِ ، فَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا وَشَقُّوا عَلَيْنَا ، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا ، خَرَجْنَا إِلَى بَلَدِكَ ، وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ ، وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ ، وَرَجَوْنَا أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ ، فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ؟، فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: نَعَمْ ، فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: اقْرَأْهُ عَلَيَّ ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ سورة مريم ، قَالَتْ : فَبَكَى النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ ،

وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَاللهِ إِنَّ هَذَا الْكَلامَ لَيَخْرُجُ مِنَ الْمِشْكَاةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا عِيسَى انْطَلِقَا ، فَوَ اللهِ لَا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْكُمْ أَبَدًا ) [مسند الإمام أحمد].

إن المتدبر بعين البصيرة في الهجرتين إلى الحبشة يدرك جيدا أن هجرة المسلمين الأوائل لم تكن هجرة من دار كفر إلى دار إيمان، لأن الأصل هو الدفاع عن الأوطان وعدم تركها لظالم أو معتدٍ، وإنما كانت هجرة من دار خوف إلى دار أمن، ذلك أن النجاشي ملك الحبشة لم يكن وقتها على دين الإسلام، ولكنه كان حاكما عادلا يأمن الناس في جواره على دينهم وأنفسهم وأموالهم، فالملك قد يدوم مع الكفر ولا يدوم مع الظلم، وقد جعل نبينا (صلى الله عليه وسلم) الإمام العادل في مكانة عالية، ومنزلة سامية يوم القيامة في مقدمة السبعة الذين يظلهم الله (عزّ وجلّ) في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، فبعدله ينصلح المجتمع كله، وبظلمه يفسد المجتمع.

ولما أذن الله (عز وجل) لنبيه (صلى الله عليه وسلم) بالهجرة إلى المدينة المنورة خرج (صلى الله عليه وسلم) مؤيدًا بنصر من الله (عز وجل)، لأن الهجرة كانت تحولًا إيجابيًّا لبناء الدولة، وتحقيق التعايش السلمي والمؤاخاة، وتحقيق وحدة الصف حتى يتمكن النبي (صلى الله عليه وسلم) من إبلاغ رسالة ربه (عز وجل) للعالمين، وفي ذلك يقول الحق سبحانه: {إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[التوبة : ٤٠ ].

وفي السنة الثامنة من الهجرة يفتح الله (عز وجل) لنبيه (صلى الله عليه وسلم) مكة المكرمة فتحًا مبينًا، ويدخل الناسُ في دين الله أفواجًا ويتحول مفهوم الهجرة من معناها المحدود الضيق إلى معان رحبة واسعة لا حدود لها تشمل جميع مناحي الحياة، فبعد فتح مكة انتهت الهجرة من دار إلى دار بعد ما كان الانتقال مطلبًا في وقت الضعف ، حيث يقول الحق سبحانه: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}[النساء: ٩٧] تغير حكم الهجرة بعد فتح مكة، بقوله (صلى الله عليه وسلم): (لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ) [صحيح البخاري].

وعندما أسلم صفوان بن أمية، قِيلَ له وَهُوَ بِأَعْلَى مَكَّةَ: إِنَّهُ لَا دِينَ لِمَنْ لَمْ يُهَاجِرْ، فَقَالَ: لَا أَصِلُ إِلَى بَيْتِي حَتَّى أَقْدُمَ الْمَدِينَةَ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَنَزَلَ عَلَى سيدنا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ (رضي الله عنه)، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَقَالَ: (مَا جَاءَ بِكَ يَا أَبَا وَهْبٍ؟)، قَالَ: قِيلَ: إِنَّهُ لَا دِينَ لِمَنْ لَمْ يُهَاجِرْ، فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (ارْجِعْ أَبَا وَهْبٍ إِلَى أَبَاطِحِ مَكَّةَ فَقَرُّوا عَلَى مِلَّتِكُمْ، فَقَدِ انْقَطَعَتِ الْهِجْرَةُ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ) [السنن الكبرى للبيهقي] ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ) [صحيح البخاري].

وإذا كان أمر الهجرة المكانية من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة قد انتهى بفتح مكة، فإن كل معاني الهجرة النبيلة لا زالت قائمة

وهي مما يجب علينا أن نحرص عليه ، فلقد أصل النبي (صلى الله عليه وسلم) أن الهجرة الحقيقة إنما هي تحول إيجابي نحو الأفضل والأحسن، كالتحول من البطالة والكسل إلى الجد والعمل والإتقان ، ومن الأثرة والأنانية والعصبية الجاهلية إلى الإيثار والإخاء الإنساني الصادق ، والإيمان بالتنوع، وحق الإنسان في الاختيار، وحرية المعتقد ، وعلاقات حسن الجوار ، والعمل على بناء الإنسان إيمانيًّا، وعلميًّا ، وفكريًّا، وسلوكيًّا ، وأخلاقيًّا ، واقتصاديًّا ، واجتماعيًّا بناءً سليمًا راسخًا ، يبني الدولة ويصنع الحضارات ، ويحقق صالح البشرية جمعاء ، ويحفظ كرامة الإنسان كإنسان .

إن الفهم الصحيح لمعنى الهجرة الحقيقة يقتضي أن الهجرة التي لا تنقطع على مر العصور هي التحول من الجهل إلى العلم، ومن الضلالة إلى الهدى ، ومن سيئ الأخلاق إلى صالحها، ومن الفساد إلى الصلاح والإصلاح، بما يسهم في بناء الحضارة وإعمار الكون، لأن ديننا دين البناء والتعمير للكون كله، قال تعالى: {هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا}[هود: ٦١] ، فأمتنا أمة عمل لا أمة كسل، أمة بناء لا أمة هدم أو تخريب، أمة حضارة، ولم يكن التخلف أبدًا سمة من سماتها.

فحري بكل مسلم يحب دينه ويعتز به أن يعمل من أجل رفعة دينه وعزة وطنه بعيدًا عن كل ألوان الزلل، والشطط، والتطرف، كالهجرة إلى جماعات الإرهاب بوهم الجهاد الكاذب تحت الرايات المغرضة الزائفة، أو كالهجرة غير الشرعية التي تؤدي إلى الهلاك ، أو المذلة والمهانة ، والتي هي مجرمة قانونًا ومؤثمة شرعا ؛ لأن حرمة الأوطان كحرمة

البيوت، وكما لا يجوز دخول بيت أحد إلا بإذن منه كذلك لا يجوز دخول أي دولة إلا من خلال الطرق القانونية المشروعة، فكما لا يحب أحد أن يتسلل أحد إلى دولته أو يدخلها بغير الطرق الشرعية القانونية ينبغي ألا يفعل ولا يقبل هو أيضا ذلك تجاه أي دولة أخرى.

**أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم**

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين .

**إخوة الإسلام** :

لا يفوتنا أن نذكر في هذه المناسبة العطرة بأن شهر الله المحرم أحد الأشهر الحرم ، ويستحب الإكثار من الصوم فيه عامة ؛ قال (صلى الله عليه وسلم): (أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ الصَّلَاةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، وَأَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ صِيَامُ شَهْرِ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ) [صحيح مسلم] وصوم يوم عاشوراء خاصة ؛ لقوله (صلى الله عليه وسلم) : (صِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ) [صحيح مسلم] ، ولما قَدِمَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الْمَدِينَةَ رَأَى الْيَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ فَقَالَ: (مَا هَذَا)، قَالُوا: هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ، هَذَا يَوْمٌ نَجَّى اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ فَصَامَهُ مُوسَى، قَالَ: (فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ) [صحيح البخاري] فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ، قال ابن عباس (رضي الله عنهما): " حِينَ صَامَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ

قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ يَوْمٌ تُعَظِّمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ – إِنْ شَاءَ اللَّهُ – صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ ) [صحيح مسلم] أي: صمنا التاسع مع العاشر، فمن السنة صيام العاشر من المحرم، ومن تمامها وكمالها صيام التاسع والعاشر منه.

نسأل الله أن يوفقنا لما يحب ويرضى، وأن يجعل العام الهجري الجديد عام خير وبركة ونصر وفتح لمصر وسائر بلاد المسلمين.

* * *

## مِنْ دُرُوسِ الهِجْرَةِ النبَوِيةِ بِنَاءُ الدولَةِ

الحمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، القَائِلِ فِي كِتَابِهِ الكَرِيمِ: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[البقرة: ٢١٨]، وأشهدُ أنْ لا إلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ الفَتَّاحُ العَلِيمُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُه ذُو الخُلُقِ العَظِيمِ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه وَصَحْبِهِ الغُرِّ المَيَامِينِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

**أَمَّا بَعْدُ**:

فَإِنَّ هِجْرَةَ رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) مِنْ مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ إِلَى المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ حَدَثٌ تَارِيخِيٌّ عَظِيمٌ غَيَّرَ مَجْرَى التَّارِيخِ البَشَرِيِّ ، وَنَحْنُ فِي حَاجَةٍ مَاسَّةٍ إِلَى أَنْ نَسْتَلْهِمَ مِنْهَا كُلَّ المَعَانِي الَّتي تُسْهِمُ فِي رُقِيِّ المُجْتَمَعِ وَبِنَاءِ حَضَارَاتِهِ، فَقَدْ كَانَتِ الهجرَةُ فُرْقَانًا بَيْنَ الحَقِّ والبَاطِلِ، وَتَحَوُّلاً إِيجَابِيًّا نَحْوَ بِنَاءِ الدَّوْلَةِ المَدَنِيَّةِ عَلَى أُسُسٍ رَاسِخَةٍ مِنَ العَدَالَةِ والمُسَاوَاةِ وَحُرِّيَّةِ الاعْتِقَادِ وَحِفْظِ الكَرَامَةِ الإِنْسانيَّةِ ، وَتَرْسِيخًا لِفِقْهِ التَّعَايُشِ السِّلْمِيِّ، وَتَأْسِيسًا لِلْعَيْشِ الإِنْسَانِيِّ المُشْتَرَكِ والتَّرَابُطِ الاجْتِمَاعِيِّ بَيْنَ أَبْنَاءِ الوَطَنِ الوَاحِدِ، والمُشَارَكَةِ فِي النَّشَاطِ الاقْتِصَادِيِّ بِشَتَّى صُوَرِهِ وَمُخْتَلفِ أَلْوَانِهِ، وَلقَدْ بَنَى النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) الدَّولةَ علىَ عِدّةِ أُسُسٍ وَمُقَومَاتٍ، مِن أَهمِّهَا:

**بِنَاءُ المَسْجِدِ**: فَقَدْ كَانَ بِنَاءُ المَسجِدِ أَوّلَ مَا قَامَ بهِ النّبيُّ حِينَ قَدِمَ المَدينةَ المُنوّرةَ ؛ لأَنَّ عَلاقَةَ الإنسانِ بِخَالقِهِ هِيَ صِمَامُ الأَمَانِ لِكُلِّ شَيءٍ، فَالتَّدينُ الصَّحِيحُ أَهَمُّ عَوامِلِ بِنَاءِ الشَّخصيةِ السَّويةِ التِي تَبْنِي وَلاَ

تَهْدِمُ، وَتَعَمّرُ وَلاَ تُخَرّبُ، وَبقدرِ الانحِرافِ عَن صَحِيحِ الدِّينِ، أَوْ قَدرِ الفَهمِ الخَاطِئِ لَهُ يَكُونُ الخَللُ فِي تَكوِينِ الشخصيةِ، كَمَا أنَّ للمَسجدِ رِسَالتَهُ العَلمِيةَ وَالاجتماعيةَ التِي تُرسِي الثَّوابتَ وَالقِيمَ فِي المُجتمَعِ ؛ فَأَمَّا رِسَالتُهُ العِلمِيةُ: فهُو مَدرسةٌ للتَربِيةِ وَالتّعليمِ، وَمركَزٌ للتَّقْويمِ وَالتَّثقِيفِ، فِيهِ يَتَخرجُ العُلماءُ والقَادَةُ وَالمَفكّرونَ، وَفِيهِ يَلتَقِي المُسلمُونَ عَلى مائِدةِ القُرآنِ والسُّنةِ، فيَتعَلمُونَ أمورَ دِينهمْ فِي رحابِ الوسطيةِ والاعتدالِ التِي جاءَ بهَا الدينُ الإسلاميُّ الحنيفُ ، وأكبرُ مثالٍ علىَ ذلكَ الجامعُ الأزهرُ بمصرَ، والجَامعُ الأُمويُّ بدمشقَ، وجامعُ الزَّيتونةِ بتونسَ، فكمْ رَبَّتْ هَذِه المساجدُ رجالاً، وخرَّجت أجيالاً حَملت رسالةَ الإسلامِ الوَسطِيِّ للعالمينَ.

وَأمَّا رسالةُ المسجدِ الاجتماعيةِ : فهُو مصدرٌ لبثِّ رُوح التآلفِ بينَ المسلمينَ، وتعميقِ معانِي الأُخوةِ، حينَ يقفونَ صفُوفًا مستويةً فِي الصلاةِ، وقَد ذابتْ وانصهرتْ بينهُمْ جميعُ الفوارقِ، محققينَ قولَ اللهِ تعَالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}[الحجرات: ١٠]، ففيهِ تُصفَّى النفوسُ من الشحناءِ، وفيهِ الحثُّ عَلى البذلِ والإنفاقِ، وتفريجِ الكُربِ، وتفقدِ المُحتاجينَ، فيصنعُ المسجدُ بذلكَ مجتمعًا مترابطًا، تسودُه الألفةُ والرحمةُ، فتنعكسُ هذِه القيمُ على الفردِ والمجتمعِ.

**البناءُ الاقتصَاديُّ**: إنّ الاقتصادَ القَويَّ من أهمِ دعائمِ الدولةِ وركائزِها الرئيسةِ التِي لاَ تقومُ ولا تُبنى إلا بِها ؛ فالاقتصادُ القويُّ المستقرُّ يمكنُ الدولَ من الوفاءِ بالتزامَاتها المحليةِ والدوليةِ، فضلًا عن أنهُ يحققُ

حياةً كريمةً لمواطنيهَا، وحينَ يضعفُ الاقتصادُ ينتشرُ الفقرُ والمرضُ، وتضطربُ الحياةُ، وتنشبُ الأزماتُ، وتفسدُ الأخلاقُ، وتكثرُ الجرائمُ، وتكونُ الفرصةُ مهيئةً أمامَ الأعداءِ المتربصينَ بالدولِ، العاملينَ علىَ إسقاطِها وإدخَالِهَا فِي فوضَى لا تنتَهِي.

لذَا فقد حرصَ النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) علىَ أن يكونَ مجتمعُ المدينةِ مجتمعًا ذَا قوةٍ اقتصاديةٍ تمكنهُ من الوفاءِ باحتياجاتِ أبنائِه، والدفاعِ عن نفسهِ، وتحقيقِ رسالةِ السلامِ والأمنِ وإعمارِ الكونِ التِي جاءَ بهَا الدينُ الإسلاميُّ الحنيفُ، فسعَى النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) إلَى إقامةِ سُوقٍ كبيرةٍ بالمدينةِ لتكونَ مصدرًا للكسبِ المشروعِ والتجارةِ، ومقرًّا لأربابِ الصناعاتِ والحرفِ، وَهَذَا السُّوقُ الَّذِي أَنْشَأَهُ نَبِيُّنا يُسَمَّى بِسُوقِ المَنَاخَةِ، فعَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ ، قال: (لَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يَجْعَلَ لِلْمَدِينَةِ سُوقًا، أَتَى سُوقَ بَنِي قَيْنُقَاعَ، ثُمَّ جَاءَ سُوقَ الْمَدِينَةِ فَضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ، وَقَالَ: (هَذَا سُوقُكُمْ، فَلا يُضَيَّقْ) (تاريخ المدينة لابن شبة)، وَقد شَارَكَ كِبَارُ الصَّحَابَةِ فِي الأَنْشِطَةِ التّجَارِيَّةِ المُتَنَوِّعَةِ، وَلَمْ يَقْبَلُوا العَيْشَ عَلَى العَوْنِ المَادِّيِّ مِنْ إِخْوَتِهِمُ الأَنْصَارِ؛ فَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ (رضي الله عنه) قال: (لمَّا قَدِمُوا الْمَدِينَةَ آخَى رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) بَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَسَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ ، حَيْثُ قَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: إِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَالًا فَأَقْسِمُ مَالِي نِصْفَيْنِ ... قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ ، أَيْنَ سُوقُكُمْ؟) (صحيح البخاري) .

وقد وضعَ النبي (صلى الله عليه وسلم) الضوابطَ المنظمةَ لهذِه التعاملاتِ ، فحثَّ (صلى الله عليه وسلم) على السماحةِ وطيبِ النفسِ فِي

البيعِ والشراءِ، فقالَ (صلى الله عليه وسلم): (رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى) (صحيح البخاري)، وأمر (صلى الله عليه وسلم) بالصدق والأمانة، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ) (سنن الترمذي)، وحرَّم (صلى الله عليه وسلم) الاحتكار، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (مَنِ احْتَكَرَ طَعَامًا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً فَقَدْ بَرِئَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَبَرِئَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ)(مسند أحمد)، بل كان (صلى الله عليه وسلم) يمر بنفسه ويتابع حركة البيع والشراء، ويوجه الناس إلى ما فيه صلاح حالهم ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) مَرَّ عَلَى صُبْرَةٍ مِنْ طَعَامٍ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا، فَقَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ، مَا هَذَا؟)، قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ (صلى الله عليه وسلم): (أَفَلاَ جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ)، ثُمَّ قَالَ (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا) (سنن الترمذي).

**وثيقة المدينة**: لَقَدْ بَنَى نَبِيُّنَا (صلى الله عليه وسلم) دَوْلَةً قَوِيَّةً بَعْدَ الهِجْرَةِ، وَضَعَ أُسُسَهَا فِي وَثِيقَةِ المَدِينَةِ، وَلَمْ يَكْتَفِ نَبِيُّنَا (صلى الله عليه وسلم) بِالمُؤَاخَاةِ بَيْنَ المُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ عَلَى مَا كَانَ بَيْنَهُمْ مِنْ خِلافَاتٍ وَنِزَاعَاتٍ، وَإِنَّمَا انْتَقَلَ إلى مَعْنًى إِنْسَانِيٍّ مِنْ خِلالِ صِيَاغَتِهِ لـ «وَثِيقَة المَدِينَةِ»، الَّتِي تُعدُّ أَعْظَمَ وَثِيقَةٍ بَشَرِيَّةٍ فِي تَارِيخِ الإِنْسَانِيَّةِ ؛ حَيْثُ أَقَرَّتِ الحُقُوقَ والوَاجِبَاتِ لِجَمِيعِ أَبْنَاءِ المُجْتَمَعِ، وَأَصَّلَتْ لِلتَّعَايُشِ السِّلْمِيِّ بَيْنَ أَبْنَاءِ الوَطَنِ مِنْ جِهَةٍ، وَبَيْنَ الإِنْسَانِيَّةِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، بِمَا يَجْعَلُهَا أَعْظَمَ وَثِيقَةٍ إِنْسَانِيَّةٍ فِي فِقْهِ التَّعَايُشِ عَلَى مَرِّ التَّارِيخِ، آيَةُ ذَلِكَ:

العَهْدُ الَّذِي أَبْرَمَهُ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) مَعَ يَهُودِ المَدِينَةِ وَغَيْرِهِمْ، حَيْثُ أَعْطَى اليَهُودَ كُلَّ حُقُوقِ المُسْلِمِينَ فِي الأَمْنِ والسَّلامِ والحُرِّيَّةِ والدِّفَاعِ المُشْتَرَكِ، وَمِنْ بَيْنِ بُنُودِهَا المُهِمَّةِ: «وَأَنَّ الْيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارِبِينَ، وَأَنَّ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أُمَّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينُهُمْ، مَوَالِيهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ إِلا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ) (الأموال لابن زنجويه)، وَجَاء فِيهَا كَفَالَةُ حُرِّيَّةِ الدِّينِ والأَمْنِ والدِّفَاعِ المُشْتَرَكِ ضِدَّ أَيِّ مُعْتَدٍ عَلَى المَدِينَةِ.

وَهَذا يَعْنِي أَنَّ الدَّوْلَةَ المَدَنِيَّةَ فِي الإِسْلامِ تَسَعُ الجَمِيعَ مُسْلِمِينَ وَغَيْرَ مُسْلِمِينَ، فَلَهُمْ مَا لَنَا وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَيْنَا، شَرِيطَةَ الالْتِزَامِ بِالضَّوَابِطِ المُجْتَمَعِيَّةِ الَّتِي تَحْفَظُ لِلْجَمِيعِ الحُقُوقَ والوَاجِبَاتِ، وَفِي مُقَدَّمَتِهَا: السِّلْمُ وَعَدَمُ الاعْتِدَاءِ، وَعَدَمُ خَرْقِ بُنُودِ العَقْدِ الاجْتِمَاعِيِّ «الدُّسْتُور» الَّذِي يُنَظِّمُ العَلاقَةَ بَيْنَ النَّاسِ جَمِيعًا.

إِنَّ التَّعَايُشَ السِّلْمِيَّ بَيْنَ النَّاسِ قَاطِبَةً فَرِيضَةٌ دِينِيَّةٌ، وَضَرُورَةٌ اجْتِمَاعِيَّةٌ يَفْرِضُهَا الوَاقِعُ الَّذِي يَعِيشُهُ الإِنْسَانُ، وَلَنْ يَتَحَقَّقَ ذَلِكَ إِلا إِذَا شَعَرَ الجَمِيعُ بِأَنَّهُمْ أَبْنَاءُ وَطَنٍ وَاحِدٍ، لَهُمْ نَفْسُ الحُقُوقِ وَعَلَيْهِمْ نَفْسُ الوَاجِبَاتِ، دُونَ تَفْرِقَةٍ عَلَى أَسَاسٍ دِينِيٍّ أَوْ عِرْقِيٍّ أَوْ غَيْرِهِمَا، قالَ تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٥٦].

وَقَدْ طبَّقَ النَّبيُّ (صلى الله عليه وسلم) وأصحابُهُ هذَا الأساسَ تَطْبِيقًا عَمَلِيًّا، فَلَمْ يُكرهُوا أَحَدًا علَى الدُّخولِ فِي هذَا الدِّينِ، ولَمْ يهدمُوا لأحدٍ كنيسةً أَوْ صَوْمَعةً أَوْ أيَّ مَكَانٍ للعبادةِ، بَلْ كانَتْ أمكنةُ العبادةِ

محترمةً مُصانَةً عِنْدَ المُسْلِمينَ، ذَلِكَ لأنَّ الإسلامَ كَفَلَ حُرِّيَّةَ الاعْتِقَادِ لِبَنِي البَشَرِ جَمِيعًا، وَلَمْ وَلَنْ يَمْلِكَ أَحَدٌ تَغْيِيرَ هَذَا التَّنَوُّعَ والاخْتِلافَ ؛ لأنه يَتوافق مع المَشِيئَةِ الإلهيَّةِ، قال تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}[يونس: ٩٩]، فَاحْتِرَامُ المُعْتَقَداتِ والحُقُوقِ والوَاجِبَاتِ رُكْنٌ أَسَاسٌ فِي بِنَاءِ الدَّوْلَةِ ، وَلَهُ أَثَرُهُ عَلَى تَرابُطِ العَلاقَاتِ بَيْنَ الأُمَمِ والمُجْتَمَعَاتِ، فَلِكُلِّ أُمَّةٍ عَقِيدَةٌ وَمَبادِئُ تُقَدِّسُهَا وَتَلْتَزِمُ بِهَا، وَتَعُدُّهَا أَسْمَى مِنْ غَيْرِها ، وَقَدْ نَهَانَا الإِسْلامُ عَنِ التَّعَرُّضِ بِأَذَى لأَصْحَابِ الدِّيَانَاتِ الأُخْرَى بِمَا يُسِيءُ لَهُمْ أَوْ لِمُعْتَقَدِهِمْ ؛ لأنَّ الأَدْيَانَ جَاءَتْ لِسَعَادَةِ الإِنْسَانِ، قَالَ تَعَالَى:{وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[الأنعام: ١٠٨].

كَذَلِكَ رَسَّخَ الإسلامُ فِي نُفُوسِ أَتْبَاعِهِ أَسَاسَ البِرِّ وحُسنَ الجوارِ مَعَ غيْرِ المسلمينَ، وَجاءَتِ النُّصوصُ تُؤَكِّدُ هَذَا الأساسَ، وتُوضِّحُ صورَهُ التَّطبيقيَّةَ فِي المُجْتَمَعِ المُسْلِمِ ، قال تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}[الممتحنة: ٨].

وَلَقَدْ أَمَرَ الإِسْلامُ أَتْبَاعَه بِالْمُحافَظَةِ عَلَى كَرَامَةِ غَيْرِ المُسْلِمِينَ وَمُرَاعَاةِ مَشَاعِرِهِمْ حَتَّى فِي مَوْطِنِ الحِوَارِ أو الجَدَلِ، وَحَثَّهُمْ عَلَى أَنْ تَكُونَ المُجَادَلَةُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، فَقَالَ تَعَالَى{ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [العنكبوت: ٤٦].

بِهَذَا كَانَتْ وَثِيقَةُ المَدِينَةِ مِثَالاً يُحْتَذَى بِهِ فِي حِفْظِ الكَرَامَةِ الإِنْسَانِيَّةِ، الَّتِي تَعْمَلُ عَلَى تَكَاتُفِ اللُّحْمَةِ الوَطَنِيَّةِ لِبِنَاءِ الدَّوْلَةِ وَصُنْعِ الحَضَارَاتِ، وَتُحَقِّقُ صَالِحَ البَشَرِيَّةِ.

**أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.**

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وَأَشْهَدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لاَ شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ سيدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عبدُه ورسُولُه، اللهُمَّ صَلِّ وسلمْ وَبارِكْ عَلَيْهِ، وَعلى آلهِ وصحبهِ أجمعينَ، وَمن تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إِلىَ يومِ الدِّين.

**إخوةَ الإسلام**:

إِنَّ لِلْوَطَنِ قِيمَةً عَالِيَةً وَمَكَانَةً سَامِيَةً، فَحُبُّه والانْتِمَاءُ إِلَيْهِ والدِّفَاعُ عَنْهُ فِطْرَةٌ جُبِلَتْ عَلَيْهَا النَّفْسُ البَشَرِيَّةُ السَّلِيمَةُ، وَهُوَ وَاجِبٌ يُؤَصِّلُهُ الدِّينُ الحَنِيفُ، وَتَفْرِضُهُ الوَطَنِيَّةُ، وَأَكَّدَتْ عَلَيْهِ جَمِيعُ الشَّرَائِعِ السَّمَاوِيَّةِ، وَلَقَدْ ضَرَبَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) أَعْظَمَ الأَمْثِلَةِ فِي حُبِّ الوَطَنِ والتَّعَلُّقِ بِهِ والانْتِمَاءِ إِلَيْهِ، حَيْثُ قَالَ (صلى الله عليه وسلم) عِنْدَ هِجْرَتِهِ مُخَاطِبًا وَطَنَهُ الأَوَّلَ مَكَّةَ المُكَرَّمَةَ: (مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلْدَةٍ وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ، وَلَوْلا أَنَّ قَوْمَكِ أَخْرَجُونِي مَا خَرَجْتُ) (سنن الترمذي)، وَعِنْدَمَا هَاجَرَ (صلى الله عليه وسلم) إِلَى المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ وَاسْتَوْطَنَ بِهَا، دَعَا اللهَ (عز وجل) أَنْ يُحَبِّبَ إِلَيْهِ وَطَنَهُ الثَّانِي، وَأَنْ يُحَقِّقَ فِيهِ الأَمْنَ والاسْتِقْرَارَ، فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: (اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ) (متفق عليه).

وَمِصْرُنَا الغَالِيَةُ تَسْتَحِقُّ مِنْ أَبْنَائِهَا ذَلِكَ وَأَكْثَرَ ، فَهِيَ القَلْبُ النَّابِضُ لِلْعُروبَةِ والإِسْلامِ ، وَهِيَ دِرْعُ الأُمَّةِ وَسَيْفُهَا ، وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ الدِّفَاعَ عَنْهَا، والعَمَلَ فِي سَبِيلِ نَهْضَتِهَا وَرُقِيِّهَا وَاجِبٌ دِينِيٌّ وَوَطَنِيٌّ، فَهِيَ مَهْدُ الحَضَارَاتِ، وَمَوْطِنُ الرِّسَالاتِ، وَهِيَ البَلَدُ الَّتِي اقْتَرَنَ ذِكْرُهَا فِي القُرْآنِ بِالأَمْنِ والأَمَانِ، حَيْثُ يَقُولُ الحَقُّ سُبْحَانَهُ علَى لِسَانِ سَيِّدنا يُوسُفَ (عليه السلام) : {ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ}[يوسف: ٩٩].

وللهِ دَرُّ صَلاحِ الدِّينِ الصَّفديُّ، حين قال:

مَنْ شَاهَدَ الأَرْضَ وَأَقْطَارَهَا وَالنَّاسَ أَنْواعًا وَأَجْنَاسَا
وَلا رَأَى مِصْرَ ولا أَهْلَهَا فَمَا رَأَى الدُّنْيَا ولا النَّاسَا

(سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر)

ولقد جعلَ النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) الدفاعَ عن الوطنِ منهجَ حياةٍ وتربيةٍ ربَّى عليهِ أصحابَهُ (رضي الله عنهم) ، وضربَ (صلى الله عليه وسلم) أعظمَ الأمثلةِ في الدفاعِ عن الوطنِ، والمسارعةِ في حمايتهِ، فكانَ (صلى الله عليه وسلم) يتصدرُ المواقفَ دفاعًا عن وطنهِ، فعَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه) ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ المَدِينَةِ لَيْلَةً، فَخَرَجُوا نَحْوَ الصَّوْتِ، فَاسْتَقْبَلَهُمُ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) وَقَدْ اسْتَبْرَأَ الخَبَرَ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ، وَفِي عُنُقِهِ السَّيْفُ، وَهُوَ يَقُولُ: «لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا» ثُمَّ قَالَ: «وَجَدْنَاهُ بَحْرًا» أَوْ قَالَ: «إِنَّهُ لَبَحْرٌ» (صحيح البخاري).

إِنَّ العَلاقَةَ بَيْنَ الدِّينِ والدَّوْلَةِ عَلاقَةُ تَكَامُلٍ لا تَضَادٍّ، وَحِفْظُ الأَوْطَانِ أَحَدُ المَقَاصِدِ الكُلِّيَّةِ الضَّرُورِيَّةِ الَّتِي يَنْبَغِي الحِفَاظُ عَلَيْهَا، وَلا اقْتِصَادَ مُسْتَقِرٌّ

بلا أَمْنٍ مُتَحَقِّقٍ مُسْتَمِرٍّ. والدِّفَاعُ عَنِ الوَطَنِ وَحِمَايَتُهُ والتَّضْحِيَةُ مِنْ أَجْلِهِ مَطْلَبٌ شَرْعِيٌّ، وَوَاجِبٌ وَطَنِيٌّ عَلَى كُلِّ مَنْ يَعِيشُ عَلَى أَرْضِهِ، وَيَسْتَظِلُّ بِسَمَائِهِ ؛ فَحُبُّ الوَطَنِ لا يَتَوَقَّفُ عِنْدَ مُجَرَّدِ المَشَاعِرِ والعَوَاطِفِ فَحَسْب، بَلْ يَجِبُ أَنْ يُتَرْجَم إِلَى عَمَلٍ وَسُلُوكٍ صَالِحٍ نَافِعٍ لِلْفَرْدِ وَالمُجْتَمَعِ ؛ وَمِنْ ثَمَّ فَلا بُدَّ مَنَ التَّضْحِيَةِ لأَجْلِ بَقَائِهِ قَوِيًّا عَزِيزًا.

وَلا شَكَّ أَنَّ قُوَّاتِنَا المُسَلَّحَةَ البَاسِلَةَ تَحْمِلُ أَمَانَةَ الدِّفَاعِ عَنِ الوَطَنِ وَبِنَائِهِ وَازْدِهَارِهِ ، بِمَا تَقُومُ بِهِ مِنْ أَعْمَالٍ جَلِيلَةٍ ، فيَدٌ تَحْمِي وَتَحْرُسُ، وَأُخْرى تُنْتِجُ وَتَبْنِي وَتُعَمِّرُ، وَهَذَا يُحَتِّمُ عَلَى كُلِّ أَبْنَاءِ الوَطَنِ ضَرُورَةَ المُشَارَكَةِ فِي بِنَاءِ لَبِنَاتِهِ كُلٌّ فِي مَجَالِهِ ؛ لِنَبْنِيَ دَوْلَتَنَا الحَدِيثَةَ عَلَى الحَقِّ والعَدْلِ، وَنُحَقِّقَ لَهَا الرُّقِيَّ والتَّقَدُّمَ وَالرَّخَاءَ .

(فاللَّهُمَّ أَمِّنا فِي أَوْطَانِنَا، وَاحْفَظْ بِلادَنَا مِنْ كَيْدِ الكَائِدِينَ وَفَسَادِ المُفْسِدينَ).

* * *

# وَاجِبُ المُعَلِّمِ والمُتَعَلِّمِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ ، القَائِلِ فِي كِتَابِهِ العَظِيمِ : {يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [المجادلة: ١١] ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ العَلِيمُ الحَكِيمُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ النَّبِيُّ الأُمِّيُّ الكَرِيمُ ، اللهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الغُرِّ المَيَامِينِ ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

**وبعد** :

فَإِنَّ العِلْمَ حَيَاةُ القُلُوبِ مِنَ الجَهْلِ ، وَمِصْبَاحُ الأَبْصَارِ مِنَ الظُّلَمِ ؛ إِذْ يَبْلُغُ العِلْمُ بِصَاحِبِهِ مَنَازِلَ الأَخْيَارِ والدَّرَجاتِ العَالِيَةَ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ ، وَبِهِ تُوصَلُ الأَرْحَامُ وَيُعْرَفُ الحَلالُ والحَرَامُ ، يَرْفَعُ اللهُ بِهِ قَوْمًا وَيَجْعَلُهُمْ فِي الخَيْرِ قَادَةً وَأَئِمَّةً ، تُقْتَبَسُ آثَارُهُمْ وَيُقْتَدَى بِفِعَالِهِمْ ، قَالَ تَعَالَى: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ}[الزمر: ٩].

إِنَّ الإِسْلامَ قَدْ رَفَعَ مَنَازِلَ العُلَمَاءِ وَقَدَّرَ جُهُودَهُمْ ، وَسَمَا بِدَرَجَاتِهِمْ، حَتَّى قَرَنَهُمُ الحَقُّ سُبْحَانَهُ بِنَفْسِهِ وَملائِكَتِهِ فِي الشَّهَادَةِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ والإِقْرَارِ بَعَدَالَتِهِ ، قَالَ تَعَالَى: {شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [آل عمران: ١٨].

وَلَقَدْ ظَهَرَتْ عِنَايَةُ الإِسْلامِ بِالعِلْمِ والتَّرْغِيبِ فِيهِ مَعَ أَوَّلِ كَلِمَاتٍ اسْتَقْبَلَتْهَا أُذُنُ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) مِنْ وَحْيِ السَّمَاءِ ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ

وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق: ١ – ٥] ، فَأَوَّلُ أَمْرٍ سَمَاوِيٍّ نَزَلَ بِهِ الوَحْيُ هُوَ الأَمْرُ بِالقِرَاءَةِ الَّتِي هِيَ أَوَّلُ أَبْوَابِ العِلْمِ ، ثُمَّ تَأْتِي الإِشَارَةُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى القَلَمِ الَّذِي هُوَ وَسِيلَةُ تَدْوِينِ العِلْمِ وَنَقْلِهِ ؛ وَفِي هَذَا تَنْبِيهٌ لِلنَّاسِ كَافَّةً عَلَى بَيَانِ فَضْلِ العِلْمِ والتَّرْغِيبِ فِي طَلَبِهِ وَالحَثِّ عَلَيْهِ .

فَلِلْعِلْمِ مَقَامٌ عَظِيمٌ ، وَلأَهْلِ العِلْمِ مَكَانَتُهُمُ العَالِيَةُ ، فَلَوْلا العِلْمُ والعُلَمَاءُ لَضَلَّ النَّاسُ وَفَسَدُوا ، فَالعِلْمُ نُورٌ يُبْصِرُ بِهِ صَاحِبُهُ حَقَائِقَ الأُمورِ ، وَالعُلَمَاءُ لِلنَّاسِ كَالنُّجُومِ فِي السَّمَاءِ يُهْتَدَى بِهِمْ ، قَالَ تَعَالَى: {أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ} [الرعد: ١٩] ، فَكَأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَسَّمَ النَّاسَ فِي هَذِهِ الآيَةِ إِلَى قِسْمَيْنِ: عَالِمٍ ، وَأَعْمَى ؛ فَجَعَلَ العِلْمَ فِي مُقَابِلِ العَمَى، فَالبَصَرُ هُنَا بَصَرُ العِلْمِ والمَعْرِفَةِ ، وَلَيْسَ بَصَرَ الرُّؤْيَةِ ، قَالَ تَعَالَى: {فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} [الحج: ٤٦] ، وَمِنْ ثَمَّ أَعْلَى القُرْآنُ الكَرِيمُ مِنْ شَأْنِ العِلْمِ ، فَعَبَّرَ عَنْهُ بِالسُّلْطَانِ ، فَقَالَ تَعَالَى: {الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا} [غافر: ٣٥].

وَلَقَدْ بَيَّنَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) مَكَانَةَ العِلْمِ وَفَضِيلَةَ طَلَبِهِ فِي حَدِيثٍ يَدْفَعُ كُلَّ مَنْ قَرَأَهُ بِتَدَبُّرٍ إِلَى المُسَارَعَةِ فِي طَلَبِ العِلْمِ ، وَإِفْنَاءِ العُمرِ فِي سَبِيلِ تَحْصِيلِهِ ، فَقَالَ (صلى الله عليه وسلم): "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا ، سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الْمَلائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ

وَمَنْ فِي الأَرْضِ ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا ، وَرَّثُوا الْعِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ" (سنن أبي داود) ، وعَنْ أَبِي ذَرٍّ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): "يَا أَبَا ذَرٍّ ، لأَنْ تَغْدُوَ فَتَعَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ ، وَلأَنْ تَغْدُوَ فَتَعَلَّمَ بابًا مِنَ الْعِلْمِ – عُمِلَ بِهِ أَوْ لَمْ يُعْمَلْ – خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ أَلْفَ رَكْعَةٍ" (سنن ابن ماجه).

وَرَضِيَ اللهُ عَنْ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ ، حَيْثُ قَالَ: " الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ، الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ، وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ، الْعِلْمُ يَزْكُو عَلَى الْعَمَلِ، وَالْمَالُ تُنْقِصُهُ النَّفَقَةُ " (حلية الأولياء) ، وَلا يَخْفَى أَنَّ العِلْمَ نِعْمَةٌ وَمِنَّةٌ وَفَضْلٌ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ ، حَيْثُ يَقُولُ سُبْحَانَهُ: {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الأَلْبَابِ} [البقرة: ٢٦٩] ، وقَالَ عَلِيٌّ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) (إحياء علوم الدين):

مَا الفَخْرُ إلاَّ لأهْلِ العِلْمِ إنَّهُمُ عَلَى الهُدَى لِمَنِ اسْتَهْدَى أَدِلاَّءُ
وَقَدْرُ كُلِّ امْرِئٍ مَا كَانَ يُحْسِنُه والجَاهِلُونَ لأهْلِ العِلْمِ أَعْدَاءُ
فَفُزْ بِعِلْمٍ تَعِشْ حَيًّا بِهِ أَبَدًا النَّاسُ مَوْتَى وَأَهْلُ العِلْمِ أَحْيَاءُ

إِنَّ لِلْعِلمِ أَخْلاقًا عَظِيمَةً وَآدَابًا كَرِيمَةً ؛ مِنْ أَهَمِّهَا التَّوَاضُعُ ، وَقَدْ كَتَبَ مَالِكٌ إِلَى الرَّشِيدِ: "إِذَا عَلِمْتَ عِلْمًا ؛ فَلْيُرَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ وَسَكِينَتُهُ وَسَمْتُهُ وَوَقَارُه وَحِلمُهُ"(حلية الأولياء)؛ وَلِذَا قَالَ سَيِّدُنَا عُمَرُ (رضي الله عنه): "تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ ، وَتَعَلَّمُوا لِلْعِلْمِ السَّكِينَةَ وَالْوَقَارَ ، وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ تَعْلَمُونَ

مِنْهُ"(المعجم الأوسط)، إِذْ لا يَسْتَقِيمُ العِلْمُ مَعَ الكِبْرِ ، وَلا يُؤْتَى مَعَ المَعْصِيَةِ، إِنَّمَا يُؤْتَى بِطلَبِهِ ، وَيَزْدَادُ بِالتَّقْوَى ، حَيْثُ يَقُولُ الحَقُّ سُبْحَانَهُ وتعالى : {وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[البقرة : ٢٨٢]، قَالَ عَبْد الْوَاحِد بْن زَيْدٍ : "مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ فَتَحَ اللهُ لَهُ مَا لاَ يَعْلَمُ " (حلية الأولياء) ، فَالعَمَلُ شَرْطٌ لِتَحَقُّقِ العِلْمِ الرَّبَّانِيِّ اللَّدُنِّيِّ ، حَيْثُ يَقُولُ الحَقُّ سُبْحَانَهُ فِي شَأْنِ العَبْدِ الصَّالِحِ فِي سُورَةِ الكَهْفِ:{فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا}[الكهف: ٦٥] ، وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: {فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا}[الأنبياء: ٧٩]، وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ فِي حَقِّ سَيِّدِنَا يَحْيَى (عليه السلام):{يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا} [مريم: ١٢، ١٣] ، وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ عَلَى لِسَانِ المَلائِكَةِ: {سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا} [البقرة: ٣٢] ، وَالعَالِمُ لِلسَّائِلِ كَالطَّبِيبِ لِلْمَرِيضِ ، لا بُدَّ أَنْ يَحْنُوَ عَلَيْهِ ، وَأَنْ يَأْخُذَ بِيَدِهِ إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ ، وَيبيِّن لَهُ طَرِيقَ السَّدَادِ.

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الحَكَمِ ، قَالَ: "بَيْنَمَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ ، فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهُ ، مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصْمِتُونِي سَكَتُّ ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي ، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ ، وَاللهِ مَا قَهَرَنِي وَلا ضَرَبَنِي ، وَلا شَتَمَنِي.." (صحيح مسلم).

وَلَعَلَّ وَاجِبَ الوَقْتِ وَفَرِيضَتَهُ لِلْعُلَمَاءِ هَذِهِ الأَيَّام هُوَ تَصْحِيحُ المَفَاهِيمُ الخَاطِئَةِ ، مَعَ تَصْحِيحِ الصُّورَةِ الذِّهْنِيَّةِ المَغْلُوطَةِ عَنِ الإِسْلامِ وَالمُسْلِمِينَ، وَالعَمَلُ عَلَى نَشْرِ الفِكْرِ الإِسْلامِيِّ الصَّحِيحِ ، وَالقِيَامُ بِوَاجِبِهِمْ فِي تَقْدِيمِ حُلُولٍ وَرُؤًى وَاجْتِهَادَاتٍ عَصْرِيَّةٍ تَتَّسِقُ وَرُوحَ العَصْرِ وَمُسْتَجَدَّاتِهِ فِي ضَوْءِ الحِفَاظِ عَلَى الثَّوَابِتِ ، والتَّفْرِقَةُ الوَاضِحَةُ الصَّرِيحَةُ بَيْنَ الثَّابِتِ المُقَدَّسِ والفِكْرِ البَشَرِيِّ المَكْتُوبِ حَوْلَ النَّصِّ المُقَدَّسِ ، سَوَاءٌ أَكَانَ هَذَا الفِكْرُ البَشَرِيُّ مُتَعَلِّقًا بِفَهْمِ بَعْضِ نُصُوصِ القُرْآنِ الكَرِيمِ أَوْ بَعْضِ نُصُوصِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ المُشَرَّفَةِ المُطَهَّرَةِ ، أَمْ كَانَ آرَاءً وَاجْتِهَادَاتٍ وَاسْتِنْبَاطَاتٍ فِقْهِيَّةً أَوْ فِكْرِيَّةً.

وَإِنَّ نَفْيَ تَحْرِيفِ الغَالِينَ والمُتَنَطِّعِينَ ، وَبَيَانَ وَضْعِ الوَضَّاعِينَ وانْتِحَالِ المُبْطِلِينَ ، وَتَصْوِيبَ خَطَأِ المُخْطِئِينَ وَالخَاطِئِينَ وَتَأْوِيلِ الجَاهِلِينَ ، وَتَفْنِيدَ ضَلالاتِ المُضِلِّينَ وَالإِرْهَابِيِّينَ والمُتَطَرِّفِينَ والمُتَشَدِّدِينَ ؛ مِنْ أَوْلَى أَوْلَوِيَّاتِ وَوَاجِبَاتِ الوَقْتِ ، يَقُولُ نَبِيُّنَا (صلى الله عليه وسلم): "يَحْمِلُ هَذَا العِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الغَالِينَ ، وَتَأْوِيلَ الجَاهِلِينَ، وَانْتِحَالَ المُبْطِلِينَ " (سنن البيهقي).

كَمَا يَنْبَغِي عَلَى العَالِمِ أَنْ يَكُونَ مُتَزَيِّنًا بِجَمِيلِ الأَخْلاقِ ، فَالعِلْمُ إِنْ لَمْ يُرَافِقْهُ أَخْلاقٌ وَقِيَمٌ ؛ لا وَزْنَ لَهُ وَلا اعْتِبَارَ ، وَلا أَثَرَ لَهُ فِي سُلُوكِ صَاحِبِهِ ، ولا فِي تَغْيِيرِ الآخَرِينَ ، وَصَدَقَ الشَّاعِرُ حِينَ قَالَ:

وَالعِلْـمُ إِن لَم تَكتَنِفْـهُ شَمـائِلٌ ... تُعْلِيهِ كَانَ مَطِيَّـةَ الإِخْفَـاقِ
لا تَحسَبَنَّ العِلـمَ يَنفَـعُ وَحدَهُ ... ما لَـم يُتَـوَّجْ رَبُّهُ بِخَـلاقِ

وَيَنْبَغِي لِطَالِبِ العِلْمِ أَنْ يَتحَلَّى بِآدَابٍ فَاضِلَةٍ وَمَساعٍ عَالِيَةٍ ، نَتَعَلَّمُهَا مِمَّا فَعَلَهُ سَيِّدُنَا مُوسَى كَلِيمُ اللهِ (عليه السلامُ) – وَهُوَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ مِنْ أُولِي العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ – مَعَ عَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ يَتَعَلَّمُ مِنْهُ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: {قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِرًا وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا} [الكهف٦٦ – ٦٩].

فَلا بُدَّ إِذًا لِلْعَالِمِ وَلِطَالِبِ العِلْم أَنْ يَتحَلَّيَا بِكَرِيمِ الأَخْلاقِ ، وَأَنْ يَكُونَ عَمَلُهُمَا مُتَّفِقًا مَعَ قَوْلِهِمَا حَتَّى يُؤَثِّرَ ذَلِكَ فِي المُجْتَمَعِ ، فَعِنْدَمَا رَبَطَت الأُمَّةُ بَيْنَ العِلْمِ والعَمَلِ والأَخْلاقِ ، عَاشَتْ فِي عِزَّةٍ وَرِفْعَةٍ بَيْنَ الأُمَمِ ، وَحَيْثُ كَانَ الخُلُقُ وَالعِلْمُ كَانَ الرُّقِيُّ ، وَكَانَ الازْدِهَارُ ، وَلَمْ يُعرَفْ فِي التَّارِيخِ مِثْلُ حَضَارَةِ أُمَّتِنَا العَظِيمَةِ ، الَّتِي كَانَ أَسَاسُهَا العِلْمَ والأَخْلاَقَ الفَاضِلَةَ المُستَقاةَ مِن الإسْلامِ ، وَصَدَقَ النَّبِيُّ الكَرِيمُ (صلى الله عليه وسلم) حَيْثُ قَالَ: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ) (سنن البيهقى).

**أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم**

* * *

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى خَاتَمِ النَّبِيِّينَ والمُرْسَلِينَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ، وَمَنْ تَبعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلىَ يَوْمِ الدِّينِ .

**إخوة الإسلام** :

إِنَّ الإِسْلامَ أَعْلَى مِنْ شَأْنِ العِلْمِ والعُلَمَاءِ عَلَى اخْتِلافِ تَخَصُّصَاتِهِمْ ، وَإِنَّمَا قِيمَةُ العِلْمِ تَشْمَلُ التَّفَوُّقَ فِي كُلِّ العُلُومِ الَّتِي تَنْفَعُ النَّاسَ فِي شُئُونِ

دِينِهِمْ أَوْ شُئُونِ دُنْيَاهُمْ ، وَلِذَا نَرَى أَنَّ قَوْلَ اللهَ (عز وجل) :{ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ }[فاطر: ٢٨] ، جَاءَ فِي مَعْرِضِ الحَدِيثِ عَنِ العُلُومِ الكَوْنِيَّةِ ، حَيْثُ يَقُولُ سُبْحَانَهُ : {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ}[فاطر : ٢٧، ٢٨] ، وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} [آل عمران :١٩٠، ١٩١].

كَمَا أَنَّ المُرَادَ بِالعِلْمِ النَّافِعِ كُلُّ مَا يَحْمِلُ نَفْعًا لِلنَّاسِ فِي حَيَاتِهِمْ وَمَعَادِهِمْ ، فِي العُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ أَوِ العَرَبِيَّةِ ، أَوْ عِلْم الطِّبِّ ، أَوِ الصَّيْدَلَةِ ، أَوِ الفِيزْيَاءِ ، أَوِ الكِيمْيَاءِ ، أَوِ الفَلَكِ ، أَوِ الهَنْدَسَةِ ، أَوِ المِيكَانِيكَا أَوِ الطَّاقَةِ ، وَسَائِرِ العُلُومِ وَالمَعَارِفِ ، فَالعِلْمُ أَسَاسُ الشَّخْصِيَّةِ الوَطَنِيَّةِ المُبْدِعَةِ المُبْتَكِرَةِ، وَدَلالَةُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى:{فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ}[النحل: ٤٣] ، فَكَلِمَةُ (الذِّكْرِ) أَعَمُّ مِنْ أَنْ تُقْصَرَ عَلَى عِلْمٍ بِعَيْنِهِ ، فَالأَمْرُ مُتَّسِعٌ لِكُلِّ عِلْمٍ نَافِعٍ ، وَمِمَّا لا شَكَّ فِيهِ أَنَّنَا فِي حَاجَةٍ إِلَى جَمِيعِ العُلُومِ الَّتِي نَعْمُرُ بِهَا دُنْيَانَا كَحَاجَتِنَا إِلَى العُلُومِ الَّتِي يَسْتَقِيمُ بِهَا أَمْرُ دِينِنَا.

إِنَّ أَبَاطِيلَ وَضَلالاتِ الجَمَاعَاتِ المُتَطَرِّفَةِ تَعْمَل على أَدْلَجَةِ العُلَمَاءِ ، وَطُلابِ العِلْمِ والشَّبَابِ ، والمُثَقَّفِينَ مِنَ المُنْتَمِينَ إِلَيْهَا ؛ مِمَّا يَجْعَلُهُمْ مُكَبَّلِينَ بِأَغْلالِهِم، وَهَذَا يُؤَكِّدُ الدَّوْرَ الكَبِيرَ المُلْقَى عَلَى عَاتِقِ العُلَمَاءِ

وَالمُفَكِّرِينَ وَالعُقَلاءِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكانٍ أَنْ يَكُونُوا رِجَالَ فِكْرٍ وَعَقْلٍ ، وَدُعَاةَ أَمْنٍ وَسَلامٍ بِحَقٍّ وَصِدْقٍ وَإِخْلاصٍ ، مُسْتَحْضِرِينَ مَنْهَجَ الإِسْلامِ فِي الحَيَاةِ .

اللهُمَّ احْفَظْ مِصْرَ مِنْ جَهْلِ الجَاهِلِينَ ، وَعَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا وَانْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا وَزِدْنَا عِلْمًا .

* * *

# خطورة الشائعات وتزييف الوعي

الحمد لله ربّ العالمين ، القائل في كتابه العزيز:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ ، وبارِكْ عليه وعلَى آلهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ ، **وبعــد** :

فإن الصراع بين الحق والباطل صراع قديم قدمَ البشرية ، وهو مستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وإن من أبرز وسائل أهلِ الباطل في صراعهم مع أهل الحق : صناعة الشائعات ، وترويجها بين الناس .

ومما لا شك فيه أن الكلمة أمانة ومسئولية عظيمة ، سواء أكانت مقروءة ، أم مسموعة ، أم مرئية ، والشائعات ما هي إلا كلمة تنتشر بين الناس ، يطلقها صاحبُ قلب مريض ، أو هيئة أو منظمة من قوى الشر التي تعمل في الخفاء ، وتتناقلها الألسنة وترددها دون تثبت ، أو تبيّن ، فتؤثر سلبًا على العقول والنفوس ، وتنشر الأفكار الهدامة والمعتقدات الفاسدة ، ويصبح المجتمع ويمسي في قلق وريبة ، بل ويذهب الأمن ، وتضعف الثقة بين الناس ، فترى أمة الجسد الواحد يشكك بعضها في بعض ، ويخوّن بعضها بعضًا ؛ لذا قال النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ) ، فإذا كان التحدث بكل ما يسمعه

الإنسان نوعًا من أنواع الكذب يُعاقَب عليه الإنسانُ عقوبة شديدة في الآخرة ، فكيف بمَنْ يتحدث بما لم يره أو يسمعه؟ .

لقد اتخذ الإسلام موقفًا حازمًا من الشائعات ومروجيها ، وعدّها سلوكًا منافيًا للأخلاق الحسنة ، والقيم النبيلة التي جاءت بها الشريعة الإسلامية ، وذلك حين أمر أتباعه بحفظ اللسان عن الخوض في ما ينشر الفتنة ويثير الاضطرابات في المجتمع ، وأمرهم بالصدق في أقوالهم ، وحفظ ألسنتهم ، والتثبت من كل ما يصل إلى أسماعهم حتى لا يكونوا سببًا في نشر الفتن ، وإفساد المجتمع ، وتشويه الأعراض ، قال تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}، وقال جلّ شأنه :{مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}، وقال سبحانه:{وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا}، وفي حديث مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ (رضي الله عنه) بعد أن بين له النبيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فرائضَ الإسلام ، وأبوابَ الخير ، قال له : (وَإِنْ شِئْتَ أَنْبَأْتُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ) ، قَالَ معاذ : أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ : (أَمَّا رَأْسُ الْأَمْرِ فَالْإِسْلَامُ ، وَأَمَّا عَمُودُهُ فَالصَّلَاةُ ، وَأَمَّا ذِرْوَةُ سَنَامِهِ فَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْبَأْتُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ) ، فقَالَ: مَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : ( فَأَهْوَى بِإِصْبَعِهِ إِلَى فِيهِ) ، قَالَ: فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّا لَنُؤَاخَذُ بِمَا نَقُولُ بِأَلْسِنَتِنَا؟ قَالَ : (ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ ، هَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي جَهَنَّمَ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟) .

إن نشر الشائعات وترويجها هو سلوك المنافقين في الوصول إلى مآربهم وأهدافهم بزعزعة الأمن ، واستهداف وحدة الوطن ، وإضعاف نمو اقتصاده ، والنيل من استقراره وسلامته ، وبث روح الإحباط واليأس

والتشاؤم في نفوس المواطنين عمومًا والشباب على وجه الخصوص ، ولقد سماهم القرآنُ الكريمُ المرجفينَ ؛ لأن الإرجاف يقصد به الخوض في الأخبار السيئة والفتن التي من شأنها أن تُحدث الاضطراب الشديد في المجتمع ، قال تعالى: {لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا}.

والشائعات إحدى وسائل الحروب التي لم يسلم منها النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فقد حارب المشركون النبيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بترويج الشائعات للنيل من دعوته وتشويه صورته ، فأشاعوا بين الناس كذبًا أنه (صلى الله عليه وسلم) ساحر ، قال تعالى:{وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ}، وادّعوا بهتانًا أنه شاعر ومجنون ، قال تعالى: {وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ}، وتارة أشاعوا أنه كاهن ، فرد الله تعالى عليهم كذبهم وافتراءهم ، قائلًا :{إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ}.

وفي يوم أُحد أشاع المشركون مقتل النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) رغبةً منهم في تفريق المسلمين من حوله ، وإضعاف قوتهم ، فاضطربت صفوف المسلمين وضعفت قواهم النفسية ، وفرَّ بعضهم ، وألقى بعضهم السلاح ، وثبُت بعضهم مع النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) .

وفي يوم حمراء الأسد أشاع المشركون أن قريشًا قد جهزت جيشًا كبيرًا لمهاجمة المدينة ، ومحاربة النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، والقضاء

على الإسلام ، إلا أن المسلمين ثبتوا على دينهم ، ولم تنل منهم تلك الشائعات ، فأثنى الله تعالى عليهم بقوله تعالى: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ}.

وقد عمد أعداء الإسلام إلى إثارة الشائعات بعد تحويل القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام ، فتولى اليهود كِبر التشكيك في صحة التوجه إلى البيت الحرام ، وقالوا : إن كانت القبلة الأولى هي الحق فقد تركتم أيها المسلمون الحق ، وإن كانت القبلة الأولى هي الباطل فعبادتكم السابقة باطلة ، ولو كان محمد (صلّى الله عليه وسلّم) نبيا حقا ما ترك قبلة الأنبياء قبله وتحوّل إلى غيرها ، وما فعل اليوم شيئا وخالفه غدًا.

وقال المنافقون : ما بال المسلمين كانوا على قبلة ثم تركوها؟ ، وقال المشركون: إن محمدًا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قد تحيّر في دينه ، ويوشك أن يرجع إلى ديننا كما رجع إلى قبلتنا. ولكن القرآن الكريم أفسد عليهم خطتهم ، وأحبط مكرهم ، فأخبر الله تعالى نبيه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بما سيقوله هؤلاء السفهاء جميعًا قبل أن يصدر عنهم، ومهّد لتحويل القبلة بما يطمئن النفوس ويثبت الإيمان في القلوب والأفئدة لتقبّل هذا الأمر العظيم ، وكذلك في يوم حنين حين أُشيع أن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قد قُتل ، ووقف (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يبطل هذه الشائعة بنفسه ، قائلاً : ( أنا النَّبيُّ لا كَذِب ، أنا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلب ) .

إن في ترديد الشائعات وترويجها من الخطورة ما لا يخفى على العقلاء من استباحة الدماء والأموال والأعراض واضطراب الحياة ، ولنا في مقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان (رضي الله عنه) خير دليل وشاهد على ذلك ، فقد حاصره المجرمون بسبب الشائعات والأراجيف التي أطلقها عبد الله بن سبأ اليهودي ، بل ومنعوه من شرب الماء وهو الذي اشترى بئر رومة من خالص ماله ، فعن نائلة زوج عثمان (رضي الله عنه) قالت: لما كان اليوم الذي قتل فيه عثمان ، ظل في اليوم الذي قبله صائمًا ، فلما كان عند إفطاره ، سألهم الماء العذب فلم يعطوه ، فنام ولم يفطر ، فلما كان وقت السحر أتيت جارات لي ، فسألتهم الماء العذب، فأعطوني كوزًا من ماء ، فأتيته فحركته فاستيقظ ، فقلت: هذا ماء عذب ، فرفع رأسه فنظر إلى الفجر ، فقال: إني قد أصبحت صائمًا ، وإنّ رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) اطلع عليّ من هذا السقف ومعه ماء عذب ، فقال: (اشْرَبْ يَا عُثْمَانُ) ، فشربت حتى رويت ، ثم قال: (ازْدَدْ) ، فشربت حتى نهلت، ثُمَّ قَالَ: (أَمَا إِنَّ الْقَوْمَ سَيَكْثُرُونَ عَلَيْكَ فَإِنْ قَاتَلْتَهُمْ ظَفِرْتَ وَإِنْ تَرَكْتَهُمْ أَفْطَرْتَ عِنْدَنَا ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ مِنْ يوْمِهِ فَقَتَلُوهُ).

وفي عصرنا الحاضر تغيرت معطيات كثيرة ، وأخذت هذه الصناعة الخبيثة أشكالا مختلفة وصورًا متعددة ومتنوعة ؛ نظرا لما يشهده العالم من تطور كبير وسريع في وسائل التواصل والتكنولوجيا ، حيث أصبحت الإشاعة أوسع انتشارًا ، وأسرع وصولًا ، وأكثر تأثيرًا، بل وأصبحت وسيلة من وسائل الحروب وأساليبها ، فلم تعد الحرب أحادية البعد ، أي أنها لم

تعد عسكرية محضة ، أو أمنية محضة ، ولا حتى مخابراتية محضة بالمفهوم التقليدي للنظم المخابراتية القديمة ، فقد تطورت أساليب الحروب ، من حيث منهجة استخدام سلاح الشائعات وتزييف الوعي الذي صار أمرًا يُدرس ويتم التدريب عليه من قبل بعض الجهات المشبوهة ، وتُوظف له الكتائب الإلكترونية ، مع استخدام أقصى وسائل الحصار والضغط السياسي والاقتصادي والنفسي ، والمحاولات المستميتة في إثارة الشعوب وتأليبها على حكامها ، وتشويه الرموز والمكتسبات الوطنية ، والتشكيك في كل الإنجازات والتهوين من أمرها ، وتحالف الجماعات والقوى الإرهابية ، ومحاولات اختراق المؤسسات ، وإثارة أي نعرات تؤدي إلى الفرقة بآلية مدروسة وغير مسبوقة ، مع التوظيف المدروس للمعلومة ، وتجنيد بعض وسائل التواصل الحديثة بل الكثير منها ، واللعب على وتر الحاجة والمصالح الآنية التي لا يحتمل بعض الناس الصبر عليه ، ومحاولة كسر إرادة الشعوب ، والعمل على كسر هيبة الحكام، والتشكيك في العلماء والمفكرين والمثقفين الوطنيين ، ودعم مناوئيهم ، وتوجيه رسائل التهديد المبطنة تارة والصريحة أخرى للمتمسكين بمبادئهم المخلصين لأوطانهم ، بإبراز مصائر من لم يسر في الركب وينضم للمخطط الآثم ، ويرفع راية التسليم ويركع ويُركّع من خلفه .

ومما لاشك فيه أن قضية الصمود في وجه كل هذه الموجات العاتية أمرًا يحتاج إلى عقيدة إيمانية ووطنية صلبة ، وثقة في الله غير محدودة ، ذلك أن كثيرًا من الناس ربما يستهين بما يقوم به من مشاركة لبعض الأخبار ، أو الإحصائيات ، أو القصص دون التوثق منها ، أو التحقق

من مصدرها ، فيكون ممن شارك في بث الفتنة وإشعالها ، ورب كلمة كاذبة لا أساس لها من الصحة يقولها العبد أو يكتبها أو يشاركها تبلغ الآفاق فتكون سببا في عذابه يوم القيامة ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : ( إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ ) (صحيح البخاري).

**أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم**

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

**إخوة الإسلام** :

لقد وضع الإسلام منهجًا حكيمًا لوقاية المجتمع من الشائعات ، من أهم ملامحه :

* **وجوب التثبت من الأخبار** والتأني قبل نشرها في المجتمع ، قال تعالى :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}، وقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (التَّأَنِّي مِنَ اللهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ) ، وقوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (التُّؤَدَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ) .

* **عدم ترديد الشائعة** عبر أي وسيلة من الوسائل مقروءة أو مسموعة أو مرئية ؛لأن في ترديدها إسهام في ترويجها ونشرها ، فالشائعات تزداد

انتشارًا إذا وُجِدَتْ ألسنة ترددها ، وآذان تصغي إليها ، ونفوس تتقبلها وتصدقها ، قال تعالى:{ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ }، وقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ).

***حسن الظن بالآخرين، وعدم التسرع في اتهامهم** ، قال تعالى : {لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ}، فالمسلم مأمور بأن يحسن الظن ، وأن يحمل ما يصدر عن الآخرين على محمل حسن ؛ لأن سوء الظن مرض فتاك يؤدي إلى اضطراب الحياة ، ونشر الخصومة بين الناس ، ولقد حذر النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) من ذلك بقوله: (إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلاَ تَحَسَّسُوا ، وَلاَ تَجَسَّسُوا ، وَلاَ تَحَاسَدُوا ، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا) .

* **الاستعانة بأهل الخبرة والاختصاص في بيان الحقائق** ، وعدم التعجل في الحكم على الأمور ، قال تعالى في وصف المنافقين :{وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا}، أي : إنهم كانوا يتربصون بأمن واستقرار مجتمع المدينة ، فإذا ما سمعوا شيئًا من الأخبار التي تتعلق بأمن المسلمين أو خوفهم أذاعوها ، أو أظهروها بقصد إشاعة الفزع والقلق والاضطراب .

فلينتفض كل مؤمن غيور على دينه ، مخلص لوطنه للتصدي لتلك الشائعات ، وتكذيبها ، قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، ولنعلم أن الكلمة أمانة سنُسأل عنها أمام الله تعالى يوم القيامة .

ولندرك جميعًا أن أعداءنا قد اتخذوا من حروب الجيل الرابع والجيل الخامس ، ومن حرب الشائعات وتشويه الإنجازات والرموز الوطنية ، ومحاولات النيل من كل ما هو وطني سبيلاً لإفشال دولنا ، أو إسقاطها ، أو تفتيتها ؛ لتحقيق أغراضهم ومآربهم ، فعلينا أن ندرك أننا أمام حرب ضروس تُحاك لنا ، والشائعات وقودها ، فيجب أن نتحقق وأن نتثبت حتى لا نسقط في مكائد أعدائنا ، ويجب أن نثق في أنفسنا وفي قيادتنا وفي جيشنا وشرطتنا ، وألا نعطي أسماعنا لأعداء الوطن ، ومن يعملون على النيل منا ، أو من معنوياتنا ، أو يفكرون في إحباطنا وبث روح اليأس بيننا ، وذلك يتطلب منا تحصين شبابنا ومجتمعنا بالوعي بالواقع ، والإلمام بحجم التحديات التي تواجهنا ، ومحاولة الإسهام في حلها .

اللهم حسّن أخلاقنا ، واحفظ مصرنا ، ووفقنا لما تحب وترضى .

* * *

## منزلة الشهداء والتضحية في سبيل الوطن

الحمد لله رب العالمينَ ، القائلِ في كتابه الكريم : {وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنْ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ}[آل عمران : ١٦٩-١٧١]، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليهِ وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ.

**وبعــد**:

فما أعظم منزلة الشهداء عند ربهم ؛ وما أطيب مكانتهم يوم القيامة، ولم لا؟ فهم من استعلوا على شهواتهم، وانتصروا على رغباتهم، وضحوا بأنفسهم، وبذلوا أرواحهم راضين مقدمين لنيل شرف الشهادة في سبيل الله ؛ نصرة للدين، ورغبة في عزة البلاد ورفعتها، ورفضًا للدنية والمذلة، لذا استحقوا أن يكونوا اصطفاءَ اللهِ تعالى من المؤمنين، وفي معية الأنبياء والصديقين والصالحين، قال تعالى: {وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ}[آل عمران: ١٤٠]، وقال جل شأنه: {وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}[النساء: ٦٩].

إن الشهادة في سبيل الله تعالى صفقته رابحة، وتجارة لن تبور، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}[التوبة : ١١١]، ولقد من الله (عز وجل) على الشهداء بأعظم الكرامات ، منها :

**أنهم أحياء عند ربهم يرزقون** ، فعن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما)، قال: لَمَّا قُتِلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ – يَوْمَ أُحُدٍ – لَقِيَنِي رَسُولُ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ)، فَقَالَ: يَا جَابِرُ، مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اسْتُشْهِدَ أَبِي، وَتَرَكَ عِيَالاً وَدَيْنًا، قَالَ: أَفَلاَ أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: (مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلاَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَكَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحًا، فَقَالَ: يَا عَبْدِي، تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ، قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي، فَأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيَةً، فَقَالَ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ: إِنَّهُ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لاَ يَرْجِعُونَ، قَالَ: يَا رَبِّ، فَأَبْلِغْ مَنْ وَرَائِي)، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}(سنن ابن ماجه).

**كما أنهم لا يشعرون بآلام القتل**، قال (صلى الله عليه وسلم): (مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ الْقَتْلِ إِلاَّ كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَسِّ الْقَرْصَةِ)(سنن الترمذي).

**ولهم هيئة خاصة بهم يوم القيامة**، قال (صلى الله عليه وسلم): (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللهِ – وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ

فِـي سَـبِيلِهِ- إِلاَّ جَـاءَ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ وَاللَّـوْنُ لَـوْنُ الـدَّمِ وَالـرِّيحُ رِيـحُ الْمِسْكِ)(صحيح البخاري).

**كمـا أن الله سـبحانه ينجـيهم مـن فتنـة القـبر ومـن الصـعق يـوم القيامة**، فقد روي أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا بَالُ الْمُـؤْمِنِينَ يُفْتَنُـونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيدَ؟ قَالَ (صلى الله عليه وسلم): (كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَـةً) (سنن النسائي)، وعـن أبـي هريـرة (رضـي الله عنـه) عـن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه سأل جبريل عن هذه الآيـة: {وَنُفِخَ فِـي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَـنْ فِـي الأَرْضِ إِلا مَـنْ شَـاءَ اللَّـهُ}، مـن الذين لم يشأ الله أن يصعقهم؟ قال: (هم شهداء الله) [مستدرك الحاكم].

**والشهداء أول من يقضي بينهم يـوم القيامـة مـع النبـيين**، قـال تعـالى: {وَأَشْـرَقَتِ الْـأَرْضُ بِنُـورِ رَبِّهَـا وَوُضِـعَ الْكِتَـابُ وَجِـيءَ بِـالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}[الزمر: ٦٩].

كما أن للشهداء عند ربهم **مغفرة الذنوب والفوز بالجنة**، قـال تعـالى: {فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُـوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّـوَابِ}[آل عمران: ١٩٥]، وقـد جـاءت أم حارثه (رضي الله عنه) النبي (صلى الله عليه وسلم)، فقالت: (يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ؟ وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ، أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ، فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبَرْتُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ، قَالَ (صلى الله عليه وسلم): (يَا أُمَّ حَارِثَةَ، إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى) (صحيح البخاري).

**وأرواح الشهداء في جوف طير خضر** : روى مسلم في صحيحه من حديث مسروق قال: سألنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن هذه الآية: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}[آل عمران: ١٦٩]، قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال: (أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل ...) (صحيح مسلم).

قال ابن النحاس: (جعل الله أرواح الشهداء في ألطف الأجساد وهو الطير، الملون بألطف الألوان وهو الخضرة، يأوي إلى ألطف الجمادات وهي القناديل المنورة والمفرحة في ظل عرش اللطيف الرحيم؛ لتكمل لها لذة النعيم في جوار الرب الكريم).

هذا إلى جانب: **المنح العظيمة التي اختص الله بها الشهداء** ، قال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الوَقَارِ ، اليَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الحُورِ العِينِ ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ) (سنن الترمذي) .

ولا أدل على فضل الشهادة وعظم مكانتها وعلو أجرها من تمني النبي (صلى الله عليه وسلم) إياها ، فقد قال (صلى الله عليه وسلم): (...وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ) (صحيح البخاري)، فالشهيد هو من يتمنى أن يرجع إلى الدنيا لينال شرف وكرامة الشهادة في سبيل الله تعالى عدة مرات، يقول: (صلى الله عليه وسلم) : (مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْخُلُ

الْجَنّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَأَنّ لَهُ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرُ الشّهِيدِ، فَإِنّهُ يَتَمَنّى أَنْ يَرْجِعَ، فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرّاتٍ ، لِمَا يَرَى مِنَ الْكَرَامَةِ) (صحيح مسلم).

ولذلك كان أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) يحرصون على الشهادة، ويسارعون لنيلها، فهذا عمرو بن الجموح (رضي الله عنه) الصحابي الأعرج الذي قال لبنيه يوم بدر: أخرجوني: (أي للقتال)، فذُكر للنبي (صلى الله عليه وسلم) عرجه ، فأذن له في البقاء، فلما كان يوم أحد ، خرج الناس للجهاد ، فقال لبنيه: أخرجوني، فقالوا له: قد رخص لك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في عدم الخروج للقتال، فقال لهم: هيهات هيهات!! منعتموني الجنة يوم بدر ، والآن تمنعونيها يوم أحد!! فأبى إلا الخروج للقتال، فأخرجه أبناؤه معهم، فجَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ قُتِلَ الْيَوْمَ دَخَلَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ (صلى الله عليه وسلم): (نَعَمْ)، قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أرجعُ إِلَى أَهْلِي حَتَّى أَدْخُلَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ (رضي الله عنه): يَا عَمْرُو ، لَا تَأَلَّ عَلَى اللَّهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (مَهْلًا يَا عُمَرُ، فَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَّره، مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ، يَخُوضُ فِي الجنة بعرجته) (صحيح ابن حبان).

على أننا نؤكد أن من فضل الله (عز وجل) على عباده أن الشهادة لا تقتصر على شكل واحد ؛ وإنما دروب الشهادة في سبيل الله متعددة، يَقُولُ(صلى الله عليه وسلم): (مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ

دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ) (سنن الترمذي)، وفي رواية أخرى يقول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (... الْقَتِيلُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ الْهَدْمِ شَهِيدٌ، وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَالْغَرِيقُ شَهِيدٌ، وَمَنْ أَكَلَهُ السَّبُعُ شَهِيدٌ، وَالسَّلِيمُ شَهِيدٌ (يَعْنِي اللَّدِيغَ)، وَصَاحِبُ السُّلِّ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ شَهِيدٌ، وَمَنْ ذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ ثُمَّ مَاتَ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَالنُّفَسَاءُ، وَمَنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ يُرِيدُ أَنْ تَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَكَلِمَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى شَهِيدٌ ) (المعجم الكبير للطبراني)، وقال (صلى الله عليه وسلم): (الشُّهَدَاءُ خَمسَةٌ: المَطعُونُ، وَالمبْطُونُ، والغَرِيقُ، وَصَاحبُ الهَدْم، وَالشّهيدُ في سبيل اللّه) (متفق عليه)، ولا يحرم من فضل الشهادة من سألها بصدق نية، قال (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ) (صحيح مسلم).

إن الشهيد الحق هو من اعتنق الحق، وأخلص له، وضحى في سبيله، قال (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ) (متفق عليه)، وهو الذي يأبى الدنية، ويرفض المذلة والهوان، ويقاوم من يحاول أن يستولى على ماله أو متاعه ، فقد جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قَالَ: (فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ)، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: (قَاتِلْهُ)، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: (فَأَنْتَ شَهِيدٌ)، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: (هُوَ فِي النَّارِ) (صحيح مسلم).

**أقولُ قولِي هذَا، وأستغفرُ اللّهَ لِي ولكُمْ**

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لاَ شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ سيدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عبدُه ورسُولُه، اللهُمَّ صَلِّ وسلمْ وَبارك عليهِ، وَعلى آلهِ وصحبهِ أجمعينَ، وَمن تَبعَهُمْ بإحسانٍ إلِىَ يومِ الدِّين.

**إخوة الإسلام**:

لا شك أن هناك فرقا كبيرًا يمثل الفرق بين الحق والباطل، بين الشهداء الذين ضحوا بأرواحهم نصرة لدين الله تعالى وحفاظا على الوطن ودفاعًا عن الدماء والأعراض والأموال ، وبين أولئك الذين يقتلون الأبرياء غدرًا وخيانة ، فهؤلاء – أيًّا كان دينهم – بغاة مفسدون، قال عنهم ربنا (جل جلاله): {إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}[المائدة : ٣٣]، فهذه أفعال لا يقرها دين، ولا عقل سليم، ولا إنسانية سوية، وديننا الحنيف السمح يرفض كل مظاهر الفساد والتخريب والتدمير والتخلف، ويدعو لكل إصلاح وتعمير وتقدم وحضارة.

ولا شك في أن التقدم والبناء والتفوق وصنع الحضارة يضمن للأمة العزة والكرامة واحترام الناس ، ونحن أهل لذلك ، ونمتلك – بفضل الله – ما يؤهلنا لبناءِ بلادنا، والإسهام في تقدمِها وازدهَارها، من خلال العمل بإيجابية على وحدة الصف، ونبذ كل ألوان الفرقة، فإن والشقاق والطائفية والمذهبية، وسائر النعرات القبلية، لا تأتي بخير ؛ وإنما تبث العداوة والبغضاء، وقد أمرنا الله تعالى بالاعتصام والوحدة، قال سبحانه: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا}[آل عمران : ١٠٣]، وقال (جل

شأنه): {وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ}[الأنفال: ٤٦]، وقال سبحانه: {وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}[آل عمران:١٠٥]، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ (رضي الله عنه) قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) خَطًّا، فَقَالَ: (هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ)، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: (وَهَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ)، ثُمَّ تَلَا : {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا}[الأنعام:١٥٣] (صحيح ابن حبان).

إنّ مصر هي الدرع الحصين للعروبة، والقلب النابض للإسلام، والذود عن حماها واجب شرعي ووطني، ومحاولة النيل منها هي محاولة لهدم الأمة الإسلامية والعربية كلها، فلنقف صفا واحدا في سبيل الذود عن ديننا ووطننا ضد أي اعتداء، أو تخريب، أو ترويع، وذلك حق لبلادنا علينا جميعًا، فوطننا يستحق منا الحفاظ عليه والتضحية في سبيله ، فالشهيد الحق هو الذي يذود عن أرضه وعرضه ووطنه ، فليس الوطن والعرض أقل خطرًا ومكانة عند المسلم من نفسه ودينه وماله ومتاعه ، وقد قال (صلى الله عليه وسلم) : ( مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ ، أَوْ دُونَ دَمِهِ ، أَوْ دُونَ دِينِهِ ، فَهُوَ شَهِيدٌ) (سنن أبي داود).

ولله در شوقي في قوله:

وَلِلأَوطانِ في دَمِ كُلِّ حُرٍّ يَدٌ سَلَفَت وَدَينٌ مُستَحِقُّ

اللَّهُمَّ أَمِّنا في أوطاننا ، واحفظ لنا ديننا ، وبلغنا مما يرضيك آمالنا، وتوفنا وأنت راض عنا يارب العالمين .

* * *

# فقه بناء الدول

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، القَائِلِ فِي كِتَابِهِ الكريم: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ والعُدْوَانِ}[المائدة: ٢]، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

**وَبَعْدُ**:

فلا شك أن جميع الأمم والشعوب تسعى إلى بناء دولة قوية مستقرة، بكل ما تملك من طاقاتها ومواردها، وذلك لتحقيق أهدافها، وبناء الدول علم يحتاج إلى خبرة ودراية وإلمام بأحوالها والتحديات التي تواجهها، وشتان بين فقه الأفراد والجماعات وفقه بناء الدول وإرادتها في عالم سريع التحول والتغير لا يعرف سوى لغة التحالفات والتكتلات السياسية والاقتصادية والثقافية، وتحكمه قواعد وقوانين ومعاهدات دولية لا يمكن لعاقل فضلاً عن دولة تجاهلها أو عدم التعامل معها أو عدم التكيف مع ما يفرضه الواقع الراهن.

فَالدَّوْلَةُ حِمَايَةٌ، الدَّوْلَةُ أَمَانٌ، الدَّوْلَةُ ثِقَةٌ، الدَّوْلَةُ اسْتِقْرَارٌ، الدَّوْلَةُ نِظَامٌ، الدَّوْلَةُ مُؤَسَّسَاتٌ، الدَّوْلَةُ بِنَاءٌ فِكْرِيٌّ وَسِيَاسِيٌّ وَاقْتِصَادِيٌّ وَتَنْظِيمِيٌّ وَتَشْرِيعِيٌّ، وَبِدُونِ الدَّوْلَةِ لاَ يُوجَدُ إِلاَّ الفَوْضَى.

**ومن أهم عوامل بناء الدول**: تقوية مؤسسات الدولة الوطنية، وإعلاء دولة القانون، دولة الدستور، دولة العدل، وذلك يتطلب احترام الأفراد

لقوانين الدولة وأنظمتها، والالتزام بقواعد المرور وضوابطه، ولا يخالفها بالسير عكس الاتجاه ، أو بزيادة السرعة ، أو غير ذلك من الأمور التي تعتبر تعديًا على حقوق الطريق ، وعلى حقوق الناس، والتي قد تتسبب في إزهاق روحه أو أرواح غيره ، أو إصابتهم ، أو ترويعهم ، والله (عز وجل) يقول: {وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (لَا ضَرَرَ ولا ضِرَار) (سنن ابن ماجه).

فحفظ النظام واحترامه ، يسهم في بناء دولة قوية مستقرة ؛ إذ لا بد لكل مجتمع من قواعد وقوانين تضبط سلوك أفراده ، وتحفظ للإنسان حقوقه، ويُلزم فيها بأداء ما عليه من واجبات، وبدون احترام النظام، وإعلاء دولة القانون لا تستقر دول ولا تتحقق عدالة.

إن احترام القوانين والالتزام بها يُعدُّ من أهم عوامل بناء الدولة، فالقانون حماية لكل المواطنين ، إذ لا يتصور بقاء المجتمع مستقرًّا دون احترام القوانين، فلا بد وأن يتحمل كل فرد فيه مسئوليته لتتحقق المصلحة العامة التي يحصد ثمارها المجتمع كله ، يقول نبينا (صَلى اللهُ عَلَيه وسلم): (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، الإِمَامُ رَاعٍ ومَسْئولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ ومَسْئولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)(صحيح البخاري) ، فالمجتمع المسئول مجتمع متماسك ، يعرفُ كل واحد فيه دوره ، ويحترم غيره، فما أحوجنا إلى احترام النظام والتزام القوانين ، ومراعاة حقوق الآخرين ، حتى يسود العدل ، وينعم

المجتمع كله بالأمن والأمان والاستقرار، ونرى بلادنا في المكانة التي تليق بها بين الأمم.

**ومن عوامل بناء الدول**: **البناء الاقتصادي**، فهو من أهم دعائم الدولة الأساسية التي لا تقوم ولا تُبنى إلا بها، فالاقتصاد القوي يمكن الدول من الوفاء بالتزاماتها المحلية والدولية، وتوفير حياة كريمة لأبنائها، وحين يضعف الاقتصاد ينتشر الفقر والمرض، وتضطرب الحياة، وتفسد الأخلاق، وتكثر الجرائم، وتكون الفرصة واسعة أمام الأعداء المتربصين بالدول، العاملين على إسقاطها وإدخالها في فوضى لا تنتهي، فالأمم التي لا تنتج مقوماتها الأساسية، وتكون عالة على غيرها لا تملك كلمتها ولا استقلال قرارها.

إن الاقتصاد القوي للدولة يمكنها من العيش بكرامة وعزة بين الدول؛ لذلك عُني الإسلام عناية كبيرة بالمال ؛ لأنه عصب الحياة، ولا يمكن أن تسير إلا به.

**وبناء الدول اقتصاديا يتطلب إتقان العمل وزيادة الإنتاج**، فلا تنهض أي أمة، أو مؤسسة، أو أسرة إلا بالعمل والإتقان، وليس المطلوب مجرد العمل أو زيادته، بل لا بد من الإتقان مع زيادة الإنتاج الذي يكون له مردود اقتصادي على جميع أفراد الدولة، وقد حثنا ربنا سبحانه وتعالى على العمل والسعي في الأرض فقال: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[الجمعة: ١٠]، وقال سبحانه: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ}[الملك:١٥]، وقد عدَّ النبي (صلى الله عليه

وسلم) أفضل ما أكل العبد ما كان من سعيه وكدِّه، حيث قَالَ (صلى الله عليه وسلم): (مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَاماً قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ الله دَاوُدَ (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ)(صحيح البخاري)، وقال (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ أَمْسَى كالًّا مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ أَمْسَى مَغْفُورًا لَهُ) (المعجم الأوسط للطبراني).

وفي الدعوة إلى الإنتاج يقول (صلى الله عليه وسلم): (إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلَيَغْرِسْهَا)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ ) (مسند الإمام أحمد)، فبالعمل والإنتاج تعمر الأرض وتبنى الدول ، ويحفظ المرء مروءته وكرامته.

**ومن عوامل بناء الدول**: **بناء الوعي الثقافي، والديني، والفكري، والعلمي**، فإن غياب الوعي أو ضعفه لا يمكن أن يسهم في بناء دولة قوية مستقرة، ومن ثم لابد أن يرتفع الوعي لدى أفراد المجتمع، ويعرف كل منهم واجباته وحقوقه، ويتمثل ذلك في تشكيل الوعي والوجدان والسلوك لأفراد الأمة جميعًا، من

خلال التربية الأخلاقية، والثقافة النافعة، ومواجهة الجهل، لذا يجب على جميع مؤسسات الدولة أن تتكاتف من أجل بناء الوعي الثقافي، والديني، والفكري، والعلمي، الذي يمكن الناس من إدراك حجم التحديات لمواجهتها ومجابهتها، ومواجهة الشائعات وتفنيدها ووأدها في مهدها، وَعَدَمِ الانْسِيَاقِ وَرَاءَ الأَرَاجِيفِ والأَكَاذِيبِ والشَّائِعَاتِ المُغْرِضَةِ،

الَّتِي تُحَاوِلُ أَنْ تَنَالَ مِن بلدنا، حيث يقول سبحانه: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}[الحجرات: ٦].

كما يجبُ أن نكون في يقظة ووعي، وأن نتعظ بغيرنا، وأن نستفيد من تجارب الحياة وخبراتها، حيث يقول سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ}[النساء: ٧١]، ويقول نبينا (صَلى الله عَلَيه وَسَلم): (لاَ يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ)(صحيح البخاري)، ولنعلم أن بناء الدولة والحفاظ عليها أمانة في أعناقنا جميعًا، كل في مجاله وميدانه، مع تأكيدنا أن البناء لا يتم إلا بالأخذ على يد الهدامين، يقول الشاعر صالح بن عبد القدوس:

مَتَى يَبْلُغُ الْبُنْيَانُ يَوْمًا تَمَامَهُ ... إِذَا كُنْتَ تَبْنِيهِ وَغَيْرُكَ يَهْدِمُ

(البيان والتبيين للجاحظ)

ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: تَحْجُزُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ)(صحيح البخاري)، فعلى كل منا في نطاق مسئوليته أن يأخذ على يد من يخرج على الصف الوطني أو يضر بمصلحة الوطن، فيأخذ الوالد على يد ولده، والأخ على يد أخيه، والصديق على يد صديقه، ولا نكون سلبيين غير عالمين بما يدور حولنا، يقول (صلى الله عليه وسلم): ( لاَ تَكُونُوا إِمَّعَةً، تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلاَ تَظْلِمُوا) (سنن

الترمذي)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا ) (صحيح البخاري).

فلا يكفي أن يكون الإنسان صالحًا في ذاته، إنما فقه المرحلة يتطلب تجاوز مرحلة الصلاح إلى مرحلة الإصلاح، حيث يقول سبحانه: {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}[النساء: ١١٤]، ويقول (عز وجل): {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ}[هود: ١١٧]، فالإصلاح طريق الأنبياء والمرسلين، وبه يتحقق بناء الدول، والحفاظ على وحدتها وقوتها وتماسكها وترابطها، لكي تعيش البشرية في سلام وصفاء، لا نزاع ولا شقاق، ولا عنف ولا إرهاب، ولا إفساد في الأرض بالقتل والتخريب .

**أقولُ قولِي هذَا، وأستغفرُ اللهَ لِي ولكُمْ**

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لاَ شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ سيدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عبدُه ورسُولُه، اللهُمَّ صَلِّ وسلمْ وَبارِكْ عليهِ، وَعلى آلهِ وصحبهِ أجمعينَ، وَمن تَبعَهُمْ بإحسانٍ إلىَ يومِ الدِّين .

**إخوةَ الإسلام** :

ومن عوامل بناء الدولة والحفاظ عليها: **البناء الاجتماعي**، فقد حرص

الإسلام على قوة الروابط والعلاقات الاجتماعية التي تقوم بين أفراد المجتمع، والتكاتف والتراحم بين أبناء المجتمع الواحد، وعدم إلحاق الضرر بالآخرين، انطلاقًا من قوله (صلى الله عليه وسلم): (لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتّى يُحِبّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) (صحيح البخاري)، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ) (صحيح البخاري). وقال (صلى الله عليه وسلم): (مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبْعَانًا وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ) (المعجم الكبير للطبراني).

**ومن مظاهر البناء الاجتماعي**: **التماسك الأسري**، الذي يحتفظ للأسرة بكيانها، فالأسرة هي اللبنة الأولى التي يتكون فيها صرح المجتمع، وهي التي تتولى حماية النشء ورعايته وتنمية أجساده وعقوله، وفي ظلها تتلاقى مشاعر الحب والرحمة والتكافل، وفي أحضان الأسرة المتماسكة تنمو الخلال الطيبة، وتنشأ الخصال الكريمة، وتسود المودة، غير أن الأمر لا يقف عند ذلك، فإن على الأسرة مسئولية تجاه أبنائها، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَعُولُ) (السنن الكبرى للنسائي)، وأي ضياع أكبر من أن تترك أبناءك وفلذات أكبادك عرضة للأفكار الضالة أو الجماعات الضالة دون أن تقوم بواجبك نحوهم في تنمية وعيهم بالمخاطر والتحديات المحيطة بنا، كما نذكرهم دائما بواجبهم تجاه وطنهم، فحب الوطن يورث، يقول أحمد شوقي في ديوانه:

نقوم على الحماية ما حيينا    ونعهد بالتمام إلى بنينا

وفيك نمــوت مصـــر كما حيينــا ويبقى وجهـــك المفـــدى حيًّا

**ومن عوامل بناء الدولة**: **إعلاء القيم الأخلاقية والسلوكية**، فالأمم والحضارات التي لا تبنى على القيم والأخلاق أمم هشة، وحضارات أكثر هشاشة، بل إنها لتحمل عوامل سقوطها في أصل بنائها وعوامل قيامها، فبالأخلاق يرتقِي المسلمُ فِي درجاتِ الإيمانِ، وتثقل موازينه عند الميزان، قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ في مِيزَانِ العبدِ المُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ، وَإِنَّ الله يُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيَّ) (سنن الترمذي).

ولما سئل (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَنْ أكثرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: (تَقْوَى اللهِ، وَحُسنُ الخُلُقِ) (سنن الترمذي).

وعد رسول الله الأخلاق معيار كمال الإيمان أو نقصه، فقال (صلى الله عليه وسلم): (أَكْمَلُ المُؤمنينَ إيمَانًا أحسَنُهُمْ خُلُقًا... )(سنن أبي داود).

إن الأخلاق تعصم صاحبها من الفواحش، ومن الكلمة الخبيثة الهدامة، حيث يقول سبحانه: {وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ}[إبراهيم: ٢٦].

نسأل الله عز وجل أن يهدينا لأحسن الأخلاق وطيب القول ، وأن يديم عَلَيْنا نِعْمَةَ الأَمْنِ والأَمَانِ والاسْتِقْرَارِ ، وأن يحْفَظْ مِصْرَ وَأَهْلَهَا وسائر بلاد العالمين من كل سوء ومكروه .

* * *

## ذكر الله تعالى وأثره في استقامة النفس البشرية

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}[الرعد:٢٨]، وأَشهدُ أنْ لاَ إلـهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَـهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ وعلَى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين.

**وبعد**:

فإن الله (عز وجل) قد أمر عباده بالإكثار من ذكره، ووعدهم بعظيم الأجر على ذلك، فقال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا}[الأحزاب: ٤١، ٤٢]، ويقول جل شأنه: {وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا}[الأحزاب: ٣٥]، ويقول تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}[الأنفال:٢، ٣، ٤]، ورغب النبي (صلى الله عليه وسلم) الأمة في الإكثار من ذكر الله، وحثهم عليه، فقال (صلى الله عليه وسلم): (ألا أنبِّئُكُم بخَيرِ أعمالِكُم، وأزكاها عندَ مَليكِكُم، وأرفعِها في درَجاتِكُم، وخَيرٌ لكُم مِن إنفاقِ الذَّهبِ والورِقِ، وخَيرٌ لكُم مِن أن تَلقوا عدوَّكُم، فتضرِبوا أعناقَهُم، ويضرِبوا أعناقَكُم؟)، قالوا: بلَى يا رسولَ اللَّهِ، قالَ: (ذِكرُ اللَّهِ) (سنن الترمذي)، وعندما جاء رجل إلى النبي (صلى الله عليه وسلم)، يقول: يَا رَسُولَ اللَّهِ

إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَنْبِئْنِي مِنْهَا بِأَمْرٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ ، قَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا بِذِكْرِ اللَّهِ) (مصنف ابن أبي شيبة).

إن ذكر الله تعالى عبادة عظيمة القدر ، ميسورة الفعل، فضائلها أكثر من أن تعد أو تحصى، ومما ورد في بيان فضلها، وعظيم قدرها ما جاء عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رضي الله عنه)، أنه قَالَ: خَرَجَ مُعَاوِيَةُ (رضي الله عنه) عَلَى حَلْقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ (عز وجل)، قَالَ آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟ قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّي، وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: (مَا أَجْلَسَكُمْ؟)، قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ: (آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟)، قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: (أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي، أَنَّ اللهَ (عَزَّ وَجَلَّ) يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ)(صحيح مسلم).

والذكر حياة القلوب، وأحب الكلام إلى الله (عز وجل)، فعن أبي موسى (رضي الله عنه) أن النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) قال: (مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ)، وفي لفظ مسلم أنه (صلى الله عليه وسلم) قال: (مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللّهُ فِيهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي لاَ يُذْكَرُ اللّهُ فِيهِ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ)(صحيح مسلم)، وعَنْ أَبِي ذَرٍّ (رضي الله عنه)، أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَادَهُ يومًا، فَقَالَ:

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الكَلَامِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ (عَزَّ وَجَلَّ)؟ قَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (مَا اصْطَفَى اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ : سُبْحَانَ رَبِّي وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ رَبِّي وَبِحَمْدِهِ)(سنن الترمذي)، وعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ) (صحيح مسلم).

ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (... سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ)، قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: (الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ) (صحيح مسلم)، ولذلك كان ذكر الله تعالى وصية النبي (صلى الله عليه وسلم) لسيدنا معاذ (رضي الله عنه)، حيث قَالَ (صَلَّى الله عليه وسلم) له يومًا: (يَا مُعَاذُ، إِنِّي والله لأحبك)، فقال معاذ: بأبي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَنَا وَاللَّهِ أُحِبُّكَ، فَقَالَ: (أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ، لَا تَدَعْ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ) (سنن أبي داود).

إنّ ذكر الله (عز وجل) عبادة تلازم العبد في جميع أحواله، والمسلم مأمور بأدائها في كل وقت، وعلى أية هيئة، حيث يقول الحق سبحانه: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ}[آل عمران: ١٩٠، ١٩١]، فحياة المسلم كلها ذكر ؛ في عبادته، وفي أعماله، فالصلاة ذكر، حيث يقول الحق سبحانه: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي}[طه:١٤]، ويقول سبحانه: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ}[العنكبوت:٤٥]، أي: إن الصلاة فيها مقصودان عظيمان ؛ الأول:

أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، والثاني: أنها ذكر لله (عز وجل)، والمقصود الثاني وهو ذكر الله (عز وجل) أكبر وأعظم.

ولقد شرع لنا النبي (صلى الله عليه وسلم) كثيرًا من الأذكار التي ينبغي للمسلم أن يحرص عليها، فعن أبي هريرة (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِذَا أَصْبَحَ، قَالَ: (اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ)، وَإِذَا أَمْسَى قَالَ: (اللَّهُمَّ بِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نموت، وإليك المصير) (سنن أبي داود)، وقال (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ فَمِنْكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، لَكَ الْحَمْدُ، وَلَكَ الشُّكْرُ، فقد أَدَّى الشُّكْرَ) (سنن أبي داود)، ومن فعل مثلَ ذلكَ حينَ يمسي، فقد أدّى شكرَ ليلتِهِ، فما أجمل أن يبدأ الإنسان يومه بذكر الله، ويختم يومه بذكر الله، وهو فيما بين ذلك مداوم على ذكر مولاه.

كما أن هناك أذكارًا تقال عند **الخروج من البيت**، **وعند دخوله**، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ قَالَ إِذَا خَرَج مِنْ بيْتِهِ: بِسْمِ اللَّهِ توكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، وَلا حوْلَ وَلا قُوةَ إلاَّ باللَّهِ، يقالُ لهُ: هُديتَ، وَكُفِيت، ووُقِيتَ، وتنحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ) (سنن أبي داود)، وعن أُمِّ سلمةَ (رضي الله عنها)، قالت: ما خرَجَ النبي (صلى الله عليه وسلم) مِن بيتي قطُّ إلا رفعَ طَرْفهُ إلى السماءِ وقال: (اللَّهُم اني أعوذُ بِكَ أن أَضِلَّ أو أُضَلَّ، أو أَزلَّ أو أُزَلَّ، أو أَظْلِمَ أو أُظلَمَ، أو أجهَل أو يُجْهَل عَليَّ (سنن أبي داود)، ومن أذكار دخول البيت قوله (صلى الله عليه وسلم): (إِذَا

وَلَجَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَوْلَجِ، وَخَيْرَ الْمَخْرَجِ، بِسْمِ اللَّهِ وَلَجْنَا، وَبِسْمِ اللَّهِ خَرَجْنَا، وَعَلَى اللَّهِ رَبِّنَا تَوَكَّلْنَا، ثُمَّ لِيُسَلِّمْ عَلَى أَهْلِهِ) (سنن أبي داود)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ، كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟)، فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: (يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ) (صحيح مسلم).

كما أن هناك أذكارًا تقال عند **الأكل والشرب**، كالتسمية في أوله، والحمد في آخره، فعن عُمَرَ بْن أَبِي سَلَمَةَ (رضي الله عنه)، قال: " كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (يَا غُلَامُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ) (صحيح البخاري)، وكان رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِذَا أَكَلَ طَعَامًا قَالَ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا، وَسَقَانَا، وَجَعَلَنَا مُسْلِمِينَ) (سنن أبي داود).

كما سنّ لنا النبي (صلى الله عليه وسلم) **ذكر الله** (**عز وجل**) **عند دخول السوق**، وبين لنا عِظم أجره، فقَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ قَالَ حِينَ يَدْخُلُ السُّوقَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ كُلُّهُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَبَنَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ) (سنن الترمذي).

كما ينبغي للمسلم أن يذكر الله **عند رؤية ما يعجبه**، فيقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، قال الله تعالى: {ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء

الله لا قوة إلا بالله}[الكهف:٣٩]، وكذلك عند رؤية أهل البلاء ينبغي له أن يحمد الله في سره ، يقول (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ فَجِئَهُ صَاحِبُ بَلَاءٍ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا، عُوفِيَ مِنْ ذَلِكَ الْبَلَاءِ ، كَائِنًا مَا كَانَ)(سنن ابن ماجه).

كما أن المؤمن يلجأ إلى ربه بالذكر **عند الكرب**، قال تعالى: {وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ}[الأنبياء: ٨٧، ٨٨]، وكَانَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقول عِنْدَ الكَرْبِ : (لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ)(صحيح البخاري).

هذه جملة من الأذكار سنها لنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من واظب عليها **كانت له هداية ونجاة من الغفلة**، **وحرزًا من الشيطان**، يقول الحق سبحانه: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ}[الزمر:٢٣]، ويقول سبحانه: {وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ}[الأعراف: ٢٠٥]، ويقول جل شأنه: {وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ}[الزخرف:٣٦].

**أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.**

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ.

**إخوة الإسلام** :

لقد كان ذكر الله (عز وجل) لدى أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) منهج حياة يطبقونه عمليًّا ، فكان مجتمعهم عامرًا بمراقبة الله تعالى، والبعد عن التعدي، ومن ذلك ما كان من سيدنا أبي بكر (رضي الله عنه) حين ولى سيدنا عمرَ بن الخطاب (رضي الله عنه) القضاء، فمكث سيدنا عمر (رضي الله عنه) سنةً كاملةً لا يتقدم إليه أحدٌ، وعندها طلب من الصديق (رضي الله عنه) إعفاءه من القضاء، فقال: أمن مشقة القضاء تطلب الإعفاء يا عمر؟ قال عمر (رضي الله عنه): لا يا خليفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؛ ولكن لا حاجة بي عند قوم مؤمنين،عرف كل منهم ما له من حق، فلم يطلب أكثر منه،وما عليه من واجب فلم يقصر في أدائه، أحب كل منهم لأخيه ما يحب لنفسه، إذا غاب أحدهم تفقدوه ، وإذا مرض عادوه ، وإذا افتقر أعانوه ، وإذا احتاج ساعدوه، وإذا أصيب عزوه وواسوه ، دينهم النصيحة ، وخلقهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ففيمَ يختصمون؟ ففيمَ يختصمون؟.

إن العبد المسلم إذا حقق ذكر الله تعالى في قلبه، وردده بلسانه، وطبقته جوارحه، استقامت له نفسه، ونال رضا الله تعالى، وبارك الله (عز وجل) في رزقه، وانجلي حزنه، وغمرته السكينة والرحمة .

اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ ، وَشُكْرِكَ ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ ، واحفظ بلدنا مصر ، واجعلها أمنًا أمانًا سخاءً رخاءً وسائر بلاد العالمين .

## هذا هو الإسلام

الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه الكريم:{وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} [ النساء : ١٢٥] ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

**وبعــــد**:

فإن الإسلام الحقيقي استسلام ، وطاعة ، وانقياد لله (عز وجل)، ومحبة، واتباع، واقتداء بسيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وحسن خلق، وخشوع وخضوع، وطيب نفس، وطلاقة وجه في التعامل مع الناس جميعًا، ورأفة، ورحمة، وجمال مع الكون كله، وبناء وتشييد، وحضارة وعمران، فالإسلام منهج حياة يعيشه أتباعه في حركاتهم وسكناتهم وجميع أفعالهم .

إن الإسلام دين يدعو إلى الصلاح والإصلاح وإعمار الدنيا بالدين، وليس تخريبها باسم الدين، دين يدعو إلى الرحمة والأمن والأمان والسلام للعالم كله، حيث يقول الحق سبحانه: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}[الأنبياء: ١٠٧].

إن المتدبر لأركان الإسلام التي جاءت في حديث جبريل (عليه السلام) حين سأل النبي (صلى الله عليه وسلم)، قائلًا: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا

اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا...) [صحيح مسلم] يدرك أنها تسهم في بناء شخصية سوية، فحين يعتقد الإنسان بأنّ الله واحد لا شريك له، وأنّ سيدنا محمدًا (صلى الله عليه وسلم) عبده ورسوله، يسعى في تحقيق هذه الشهادة، طاعة ومراقبة لله رب العالمين، فيلتزم أوامره، ويجتنب نواهيه، ويقف عند حدوده، فلا يقصر فيما كُلف به، ولا يطلب ما ليس له، كما أنه يجتهد في حسن اتباعه للنبي (صلى الله عليه وسلم)، ومعاملة الناس بما كان يعاملهم (صلى الله عليه وسلم) ؛ من رأفة، ورحمة، وتواضع، ولين.

فإن الصلاة التي هي أعظم أركان الإسلام تعود ثمارها على العبد ؛ نهيًا عن الفحشاء والمنكر، واستقامة على طريق الله، فيعيش المسلم في سلم وسلام مع نفسه، ومع المجتمع كله، يقول الحق سبحانه: {اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ}[العنكبوت:٤٥ ].

وأداء الزكاة فيه من الجوانب الإيمانية والإنسانية ما فيه ؛ فإنه يهذب النفس من التعلق بالماديات، حتى يدرك الإنسان أن المال وسيلة وليس غاية، كما أنه باب للتعاون، والتراحم، والشعور بالآخرين، فالمجتمع المسلم لا يَعْرِف أنانية، ولا سلبية، فديننا دين العطاء، والبذل، والتضحية، والفداء، والإيثار، لا الأثرة، ولا الشح، ولا البخل، فالمؤمن سمحٌ جوادٌ كريمُ، قال الله تعالى في مدح الأنصار (رضي الله عنهم) : {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي

صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[الحشر: ٩].

وكذلك الصيام، فإنه يضبط أخلاق المسلم، بدوام مراقبة الله (عز وجل)، ويروضه على الصبر، والتحمل، والارتقاء بالنفس، والسمو بها عن كل ما يغضب الله سبحانه، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (... وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلاَ يَرْفُثْ، وَلاَ يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ، أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ) [صحيح البخاري] ويقول(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ) [صحيح البخاري].

كما أن الحج التزام سلوكي وأخلاقي قبل الحج، وفي أثنائه، وبعد الانتهاء من مناسكه، قال تعالى: {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ}[البقرة: ١٩٧] وعن أبي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، يَقُولُ: (مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ) [مسند أحمد] وهكذا، فكل أركان الإسلام لها آثارها التي تعود على المجتمع بالخير، والأمان، والسلام.

إن من يمعن النظر في ديننا الحنيف يدرك أنه دين مكارم الأخلاق ، ورسالته أتت لإتمام هذه المكارم ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ)، [السنن الكبرى للبيهقي] فحيث يكون الصدق ، والوفاء ، والأمانة، والبر ، وصلة الرحم ، والجود ،

والكـرم ، والنجـدة ، والشـهامة ، والمـروءة ، وكـف الأذى عـن النـاس ، وإغاثة الملهوف ، ونجدة المستغيث ، وتفريج كروب المكروبين ، والرفـق بالحيوان، يكون صحيح الإسلام ومقصده.

ومما لا شك فيه أن فهم جوهر الإسلام ، ومعرفة أسرار رسالته السمحة، والوقـوف علـى مقاصـده وغاياتـه السـامية، وتطبيـق ذلـك كلـه في ضـوء مسـتجدات العصـر ومتطلباتـه، يعـد ضـرورة ملحـة لمواجهـة التحـديات المعاصرة ، وكبح جماح الجماعات الإرهابية والمتطرفة ، ومحاصرة الفكر المنحرف ، وكسر دوائر التحجر، والجمود، والانغلاق، وسوء الفهم، وضيق الأفق ، والخروج من هذا الضيق إلى عالم أرحب وأوسع وأيسر ، وأكثر نضجًا ووعيًا ، وبصرًا وبصيرةً ، وتحقيقًا لمصالح البلاد والعباد ، ونشر القيم الإنسـانية الراقيـة الـتي تحقـق أمـن، وأمـان، وسـلام، واسـتقرار، وسـعادة الإنسانية جمعاء.

إن من أوجب الواجبات وأهم المهمات التي ينبغي علـى كـل مسـلم أن يقوم بها أن يظهر للناس جميعا جوانب العظمة في الدين الإسلامي، حتى يدرك العالم كله أن الإسلام ديـن السلام، ويـدعو إليـه، ويعلـي مـن شأنه، فالسلام اسم من أسماء الله تعالى، يقـول الحـق سبحانه: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ}[الحشر: ٢٣] وتحيـة الإسـلام السلام، يقول جل شأنه: {وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا} [النسـاء: ٩٤] وتحيـة أهـل الجنـة في الجنـة السـلام، حيـث يقـول الحـق سبحانه: {وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ}[الرعد: ٢٤] وكـان مـن دعـاء الـنبي الكـريم (صلـى الله

عليه وسلم) عقب كل صلاة: (اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلاَمُ، وَمِنْكَ السَّلاَمُ، تَبَارَكْتَ يا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ) [صحيح مسلم].

إن الإسلام دين يحفظ للإنسان كرامته، فينهى عن الغيبة، والنميمة، والتحاسد، والتباغض، والاحتقار، والأذى في أي صورة من صوره ؛ قولا كان، أو فعلا، أو حتى إشارة، أو إيماء، حيث يقول الحق سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}[الحجرات: ١١].

ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ المَلاَئِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى يَدَعَهُ، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ) [صحيح مسلم] ونَهى نبينا (صلى الله عليه وسلم) عَنِ الضَّرْبِ والوَسْمِ فِي الوَجْهِ، وعندما رأى (صلى الله عليه وسلم) حيوانًا قَدْ وُسِمَ فِي وَجْهِهِ، قَالَ (صلى الله عليه وسلم): (لَعَنَ الله الّذِي وَسَمَهُ)[صحيح مسلم].

ولما سئل (صلى الله عليه وسلم) عن امرأة صوامة قوامة، غير أنها تؤذي جيرانها، قال (صلى الله عليه وسلم): (هِيَ فِي النَّارِ) [مسند الإمام أحمد] ويقول (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَان يُؤْمِنُ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيوم الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا، أَوْ لِيَسْكُتْ) [صحيح البخاري].

**أقولُ قولِي هذا، وأستغفرُ اللهَ لِي ولكُمْ.**

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لاَ شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ سيدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عبدُه ورسُولُه، اللهُمَّ صَلِّ وسلمْ وَبارك عليهِ، وَعلى آلهِ وصحبهِ أجمعينَ، وَمن تَبعَهُمْ بإحسانٍ إلِىَ يومِ الدِّين.

**إخوة الإسلام** :

لقد رسّخ النبي (صلى الله عليه وسلم) تعاليم الإسلام السمحة، وأخلاقه الكريمة وقيمه النبيلة في قلوب أصحابه حتى أصبحت منهج حياة يعيشون ويتعايشون به مع الناس جميعًا، فهذا جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) يقف أمام النجاشي – ملك الحبشة – موضّحًا ومبينًا شيئًا من هذه القيم، وتلكم الأخلاق بأسلوب راقٍ، وكلمات واثقة، قائلًا: (أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، وَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا، نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، لِنُوَحِّدَهُ، وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ، مِنَ الْحِجَارَةِ وَالأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفُحْشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنَّ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَلا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ...) [مسند أحمد].

فالمسلم الحقيقي لا يكذب، ولا يغش، ولا يخون، المسلم الحقيقي من سلم الناس من لسانه ويده، والمؤمن الحقيقي من أمنه الناس على دمائهم وأعراضهم وأموالهم وأنفسهم، المسلم الحقيقي هو الذي تظهر

عليه أخلاق الإسلام، فلا يصل إلى الناس منه إلا الخير، والبر، ولو أردنا أن نضع تعريفا حقيقيا جامعا للمسلم الحقيقي لم نجد تعريفا أفضل ولا أجمع مما عرفه به نبينا (صلى الله عليه وسلم) بأنه من سلم الناس من لسانه ويده، حيث يقول عليه الصلاة والسلام: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالْمُؤْمِنِ؟ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذَّنُوبَ) [مسند أحمد].

إن رسالة الإسلام رسالة الإنسانية، والحكمة، والسماحة، والرحمة، والسعة، والمرونة، رسالة تجمع، ولا تفرق، توحد، ولا تشتت، فالإسلام عدل كله ، رحمة كله ، سماحة كله ، تيسير كله ، إنسانية كله ، وكل ما يحقق هذه المعاني الراقية السامية هو من صميم الإسلام ، وما يصطدم بها، أو يتصادم معها ؛ إنما يتصادم مع الإسلام، وغاياته، ومقاصده.

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق إنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها إنه لا يصرف عنا سيئها إلا أنت، واحفظ مصر وشعبها وجيشها وشرطتها من كل سوء ومكروه يا أرحم الراحمين.

* * *

# حياة النبي ( صلى الله عليه وسلم )
# أنموذج تطبيقي لصحيح الإسلام

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب: ٢١]، وأَشهدُ أنْ لاَ إلـهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليهِ وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ.

**وبعـــد**:

فإن الله (عز وجل) قد بعث رسوله محمدًا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) هاديًا وبشيرًا ، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا ، برسالةٍ خاتمةٍ عالميةٍ صالحةٍ ومصلحةٍ لكل زمان ومكان ، فاستوجب ذلك أن يكون رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في أقواله ، وأفعاله ، وجميع أحواله أنموذجًا تطبيقيًّا لصحيح الإسلام ، ولا عجب في ذلك ، فقد كان (صلى الله عليه وسلم) يلتزم منهج القرآن في علاقته مع ربه ، وعلاقته مع الناس كلهم، على اختلاف أجناسهم وألوانهم ومعتقداتهم ؛ لذا لما سئلت أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) عن خلق النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، قالت : (كَان خُلقُه الْقُرآن) (مسند أحمد) .

إن المتدبر لسيرة النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يجد أنه كان خير أسوة وقدوة في كل أحواله ، وأقواله ، وأفعاله ، ومن ذلك : **صدقه وأمانته** (صلى الله عليه وسلم) : فلقد كان (صلى الله عليه وسلم) صادقًا أمينًا طيلة حياته ، حتى لُقبَ بين قومه بالصادق الأمين ، قبل بعثته ،

وفي ذلك يقول شوقي :

لقبتموهُ أمينَ القومِ في صغرٍ    وما الأمينُ على قولٍ بمتّهمِ

وعندما استدعى هرقل ملك الروم أبا سفيان بن حرب – قبل إسلامه – ليسأله عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) دار بينهما حوار طويل جاء فيه أن هرقل قَالَ لأبي سفيان : هل كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قال أبو سفيان: لاَ، قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ ؟ قال أبو سفيان: لاَ، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لاَ نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا- أي أننا معه في عهد لا يمكنه أن يصنع بنا فيه-، ثم قَالَ: وَلَمْ تُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرُ هَذِهِ الكَلِمَةِ" (صحيح البخاري). والمعنى أنني لم أجد كلمة أستطيع أن أتقول بها على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سوى هذه الكلمة .

ولقد ظهر خلق الأمانة جليًّا واضحًا في أعلى صوره وأبهى معانيه في شخص النبي (صلى الله عليه وسلم) ليلة الهجرة المباركة ، حيث أمر النبي (صلى الله عليه وسلم) عليّ بن أبي طالب (رضي الله عنه) أن ينام في فراشه ، وأن ينتظر ليرد الأماناتِ المودعة عنده إلى أهلها ، رغم أنهم ناصبوه العداء ، وأخرجوه ، وآذوه ، وآذوا أصحابَه (رضوان الله عليهم)، وأخذوا منهم كل ما يملكون ؛ ذلك لأن المؤمن لا تحل له الخيانة حتى مع أعدائه ، والله تعالى يقول : { وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ}[الأنفال : ٥٨] ، وقَالَ (صلى الله عليه وسلم) : ( أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ ، وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ ) (سنن أبي داود) .

**وفاؤه (صلى الله عليه وسلم):** **فقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أوفى الناس** ، فلم يتنكر يومًا لأحد ، ولم ينس يومًا فضل أحد ، وكافئ كل صاحب جميل على جميله ، فقد قال (صلى الله عليه وسلم) قبل وفاته: (مَا لأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ إِلاَّ وَقَدْ كَافَيْنَاهُ ، مَا خَلاَ أَبَا بَكْرٍ فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يَدًا يُكَافِئُهُ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ) (سنن الترمذي) .

ومن مظاهر وفائه (صلى الله عليه وسلم) ما كان منه (صلى الله عليه وسلم) لأم المؤمنين السيدة خديجة (رضي الله عنها) ؛ فقد كان محبًّا ومقدرًا ووفيًّا لها في حياتها ، وبعد وفاتها ، يقول (صلى الله عليه وسلم) موضحا مكانتها : (مَا أَبْدَلَنِي اللَّهُ (عَزّ وَجَلّ) خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النّاسُ ، وَصَدّقَتْنِي إِذْ كَذّبَنِي النّاسُ ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النّاسُ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ (عَزّ وَجَلّ) وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ) (مسند أحمد)، وتقول السيدة عائشة (رضي الله عنها) : " مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، وَمَا رَأَيْتُهَا ، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يُكْثِرُ ذِكْرَهَا ، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ، ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً ، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ " (صحيح البخاري).

ومنها : وفاؤه (صلى الله عليه وسلم) مع غير المسلمين ، ففي يوم بدر قال (صلى الله عليه وسلم ) : ( لَوْ كَانَ مُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا ، فَكَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ الأَسْرَى لَأَطْلَقْتُهُمْ لَهُ ) ، وكان للمطعم جميل عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، حيث دخل (صلى الله عليه وسلم) مكة فيجواره بعد عودته من رحلة الطائف .

**ومنها أيضا وفاؤه (صلى الله عليه وسلم) مع أعدائه حتى في وقت الحرب**، فعن حُذَيْفَة بْن الْيَمَانِ (رضي الله عنه)، قَالَ: مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلَّا أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي، فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ، قَالُوا: إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا، فَقُلْنَا: مَا نُرِيدُهُ، مَا نُرِيدُ إِلَّا الْمَدِينَةَ، فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ اللهِ وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلَا نُقَاتِلُ مَعَهُ، فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ (صلى الله عليه وسلم): (انْصَرِفَا، نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَنَسْتَعِينُ اللهَ عَلَيْهِمْ) (صحيح مسلم).

**كما كان (صلى الله عليه وسلم) أنموذجًا فريدًا، وأسوة طيبة في تعامله مع أزواجه**، فقد عاش النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مع أزواجه حياةً طيبة، تجلت فيها كل مظاهر المودة، والرحمة، والتواضع ولِين الجانب، فلَم يتعالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) على أزواجه، ولم يترفَّع عليهن، بل أحسن معاملتهن جميعًا، منطلقًا في ذلك كله من قول الله (عز وجل): {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ}[النساء: ١٩]، ومن قوله سبحانه:{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الروم : ٢١].

فكان (صلى الله عليه وسلم) زوجًا عطوفًا ، يتلطف مع نسائه ، وفي مشهد إنساني رائع لزوج حنون مع زوجه ، يرفع النبي (صلى الله عليه وسلم) أثر البكاء عن أم المؤمنين صفية (رضي الله عنها)، فَيمْسَحُ بِيَدَيْهِ الشريفتين عَيْنَيْهَا، ويهدأ من روعها ، يقول أَنَس بْن مَالِكٍ (رضي الله عنه): (كَانَتْ صَفِيَّةُ مَعَ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فِي سَفَرٍ ، وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَهَا ، فَأَبْطَأَتْ فِي الْمَسِيرِ ، فَاسْتَقْبَلَهَا رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)

وَهِيَ تَبْكِي وَتَقُولُ : حَمَلْتَنِي عَلَى بَعِيرٍ بَطِيءٍ ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَمْسَحُ بِيَدَيْهِ عَيْنَيْهَا، وَيُسْكِتُهَا) (السنن الكبرى للنسائي).

كما كان (صلى الله عليه وسلم) أسوة وقدوة طيبة في تعامله مع أبنائه وأحفاده، فما أعظمه (صلى الله عليه وسلم) أبًا وجدًّا رحيمًا ، يحمل لأبنائه وأحفاده كلَّ معاني الحب والعطف والرحمة ، تقول أم المؤمنين السيدة عائشة (رضي الله عنها) : ( مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشْبَهَ سَمْتًا وَدَلاً وَهَدْيًا بِرَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) مِنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم)، قَالَتْ : وَكَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَى النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم)، قَامَ إِلَيْهَا، فَقَبَّلَهَا ، وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ ... ) (سنن الترمذي) .

وعن أبي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا، فَقَالَ الأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، ثُمَّ قَالَ : (مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ) (متفق عليه)، وسجد ( صلى الله عليه وسلم) يومًا ، فأطال السجود، فلما قضى الصلاة، قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهِ ، لَقَدْ سَجَدْتَ فِي صَلاَتِكَ هَذِهِ سَجْدَةً مَا كُنْتَ تَسْجُدُهَا، أَفَشَيْءٌ أُمِرْتَ بِهِ؟ أَوْ كَانَ يُوحَى إِلَيْكَ؟، فقَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ ؛ وَلَكِنِ ابْنِي ارْتَحَلَنِي ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَعْجَلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ) (المستدرك للحاكم) .

على أننا نؤكد أن هذا لم يكن خاصًّا بأبنائه وأحفاده فقط ؛ وإنما كان منهجًا يطبقه (صلى الله عليه وسلم) مع الجميع ، لا يفرق بين أحدٍ منهم ، فكان يحسن إلى الجميع ، فعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) عَنِ

النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، أَنَّهُ كَانَ يَأْخُذُهُ وَالحَسَنَ ، وَيَقُولُ : (اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا، فَأَحِبَّهُمَا) (صحيح البخاري)، وهذا أنس بن مالك (رضي الله عنه)، يقول: " خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي أُفٍّ قَطُّ، وَمَا قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ ، لِمَ صَنَعْتَهُ؟ ، وَلا لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ ، لِمَ تَرَكْتَهُ؟ " (سنن الترمذي).

**وكذلك كان النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) مثلا يحتذى في حسن معاملته لأصحابه** ، فكان يشاركهم في أفراحهم ، وأحزانهم ، ويتفقد غائبهم، ويعود مريضهم ، ويهتم بشئونهم ، ويراعي مشاعرهم في كل شئون حياتهم، فعَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ (رضي الله عنه)، قَالَ: قُلْتُ لِجَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ (رضي الله عنه): أَكُنْتَ تُجَالِسُ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؟ قَالَ: نَعَمْ، كَثِيرًا، كَانَ لَا يَقُومُ مِنْ مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ الصُّبْحَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، فَإِذَا طَلَعَتْ قَامَ، وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ، فَيَأْخُذُونَ فِي أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَيَضْحَكُونَ، وَيَتَبَسَّمُ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (صحيح مسلم).

**أقولُ قولِي هذَا ، وأستغفرُ اللهَ لِي ولكُمْ**

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لاَ شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ سيدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عبدُه ورسُولُه ، اللهُمَّ صَلِّ وسلمْ وَبارك عليهِ، وَعلى آلهِ وصحبهِ أجمعينَ ، وَمن تَبعَهُمْ بإحسانٍ إِلىَ يومِ الدِّين.

**إخوةَ الإسلام** :

كما كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنموذجًا تطبيقيًّا لصحيح الإسلام في إنسانيته ، وأخلاقه ، كان كذلك (صلى الله عليه وسلم) أنموذجًا في **وسطيته واعتداله** : فإن المتأمل في أحكام الشريعة

التي دعا إليها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يرى منهج الاعتدال والوسطية واضحًا في كل مجالاتها، تقول أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها): (مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (صحيح مسلم) بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِذَا كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ عنه)، وقال (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا، وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ، وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ) (صحيح البخاري).

ومن أجل المحافظة على تلك الوسطية، وذلك الاعتدال حذر النبي (صلى الله عليه وسلم) من كل مظاهر الغلو، وخاصة الغلو في التدين، فأنكر على من بالغ من أصحابه (رضوان الله عليهم) في التعبد والتقشف مبالغةً تخرجه عن حدّ الاعتدال، فقال (صلى الله عليه وسلم): (يَا أَيُّهَا النَّاسُ: إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ) (سنن ابن ماجه)،

فما أحوجنا إلى التأسي برسول الله (صلى الله عليه وسلم)، والاقتداء بهديه، واقتفاء أثره في نشر رسالة النور والهداية صافية رائقة كما أنزلها الله تعالى إلى الخلق أجمعين، باللين، والرفق، والرحمة، وتأليف القلوب، فرسالة الإسلام عدل كلها، رحمة كلها، تسامح كلها، نفع كلها، إنسانية كلها.

اللهم ارزقنا حبك ، وحب رسولك (صلى الله عليه وسلم)، وكل عمل يقربنا إلى حبك ، واجعل مصرنا أمنا أمانا ، وسائر بلاد العالمين.

* * *

# صور مشرقة من حياة الصحابة
# (رضي الله عنهم)

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}[التوبة: ١٠٠]، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ.

**وبعد:**

فإن الله (سبحانه وتعالى) اصطفى أنبياءه ورسله (عليهم الصلاة والسلام) من خلقه، قال تعالى: {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}[الحج: ٧٥]، واختار سبحانه لرسله من يعاونوهم على بلاغ رسالات ربهم، ولقد اختار الحق (جل وعلا) لنبيه (صلى الله عليه وسلم) رجالاً أصفياء، وصحابةً أخيارًا، آمنوا به، وعزروه، ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه، يقول عبد اللَّهِ بن مسعود (رضي الله عنه)، قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاخْتَارَ مُحَمَّدًا (صلى الله عليه وسلم)، فَبَعَثَهُ بِرِسَالَاتِهِ، وَانْتَخَبَهُ بِعِلْمِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ النَّاسِ بَعْدَهُ، فَاخْتَارَ لَهُ أَصْحَابَهُ، فَجَعَلَهُمْ أَنْصَارَ دِينِهِ، وَوُزَرَاءَ نَبِيِّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَمَا رَآهُ الْمُؤْمِنُونَ حَسَنًا، فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ، وَمَا رَآهُ الْمُؤْمِنُونَ قَبِيحًا، فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ قَبِيحٌ "[مسند أبي داود الطيالسي].

فكانوا (رضوان الله تعالى عليهم) أصدق الناس إيمانًا ، وأكثرهم علمًا،

وأدقهم فهمًا، وأحسنهم عملاً، حملوا راية الدين إلى أرجاء الدنيا، بالحكمة والموعظة الحسنة، فبلغوا رسالة ربهم على أحسن ما يكون البلاغ، فاستحقوا أن يكونوا اصطفاء الله تعالى لنبيه (صلى الله عليه وسلم)، فعن ابن عباس (رضي الله عنهما)، قال في قول الله تعالى: {قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى}[النمل: ٥٩ ]: أصحاب محمد (صلى الله عليه وسلم)، اصطفاهم الله تعالى لنبيه (صلى الله عليه وسلم) [جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري]، فهم من استقوا منهج الإسلام من نبعه الصافي، ولم يحيدوا عن طريقه المستقيم.

ولقد حفلت حياتهم بالعديد من الصور المشرقة التي جسدت التطبيق العملي لصحيح الإسلام، منها: **الرحمة** ، فلقد غرس النبي (صلى الله عليه وسلم) في أصحابه خلق الرحمة، ومن ذلك ما كان من سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حين رآه عيينة بن حصن يومًا يقبل أحد أبنائه، وقد وضعه في حجره، فقال عيينة: أتُقبِّل وأنت أمير المؤمنين؟ لو كنت أمير المؤمنين ما قبلت لي ولدًا، فقال عمر (رضي الله عنه): فما أصنع إن كان الله نزع الرَّحْمَة من قلبك؟ إنَّما يرحم الله من عباده الرُّحماء [جامع معمر بن راشد]، وفي هذا الموقف تأسى سيدنا عمر (رضي الله عنه) بما كان من النبي (صلى الله عليه وسلم) مع الأقرع بن حابس ؛ حيث قبَّل النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) أمامه سيدنا الْحسنَ بنَ عَلِيٍّ (رضي اللَّه عنهما)، فَقَالَ الأَقْرَعُ : إِنَّ لِي عَشرةً مِنَ الْولَدِ مَا قَبَّلتُ مِنْهُمْ أَحدًا، فنَظَر إِلَيْهِ رسولُ اللَّه (صلى الله عليه وسلم)، ثم قال : (مَن لا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ) [متفق عليه].

كما كانوا (رضوان الله عليهم) أمثلة تُحتذى في **العفو والتسامح**، ومن أرقى الصور وأعلاها ما كان من سيدنا أبي بكر (رضي الله عنه)، في عفوه عن مسطح بن أثاثة، فقد كان الصديق (رضي الله عنه) ينفق عليه لقرابته منه وفقره، وكان مسطح ممن تكلموا في حق السيدة عائشة (رضي الله عنها)، فلما أنزل الله براءتها، أراد أبو بكر (رضي الله عنه) أن يمتنع عن الإنفاق على مسطح، فأنزل الله تعالى قوله: {وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النور: ٢٢]، فقال الصديق (رضي الله عنه): بلى، والله إني لأحب أن يغفر الله لي، وأعاد الإنفاق على مسطح قائلا: والله لا أنزعها منه أبدًا[متفق عليه].

ومنها: **علو الهمة و التنافس في فعل الخيرات**، فقد تعلم الصحابة (رضوان الله عليهم) من النبيّ (صلى الله عليه وسلم) علو الهمة، والتنافس في فعل الخيرات، وطلب معالي الأمور، حيث قال (صلى الله عليه وسلم): (...فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ - أُرَاهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ) [صحيح البخاري]، وهذا ما جعل الصحابة الكرام يتطلعون لمعالي الأمور في كل شيء، يقول سيدنا عمر بن الخطاب (رضى الله عنه): (أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالًا عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟)، قُلْتُ: مِثْلَهُ، قَالَ: وَأَتَى أَبُو

بَكْرٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟) قَالَ: (أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: لَا أُسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ أبدًا) [سنن أبي داود].

وهذا الصحابي الجليل كعب الْأَسْلَمِي (رضي الله عنه)، قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ، فَقَالَ (صلى الله عليه وسلم) لِي: (سَلْ)، فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: (أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ)، قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ، قَالَ: (فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ) [صحيح مسلم].

ومنها: **الإيثار والعفة**، لقد ضرب الأنصار أروع الأمثلة في الإيثار، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَصَابَنِي الجَهْدُ، فَأَرْسَلَ إِلَى نِسَائِهِ، فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُنَّ شَيْئًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (أَلاَ رَجُلٌ يُضَيِّفُهُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، يَرْحَمُهُ اللَّهُ؟)، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: ضَيْفُ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، لاَ تَدَّخِرِيهِ شَيْئًا، قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا عِنْدِي إِلَّا قُوتُ الصِّبْيَةِ، قَالَ: فَإِذَا أَرَادَ الصِّبْيَةُ العَشَاءَ، فَنَوِّمِيهِمْ، وَتَعَالَيْ، فَأَطْفِئِي السِّرَاجَ، وَنَطْوِي بُطُونَنَا اللَّيْلَةَ، فَفَعَلَتْ، ثُمَّ غَدَا الرَّجُلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَقَالَ (صلى الله عليه وسلم): (لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - أَوْ ضَحِكَ - مِنْ فُلاَنٍ وَفُلاَنَةَ)، فَأَنْزَلَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ): {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} [صحيح البخاري].

وفي موقف رائع يجمع بين الإيثار الذي كان عليه الأنصار (رضي الله عنهم)، والعفة التي كان عليها المهاجرون (رضي الله عنهم)، يعرض سيدنا سعد بن الربيع (رضي الله عنه) على سيدنا عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْن عَوْفٍ (رضي الله عنه) أَنْ يُنَاصِفَهُ مَالَهُ، فَقَابلَ سيدنا عبد الرحمن (رضي الله عنه) بكل تعفف، وطلب منه أن يدله على السُّوقِ، وتاجر واجتهد حتى صار من أغنى أغنياء المدينة [صحيح البخاري].

ومنها : **الرجوع إلى الحق** ، لقد كان الصحابة (رضي الله عنهم) حريصين على الحق، ولا يستكبرون على الرجوع إليه، فعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ (رضي الله عنه)، قَالَ: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي، فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا: (اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ ، لَلَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ)، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ، فَقَالَ: (أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ)، أَوْ (لَمَسَّتْكَ النَّارُ) [صحيح مسلم].

ومنها: **الوفاء بالعهد**، فلقد غرس النبي (صلى الله عليه وسلم) في نفوس أصحابه قيمة الوفاء بالعهد، وحثهم على الالتزام به، فهذا سيدنا معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنهما) عمليًّا ؛ فقد كان بينه وبين الروم عهد، ففكر معاوية (رضي الله عنه) أن يخرج على مقربة من حدود الروم، فإذا انتهى الموعد باغتهم ، فلحق به رجل من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وهو يقول: الله أكبر، الله أكبر، وفاء لا غدر، فنظروا، فإذا عمرو بن عبسة (رضي الله عنه)، فأرسل إليه معاوية (رضي الله عنه)، فسأله، فقال: سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) يقول:

(من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشدّ عقدة، ولا يحلّها حتّى ينقضي أمدها أو ينبذ إليهم على سواء)، فرجع معاوية (رضي الله عنه) [سنن أبي داود].

**أقولُ قولِي هذَا، وأستغفرُ اللّهَ لِي ولكُمْ.**

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لاَ شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ سيدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عبدُه ورسُولُه، اللهُمَّ صَلِّ وسلمْ وَبارك عليهِ، وَعلى آلهِ وصحبهِ أجمعينَ، وَمن تَبعَهُمْ بإحسانٍ إِلىَ يومِ الدِّين.

**إخوةَ الإسلام**:

لقد كان الصحابة (رضوان الله عليهم) أسوة طيبة في **إعمار الدنيا بالدين**، فقد كان لكل واحد منهم عمل يقوم به، ويحسنه ويتقنه، فكان منهم التاجر، والقائد، وحامل العلم، وغير ذلك، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهَا فِي دِينِ اللهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهَا حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَعْلَمُهَا بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَقْرَؤُهَا لِكِتَابِ اللهِ أُبَيٌّ، وَأَعْلَمُهَا بِالْفَرَائِضِ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ، وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ) [مسند الإمام أحمد].

وكانت لأعمال الصحابة (رضي الله عنهم) ثمراتها الطيبة، وكان (صلى الله عليه وسلم) يشجعهم، ويذكر كل واحد بأحسن ما يتقن، إكراما له ولعمله، ومن ذلك ما كان من سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه) يوم تَبُوك، حيث دخل على النبيّ (صلى الله عليه وسلم)، وَمعه أَلْفُ دِينَارٍ، فَصَبَّهَا فِي حِجْرِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذَا أَبَدًا) [فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل].

ومنها: **تحري الحلال**، **ومراقبة الله تعالى في الأمور كلها**، ومن ذلك ما كان من سيدنا جرير بن عبد الله (رضي الله عنه)؛ حيث أمر خادمه أن يشتري له فرسا فاشترى له فرسا بثلاثمائة درهم، وجاء به وبصاحبه ليدفع له الثمن، فقال جرير لصاحب الفرس: فرسك خير من ثلاثمائة درهم، أتبيعه بأربعمائة درهم؟ قال: ذلك إليك، فقال: فرسك خير من ذلك، أتبيعه بخمسمائة درهم؟ ثم لم يزل يزيده مائة فمائة إلى أن بلغ ثمانمائة درهم، فاشتراه بها، فقيل له في ذلك، فقال: إني بايعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على النصح لكل مسلم) [صحيح مسلم].

فكان كل واحد منهم يعرف ما عليه فيؤديه، ولا يتجاوز ما له، ولقد ولى سيدنا أبو بكر (رضي الله عنه) سيدنا عمرَ بن الخطاب (رضي الله عنه) القضاء، فمكث سيدنا عمر (رضي الله عنه) سنةً، لا يتقدم إليه أحدٌ، وعندها طلب من الصديق (رضي الله عنه) إعفاءه من القضاء، فقال: أمن مشقة القضاء تطلب الإعفاء يا عمر؟ قال عمر (رضي الله عنه): لا يا خليفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؛ ولكن لا حاجة بي عند قوم مؤمنين، عرف كل منهم ما له من حق، فلم يطلب أكثر منه، وما عليه من واجب، فلم يقصر في أدائه، أحب كل منهم لأخيه ما يحب لنفسه، إذا غاب أحدهم تفقدوه، وإذا مرض عادوه، وإذا افتقر أعانوه، وإذا احتاج ساعدوه، وإذا أصيب عزوه وواسوه، دينهم النصيحة، وخلقهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ففيمَ يختصمون؟ ففيمَ يختصمون؟.

ألا ما أحوجنا إلى العودة إلى أخلاق هذه النماذج الصالحة من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، والتخلق بأخلاقهم، وإظهار

**الصورة الصحيحة لدين الإسلام، دين الرحمة، والسماحة، والإنسانية، والسلام للناس أجمعين.**

**( اللهم احفظ علينا بلدنا ووطننا وشعبنا وجيشنا وشرطتنا ، واجعل مصر سخاء رخاء وسائر بلاد العالمين ) .**

* * *

# الإسلام عمل وسلوك
# "نماذج من حياة التابعين"

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}[الحشر:١٠]، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليهِ وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ.

**وبعــد**:

فإنّ الله (عز وجل) يصطفي من عباده من يعمل لدينه ويخلص له ولرسالته، ولقد أخبر النبي (صلى الله عليهم) أن خيار هذه الأمة هم أصحابه (رضي الله عنهم)، ثم التابعون، وتابعوهم، فعن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه)، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ... )(متفق عليه).

فهؤلاء هم الصفوة الذين وصفوا بالخيرية، وحملوا أمانة العلم، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ، ولقد امتدحهم الله (عز وجل) وجمعهم مع صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ووصفهم بالإحسان، ورضي عنهم، ووعدهم جنات تجري من تحتها الأنهار، فقال تعالى: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}[التوبة:١٠٠].

والتابعون هم أقرب الناس زمانا من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فالتابعون هم الجيل التالي لجيل الصحابة، وأتباع التابعين هم الجيل التالي لجيل التابعين (رضي الله عنهم أجمعين).

ولله در الإمام البوصيري في قوله:

وكلُّهُـم مِنْ رســـــولِ اللهِ مُقْتَبِسٌ    غرفًا مِنَ البَحـرِ أو رَشْفًا مِنَ الدِيَمِ

وقد صحب التابعون الصحابة (رضوان الله تعالى عليهم)، وتعلموا على أيديهم، وشهد لهم الصحابة (رضي الله عنهم) **بالفضل والعلم** ؛ ومن ذلك شهادة ابن عمر (رضي الله عنه) لسعيد بن المسيب (رضي الله عنه) بقوله: " هو والله أحد المفتين" (سيرأعلام النبلاء)، وكان يقول: " سَلُوا سعيد بن المسيب ؛ فإنه قد جالس الصالحين " (طبقات ابن سعد)، وكان سعيد بن المسيب (رحمه الله) يُفتي والصحابة أحياء ، وكان عطاء بن أبي رباح يجلس للفتيا في مكة بعد وفاة حبر الأمة عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما)، فلما قدم ابن عمر (رضي الله عنهما) مكة، فسألوه، فقال: أتجمعون لي يا أهل مكة المسائل، وفيكم ابن أبي رباح؟(حلية الأولياء).

ولقد عُرف التابعون بصدق **محبتهم لرسول الله** (**صلى الله عليه وسلم**)، فقد كان الحسن البصري (رحمه الله) إذا حدَّث بحديث الجذع – وحنينه إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) – بَكى، وَقَالَ: يَا عباد الله، الْخَشَبَة تحن إِلَى رَسُول الله (صلى الله عَلَيْهِ وَسلم) شوقا إِلَيْهِ لمكانه من الله، فَأَنْتم أَحَق بذلك، وَأَن تشتاقوا إِلَى لِقَائِه (صحيح ابن حبان)، وقد سئل الإمام مالك (رحمه الله): متى سمعت من أيوب السختياني؟

فقال: حج حجتين، فكنت أرمقه ولا أسمع منه، غير أنه كان إذا ذكر النبي (صلى الله عليه وسلم) بكى حتى أرحمه... وكان بلغ من توقيرهم للنبي (صلى الله عليه وسلم) أنهم لا يحدثون بحديثه إلا وهم على أحسن حال وأفضل هيئة، وقد تربى أتباعهم على ذلك.

قال أبو سلمة الخزاعي (رحمه الله): كان مالك بن أنس إذا أراد أن يخرج ليحدث توضأ وضوءه للصلاة، ولبس أحسن ثيابه، ومشط لحيته، فقيل له في ذلك، فقال: أوقر به حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (حلية الأولياء).

ومن التابعين من ذكرهم النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) بالخير، كأُوَيْس الْقَرَنِيّ الذي كان بارًّا بأمه ، وذكره النبي (صلى الله عليه وسلم) لأصحابه ، وأخبرهم أنه مستجاب الدعوة ، فعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ (رضي الله عنه)، قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، يَقُولُ: (إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ، وَلَهُ وَالِدَةٌ، وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ، فَمُرُوهُ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ) (صحيح مسلم).

فلما أقبل أهل اليمن جعل عمر (رضي الله عنه) يبحث عنه، حتى قابله، وقال له: استغفر لي، قال: أنت حق أن تستغفر لي، أنت صاحب رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فلم يزل به حتى استغفر له...

ولقد تعلم التابعون (رحمهم الله) من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) **فهم الدين فهمًا صحيحًا**، فهذا الإمام الحسن البصري (رحمه الله) – وهو من كبار التابعين – عندما سئل: أمؤمن أنت؟ قال: " الإيمان إيمانان ؛ فإن كنت تسألني عن الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه،

ورسله، والجنة، والبعث، والحساب، أنا مؤمن، وإن كنت تسألني عن قول الله (عز وجل): {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً}[الأنفال: ٢-٤]، فو الله ما أدري أنا منهم أم لا (شعب الإيمان للبيهقي)، قال البيهقي معلقًا: فلم يتوقف الحسن في أصل إيمانه في الحال، وإنما توقف في كماله الذي وعد الله (عز وجل) أهله بالجنة، في قوله تعالى: {لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}[الأنفال:٤].

كما أنهم فقهوا **التيسير**، **وطبقوه في حياتهم**، يقول سفيان الثوري (رحمه الله): إنّما العلم عندنا الرخصة من ثقة ، فأما التشديد فيُحسنه كل أحد، وقال الأزرق بن قيس: كنا على شاطئ نهر بالأهواز قد نضب عنه الماء، فجاء أبو برزة الأسلمي على فرس فصلى وخلى فرسه، فانطلقت الفرس فترك صلاته، وتبعها حتى أدركها، فأخذها، ثم جاء فقضى صلاته، وفينا رجل له رأي، فأقبل يقول: انظروا إلى هذا الشيخ، ترك صلاته من أجل فرس ! فأقبل، فقال: ما عنفني أحد منذ فارقت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وقال: إن منزلي متراخ، فلو صليت وتركت فرسي، لم آتِ أهلي إلى الليل(صحيح البخاري)، وقد تعلم ذلك من النبي (صلى الله عليه وسلم) الذي ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثما، وهو القائل (صلى الله عليه وسلم): (يَسِّروا، ولا تُعسّروا، وَبشِّروا، ولا تُنفّروا)(متفق عليه)، وقوله (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُوْنُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ)(صحيح مسلم).

كما طبقوا **الرحمة والتكافل والشعور بالآخرين في حياتهم تطبيقا عمليًّا**، فهذا عليّ بن الحسين بن علي (رضي الله عنه) كان ينفق على كثير من الفقراء سرًا، لا يدري به أحد، فلما مات، فقدوا من يعولهم، وعندما غسلوه وجدوا في ظهره وأكتافه أثر حمل الجراب إلى بيوت الأرامل والمساكين، فعرف أنه هو الذي كان يأتيهم في الليل بما يأتيهم به، وقيل: إنه كان يعول مائة أهل بيت بالمدينة(البداية والنهاية لابن كثير).

ولم يقتصر التراحم والتكافل على المسلمين فقط، وإنما شمل المسلمين وغيرهم، فهذا سيدنا عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) يكتب إلى عامله في البصرة قائلا: "وَانْظُرْ مَنْ قِبَلَكَ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ، قَدْ كَبِرَتْ سِنُّهُ، وَضَعُفَتْ قُوَّتُهُ، وَوَلَّتْ عَنْهُ الْمَكَاسِبُ، فَأَجْرِ عَلَيْهِ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ مَا يُصْلِحُهُ "(الأموال لابن أبي عبيدة)، وهو مقتد في ذلك بما كان من سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عندما رأى رجلًا مُسنًّا من أهل الكتاب يتكفف الناس، فقال: والله ما أنصفنا هذا إن أكلنا شبيبته وضيعناه في شيبته، ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه (الخراج لأبي يوسف)، وكذلك سيدنا خالد بن الوليد (رضي الله عنه) في صلحه لأهل الحيرة : "وجعلتُ لهم أيُّما شيخ ضعُف عن العمل ، أو أصابته آفة من الآفات ، أو كان غنيًّا فافتقر ، عِيل من بيت مال المسلمين" (الخراج لأبي يوسف)، وكلهم في ذلك يقتدي برسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ويطبق صحيح الدين ، قال تعالى: {لا ينهاكم

اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}[الممتحنة:٨].

ولم تتوقف تلك الرحمة على الإنسان فحسب ، بل شملت الحيوان والطير ، وغير ذلك ، فقد كتب عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) إلى عامله بمصر يوصيه بالرحمة بالإبل ، قائلا: إنَّه بلغني أنَّ بمصر إبلًا نقالات، يحمل على البعير منها ألف رطل ، فإذا أتاك كتابي هذا ، فلا أعرفنَّ أنَّه يحمل على البعير أكثر من ستمائة رطل (فضائل عمربن عبدالعزيز لابن عبد الحكم) .

كما أوصى بالرحمة بها فلا تهان ، ولا تضرب ، وقد تعلم ذلك من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : حينما أوصى صاحب جمل بجمله قائلا: ( أَفَلاَ تَتَّقِي اللهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللهُ إِيَّاهَا ، فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ، وَتُدْئِبُهُ) (سنن أبي داود) .

**أقولُ قولِي هذَا، وأستغفرُ اللهَ لِي ولكُمْ**

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لاَ شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ سيدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عبدُه ورسُولُه ، اللهُمَّ صَلّ وسلمْ وَبارك عليهِ ، وَعلى آلهِ وصحبهِ أجمعينَ ، وَمن تَبعَهُمْ بإحسانٍ إلىَ يومِ الدِّين.

**إخوةَ الإسلام**:

إنَّ من أعظم ما تميز به التابعون: **السماحة مع الناس**، **وخفض الجناح لهم**، فكانوا أكثر الناس سماحة ولينًا في تعاملهم مع الناس ، فعن قتادة ، قال: دخلنا على الحسن البصري ، وهو نائم ، وعند رأسه سلة،

فجذبناها ، فإذا خبز وفاكهة ، وجعلنا نأكل ، فانتبه ، فرآنا ، فسره ، فتبسم وهو يقرأ قوله تعالى: {أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ}[النور:٦١]، وعن جرير بن حازم (رضي الله عنه)، قال: كنا عند الحسن، وقد انتصف النهار، فقال ابنه: خفوا عن الشيخ، فإنكم قد شققتم عليه، فإنه لم يطعم طعامًا ولا شرابًا، قال: مه دعهم، فو الله ما شيء أقر لعيني من رؤيتهم[الطبقات الكبري لابن سعد].

وفي هذا ما فيه من **إنكار الذات**، **ومعرفة قدر العلم**، **واحترامه**، **وبيان قدر دين الله تعالى في النفوس** ، ولعل ذلك يكون درسًا لمن يتصدر للناس ليتحدث في دين الله بلا علم، فيضل ويضل، يقول (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ الْعِبَادِ ؛ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا ، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا ) (متفق عليه).

لقد كان التابعون **قدوة طيبة لمن جاء بعدهم** من الأئمة ، فهذا الإمام مالك بن أنس (رضي الله عنه) – وهو من تابعي التابعين – قد طلب منه أبو جعفر المنصور (رحمه الله) اعتماد كتابه " الموطأ " في مختلف البلاد الإسلامية، قائلا: إني عزمت أن آمر بكتبك هذه التي وضعتها – يعني الموطأ– فتُنْسَخُ نُسَخًا، ثم أبعث إلى كل مِصْرٍ من أمْصَار المسلمين منها بنسخة، وآمرهم أن يعملوا بما فيها، لا يتعدونه إلى غيره، وَيَدَعُوا ما سوى ذلك من هذا العلم المحْدَثِ، فإني رأيت أصل العلم رواية أهل المدينة وعلمهم، فقال الإمام مالك: يا أمير المؤمنين، لا تفعل هذا، إن الناس قد سبقت إليهم أقاويل، وسمعوا أحاديث، ورووا روايات،

وأخذ كل قوم منهم بما سبق إليهم، وعملوا به، ودانوا به من اختلاف الناس وغيرهم ، وإنَّ ردَّهُمْ عَمَّا اعتقدوه تشديد ، فَدَعِ الناس وما هم عليه ، وما اختار أهل كل بلد منهم لأنفسهم ، فقال: لعمري! لو طاوعتني على ذلك لأمرت به .

ومن كريم التواضع، وعظيم الفهم والفقه ، ما كان من الإمام الشافعي (رضي الله عنه) حين اختلف معه تلميذه يونس بن عبد الأعلى، وقام يونس غاضبًا، فلما أقبل الليل، سمع يونس طرقًا على باب منزله، فقال: من بالباب؟ قال: محمد بن إدريس، فقال يونس: فتفكرت في كل من كان اسمه محمد بن إدريس إلا الشافعي، قال: فلما فتحت الباب، فوجئت به، فقال الشافعي: يا يونس، تجمعنا مئات المسائل، وتفرقنا مسألة؟! يا يونس، لا تحاول الانتصار في كل الاختلافات، فأحيانًا كسب القلوب أولى من كسب المواقف، يا يونس، لا تهدم الجسور التي بنيتها وعبرتها، فربما تحتاجها للعودة يومًا ما، اكره الخطأ دائمًا، ولكن لا تكره المُخطئ، وأبغض بكل قلبك المعصية، لكن سامح وارحم العاصي، يا يونس، انتقد القول، لكن احترم القائل، فإن مهمتنا هي أن نقضي على المرض، لا على المرضى .

ورحم الله الشافعي حيث قال :

أُحِبُّ الصالِحينَ وَلَستُ مِنهُم   لَعَلّي أَن أَنالَ بِهِم شَفاعَة

وَأَكرَهُ مَن تِجارَتُهُ المَعاصي   وَلَو كُنّا سَواءً في البِضاعَة

(ديوان الشافعي)

**وسار على ذلك علماؤنا الكرام، فكانوا خير قدوة لنا في حمل أمانة دين الله تعالى وفهمه فهما صحيحا ، والتخلق بأخلاقه ، وحسن بلاغه للناس ، بالحكمة والموعظة الحسنة .**

**اللهم اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ .**

* * *

# حماية الشأن العام والمصلحة العامة

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [المائدة: ٢]، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ.

**وبعد**:

فقد بنى الإسلام دولة حقيقيةً، أرسى قواعدَها، وجعل لها مقوماتها، وحث على الحفاظ عليها، والذود عنها، وجعل حماية شأنها العام والاهتمام به مسئولية مشتركة بين جميع أفرادها، وكلما زاد الوعي بين أبناء المجتمع بقيمة الشأن العام وخطورته، كلما زاد التعاون والتكاتف والترابط من أجل الحفاظ عليه، فتتحقق للمجتمع قوة البنيان الواحد، وشعور الجسد الواحد الذي حث عليه نبينا (صلى الله عليه وسلم)، حيث قال: (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ)، وقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (متفق عليه): ( مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى) (صحيح مسلم).

ومما لا شك فيه أن أحد أهم مقومات الحفاظ على الشأن العام: تقديم المصلحة العامة الواسعة التي يعود نفعها على جميع الناس على المصلحة الخاصة الضيقة التي يعود نفعها على أصحابها فقط، تخليصا

للنفس البشرية من شرور الأنانية، ذلك أن المصلحة العامة تشمل كل ما يحقق إقامة الحياة للمجتمع بأسره من أمور مادية، ومعنوية، تجلب الخير والنفع للناس، وتدفع عنهم الشرور والمفاسد، وتحقق حماية الوطن، واستقراره، وسلامة أراضيه، ولا شك أن تحقيق صلاح الأمة وعموم المجتمع هو ما يقتضيه فقه الأولويات.

لقد أكد القرآن الكريم أن **الحفاظ على المصلحة العامة، وتقديمها على المصالح الخاصة هو منهاج الرسل والأنبياء جميعًا**، فلم يرسل الله (عز وجل) نبيًّا ولا رسولًا إلا لإسعاد قومه، وتحقيق الخير لهم، دون مقابل مادي، أو منفعة دنيوية، قال تعالى على لسان نبيه نوح (عليه السلام): {وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ} [هود: ٢٩]، وقال سبحانه على لسان نبيه هود (عليه السلام): {يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [هود: ٥١] ، وقال تعالى على لسان سيدنا شعيب (عليه السلام): {إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [هود: ٨٨].

ولقد جاء الشرع الحنيف بما يتوافق مع العقل، ويتناسب معه، فرغب في أمور من شأنها أن تحقق المصلحة العامة لجميع أبناء الوطن، منها: **تلبية حاجات المجتمع الضرورية، ومراعاة فقه الواقع**، فإن كانت حاجة المجتمع إلى بناء المستشفيات ، وتجهيزها لعلاج الفقراء ورعايتهم، فالأولوية لذلك ، وإن كانت حاجة المجتمع لبناء المدارس والمعاهد، وصيانتها ، وتجهيزها ، والإنفاق على طلاب العلم ، ورعايتهم ، فالأولوية

لذلك، وإن كانت الحاجة ماسة لتيسير زواج المعسرين، وسداد الدَّين عن المدينين، وتفريج كروب الغارمين، فالأولوية لذلك، فقضاء حوائج الناس والقيام بمتطلبات حياتهم من الواجبات الشرعية والوطنية، يقول (صلى الله عليه وسلم): (مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبْعَانَ، وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ) (المعجم الكبير للطبراني).

ومنها: **الحفاظ على المال العام**، فهو مما يشترك فيه المواطنون جميعًا، وحرمة المال العام أشد من حرمة المال الخاص؛ لكثرة الحقوق المتعلقة به، وتعدد الذمم المالكة له، ولذلك حذر الإسلام من إتلافه، أو سرقته، أو الإضرار به، قال تعالى: {وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّي كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ}[آل عمران: ١٦١]، فالمال العام مِلْكٌ للناس جميعًا، وليس مِلْكًا لفِئَة معيَّنة منهم، والقائمون عليه إنَّما هم أُمَنَاء في حِفْظه، وتحصيله، وصَرْفه لأهْله، فلا يحلُّ لأحدٍ أن يعتديَ عليه، أو يأخُذَ منه ما لا يستحقُّ، لأن ذلك يعد خيانة وظُلمًا؛ وأكلًا لأموال الناس بالباطل.

كما أمر الإسلام **بالحفاظ على المرافق العامة**، كدور العبادة، والمدارس، والمستشفيات، والحدائق، وغيرها، حيث إنها ملك للجميع، ونفعها يعود على الجميع، وحذَّر أشد التحذير من الاعتداء عليها، أو تضييعها، أو إفسادها بأي صورة من الصور، يقول الحق سبحانه: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا} [الأعراف: ٥٦]؛ حتى لا يتوهم بعض الناس أنه يجوز له أن يستغل المِلك العام بالطريقة التي يريد، وكيفما شاء، بدعوى أن له حقا شائعا فيه، وهذا فهم خاطئ، فالواجب علينا

المحافظة على المرافق العامة، وحمايتها والقيام على تنميتها وتطويرها ؛ لأنها ليست لفرد دون فرد، ولا لجماعة في زمن معين ؛ بل هي لنا جميعًا، وللأجيال القادمة.

ومنها: **الحفاظ على الطريق**، **ومراعاة حقها**، فقال (صلى الله عليه وسلم): (إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ في الطُّرُقَاتِ)، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا، نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ الْمَجْلِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ)، قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ؟ قَالَ: (غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلاَمِ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ) (صحيح مسلم).

وقال رسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ – أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ – شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ ) (صحيح مسلم).

ومنها: **أداء الخدمة الوطنية** التي تعد من أهم الواجبات التي يقوم بها الإنسان نحو دينه ووطنه، وهي دليل على ولائه لبلده، وصدق انتمائه له، ومحبته إياه، فليس الوطن والعرض أقل خطرًا أو مكانة عند المسلم من نفسه، أو دينه، أو ماله، أو متاعه، كما أنها تغرس في أبناء الوطن معاني الرجولة، والشهامة، والمروءة، والقيم النبيلة التي جاء بها ديننا الإسلامي الحنيف، يقول (صلى الله عليه وسلم): (عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ ؛ عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ الله، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ الله) (سنن الترمذي).

ومن المصلحة العامة التي يجب مراعاتها – حفاظا على الشأن العام – **ما يكون بين الدولة وغيرها من الدول، أو المنظمات، أو المؤسسات الخارجية من معاهدات:** فإن أي إجراء فقهي، أو إفتائي، أو فكري، أو دعوي، لابد أن يكون إجراءً مؤسسيا صادرا عن ولي الأمر، أو من ينيبه في ذلك، وعلى من يتحدث في مثل هذه الأمور أن يضع في اعتباره كل الملابسات المجتمعية، والوطنية، والدولية المتصلة بالأمر الذي يتحدث عنه، حتى لا تصدر بعض الآراء والفتاوى الفردية المتسرعة في الشأن العام، بما يصادم الواقع، أو يتصادم مع القوانين والمعاهدات والاتفاقيات الدولية، وقد أمرنا الحق سبحانه وتعالى بالوفاء بالعهود، فقال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ}، فهذه الآية الكريمة عامة، تشمل كل العقود، والعهود، والالتزامات التي يلتزم بها الإنسان مع غيره، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (الْمُسْلِمُونَ عِنْدَ شُرُوطِهِمْ، إِلاَّ شَرْطًا حَرَّمَ حَلاَلاً، أَوْ شَرْطًا أَحَلَّ حَرَامًا) (سنن الدارمي).

وهذا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يرد أبا بصير (رضي الله عنه) بعد صلح الحديبة، وفقًا للمعاهدة التي كانت بينه (صلى الله عليه وسلم) وبين قريش، مع احتمال تعرض هذا الصحابي للأذى ؛ حفاظًا على العهد الذي عاهد عليه قريشًا، وهذا من باب الوفاء بالعهد من جهة، ومن باب تقديم وتغليب المصلحة العامة من جهة أخرى.

إن للحديث في الشأن العام – دون وعي، أو فهم – مخاطره التي تضرب في بنيان الدولة وعضدها ؛ لأنه يجعل أمن الوطن واستقراره كلأً مباحًا، ومادة للسخرية، فيكثر اللغط، ويتحدث من لا يعلم فيما لا يدري،

وما أكثر المرجفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، وقد أمرنا الحق سبحانه أن نرد الأمر إلى أهله، فقال سبحانه: {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا} [النساء: ٨٣].

**أقولُ قولِي هذا، وأستغفرُ اللهَ لِي ولكمْ.**

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لاَ شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ سيدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عبدُه ورسُولُه، اللهُمَّ صَلِّ وسلمْ وَبارك عليهِ، وَعلى آلهِ وصحبهِ أجمعينَ، وَمن تَبعَهُمْ بإحسانٍ إِلىَ يومِ الدِّين.

**إخوةَ الإسلام:**

إنَّ **مفهومَ الشأن العام** يتجاوز اهتمامات الفرد المحدودة إلى اهتمامات جموع الأفراد، ومن أجل ذلك فأمره ليس مشاعًا لأفراد الناس ؛ وإنما يقوم عليه متخصصون، يدركون قيمة ما أسند إليهم من مهام تتعلق بالأمن القومي، وحياة الناس، ومصالحهم، ومقدرات الأوطان، ووضعها الإقليمي والدولي، وشئونها السياسية والاجتماعية، والأمنية، والعلمية، وغير ذلك ، وأهل العلم على أن المجتهد أهل الاجتهاد والنظر، إذا اجتهد في مجال اختصاصه فأخطأ فله أجر، وإن اجتهد فأصاب فله أجران ، ومفهوم المخالفة يقتضي أن من اجتهد من غير أهل العلم والاختصاص في غير اختصاصه ، وفيما لا علم له به ، فإن اجتهد فأصاب فعليه وزر لجرأته على الحديث والفتوى فيما لا علم له به، وإن اجتهد فأخطأ، فعليه وزران ، وزر لخطئه ، وآخر لجرأته على الفتوى

بدون علم ؛ وذلك لحرص الإسلام على احترام أهل العلم والاختصاص، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النحل: ٤٣]، وأهل الذكر هم أهل العلم والاختصاص في كل علم من العلوم بحسب المسئول عنه.

ومن ثم كان **النّهيُ عن التسرع في الفتيا بدون علم، أو سند شرعيّ**، قال تعالى: {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}[الأنعام: ١٤٤]، وقال سبحانه: {وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[النحل: ١١٦، ١١٧]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ أُفْتِيَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ إِثْمُهُ عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ) (سنن أبي داود)، وقد كان أكابر الصحابة والتابعين (رضي الله عنهم) يتحرجون من الفتيا، لعلمهم بخطورتها ؛ فها هو الصديق (رضي الله عنه)، يقول: "أَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي؟ وَأَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي؟ إِذَا قُلْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ" (مصنف ابن أبي شيبة)، وسئل الشعبي (رضي الله عنه) عن مسألة ، فقال: لا أحسنها، فقال له أصحابه : قد استحيينا لك، فقال: لكن الملائكة لم تستح حين قالت: {لَا عِلْم لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتنَا}[البقرة: ٣٢]، وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى: "أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) – أراه قال: في المسجد– فما كان منهم محدث إلا ود أن أخاه قد كفاه الحديث ، ولا مفتٍ إلا ود أن أخاه كفاه الفتيا " (جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر) .

**وحماية الشأن العام مسئولية مشتركة**، كل حسب موقعه، وقدراته، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُم مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ؛ الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) (متفق عبه).

إن كثيرًا من الناس ربما يستهينون بما يتحدثون به، أو بما يكتبونه، أو ما يقومون بمشاركته على صفحات التواصل الاجتماعي، بل قد يراه بعض الناس صورة من صور التسلية، ولا يدركون أن صناعة الشائعات، وترويجها بين الناس وسيلة من وسائل الهدم التي يستخدمها أهل الباطل في صراعهم مع أهل الحق، فترى أمة الجسد الواحد يشكك بعضها في بعض، ويخوّن بعضها بعضًا ؛ لذا قال النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ) (صحيح مسلم).

فإذا كان **تحدث الإنسان بكل ما يسمعه نوعًا من أنواع الكذب**، يُعاقَب عليه قائله عقوبة شديدة في الآخرة، فكيف بمَنْ يتحدث بما لم يره، أو يسمعه، ولا علم له به، زورًا، وبهتانا، وافتراءً؟ وكم من كلمة كاذبة تبلغ الآفاق، فتكون سببا في عذاب صاحبها يوم القيامة، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): ( إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ) (صحيح البخاري)، مما يتطلب منا الحيطة، والحذر، والتعقل، وعدم الخوض فيما لا نعلم، أو الفتوى بدون علم.

لقد أمرنا الحق سبحانه بالتثبت، وعدم الانسياق وراء المخربين، والتحقق من كل الأخبار التي ترد إلينا، حيث يقول سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} [الحجرات: ٦].

وقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (التَّأَنِّي مِنَ اللهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ) (السنن الكبرى للبيهقي)، وقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (التُّؤَدَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ)(سنن أبي داود).

ألا ما أحوجنا إلى الوعي بقيمة الشأن العام، وتغليب المصلحة العامة، وإدراك المخاطر التي تحيط بنا، ويراد لنا الانزلاق فيها كغيرنا، فلنتعظ بغيرنا، ونفوت تلك الفرص على أعداء الدين والوطن، ولنثبت متحدين على الحق، حتى لا نسقط في مكائد أعدائنا المتربصين بنا، ولننشر الثقة بيننا، ولنتعاون على كل خير يعود أثره على الناس جميعًا.

اللهم وفقنا لأداء حقوق وطننا علينا، واحفظ شعبنا ، وولاة أمورنا، وجيشنا ، وشرطتنا ، واجعل مصرنا العزيزة أمنا أمانا ، سخاء رخاء ، وسائر بلاد العالمين.

* * *

# حقوق الوالدين وذوي الأرحام

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا}[الإسراء: ٢٣، ٢٤]، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليهِ وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، أجمعين.

**وبعـد**:

فقد جاء الإسلام برسالة سمحةٍ، تدعو إلى كل خلق كريم، وتُؤَصِّلُ لكل مبدأ نبيل، وتُرشد إلى كل سلوكٍ مستقيم، وتجعل من القيم والمثل العليا منهج حياة، يضبط ميزان المعاملات بين الناس بالحق، والعدل، والرحمة، والمحبة، والإنسانية، حيث يقول الحق سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النحل: ٩٠].

وإن من مظاهر عظمة الشريعة الإسلامية أنها وضعت قواعد وضوابط وحقوقًا للتعامل مع الوالدين والأقربين ؛ فالوالدان هما أحق الناس **بالاحترام**، **والتقدير**، **والعناية**، ولقد أمرنا الله تعالى في كتابه الكريم ببر الوالدين، والإحسان إليهما، وجمع سبحانه بين ذلك وبين الأمر بعبادته تعالى وعدم الإشراك به، حيثُ يقول سبحانه: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا

بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا}[النساء: ٣٦]، كما أمر سبحانه بشكره على نعمه، وقرن شكر الوالدين بشكره ؛ لعظيم فضلهما، وسمو منزلتهما، ورفعة قدرهما، قال ابْن عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا): ثَلَاثُ آيَاتٍ نَزَلَتْ مَقْرُونَةً بِثَلَاثٍ، لَمْ تُقْبَلْ مِنْهَا وَاحِدَةٌ بِغَيْرِ قَرِينَتِهَا، ومنها: قَوْله تَعَالَى: {أَنْ اُشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ} [لقمان: ١٤]، فَمَنْ شَكَرَ لله، وَلَمْ يَشْكُرْ وَالِدَيْهِ، لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ.

لقد أعلى الإسلام من شأن الوالدين، وأمر **ببرهما**، **وحسن رعايتهما**، **والتلطف معهما**، فعَنْ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) يَقُولُ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْجِهَادِ فَقَالَ أَحَيٌّ وَالِدَاكَ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ) (صحيح البخاري).

ولقد ضربت ابنتا الرجل الصالح في قصة سيدنا موسى (عليه السلام) أروع الأمثلة في البر وحسن الرعاية ؛ فقد كان أبوهما شيخًا كبيرًا، لا يقوى على العمل، فقامتا بالعمل بدلا منه، دون تأففٍ، أو ضجر، قال تعالى: {وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ}[القصص: ٢٣] ، وعن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) أن رجلًا قال: يا رسول الله إن لي مالًا وولدًا، وإن أبي يريد أن يجتاح مالي، فقال (صلى الله عليه وسلم): (أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ) (سنن ابن ماجه).

كما أمرنا الإسلام **بتوقير الوالدين**، **وعدم إيذائهما**، **وحب الخير لهما**، قال تعالى: {إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا}[الإسراء: ٢٣]، فقد نهى الله تعالى

الإنسان عن أدنى كلمة تعبر عن الضجر، ولو كان هناك كلمة أدنى من كلمة "أف" لنهى الله (عز وجل) عنها، فالأولى ألا يتسبب الإنسان في أذاهما، أو الإساءة إليهما، فقد قال سيدنا أبو هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) لِرَجُلٍ – وَهُوَ يَعِظُهُ فِي بِرِّ أَبِيهِ –: " لَا تَمْشِ أَمَامَ أَبِيكَ، وَلَا تَجْلِسْ قَبْلَهُ، وَلَا تَدْعُوهُ بِاسْمِهِ، وَلَا تَسْتَسِبَّ لَهُ" (الجامع لابن وهب).

أي: لا تُعَرِّضْه للسَّبِّ، فلا ينبغي أن يتسبب المسلم في أي أذى لوالديه، قال (صلى الله عليه وسلم): (إنّ مِن أكبَرِ الكَبائِرِ أنْ يَلعَنَ الرجُلُ والِدَيه)، قالوا: يا رسولَ اللهِ، وكيفَ يَلعَنُ الرجُلُ أبَوَيه؟ قال: (يَسُبُّ الرجُلُ الرجُلَ، فيَسُبُّ أباه، ويَسُبُّ الرجُلُ أُمَّه، فيَسُبُّ أُمَّه) (شعب الإيمان للبيهقي).

ولقد أوصى الإسلام ببر الوالدين، وحسن صحبتهما، **حتى ولو كانا على غير الملة**، قال تعالى: {وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا} [لقمان: ١٥]، وهذا ما كان من سيدنا إبراهيم (عليه السلام) في دعوته مع أبيه، حيث قال تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا} [مريم: ٤١– ٤٥].

وهذه أسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنهما)، تأتيها أمها – وهي مشركة – راغبة: فسألت النبيَّ (صلى الله عليه وسلم) عن ذلك، قالت: يا

رسول الله، قدمت علي أمي وهي راغبة، أفأصل أمي؟ قال: (نَعَمْ، صِلِي أُمَّكِ) (صحيح البخاري).

إن للبر بالوالدين آثارًا عظيمة، وفضائل جليلة، يجنيها العبد في الدنيا والآخرة، منها: أن بر الوالدين **سبب في تفريج الكربات**، فقد ذكر لنا النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عن حال ثلاثة نفر ألجأهم المطرُ إلى غارٍ في جبلٍ، فوقعت صخرةٌ على باب الغار فأغلقته، فقالوا: إنَّه لا يُنْجِيكُمْ مِن هذِه الصَّخْرَةِ إلَّا أنْ تَدْعُوا اللَّهَ بصَالِحِ أعْمَالِكُمْ، فَقالَ رَجُلٌ منهمْ: " اللَّهُمَّ إنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ، كُنْتُ أَرْعَى عَلَيْهِمْ، فَإِذَا رُحْتُ عَلَيْهِمْ حلَبْتُ، فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ أَسْقِيهِمَا، قَبْلَ بَنِيَّ، وَإِنِّي اسْتَأْخَرْتُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَلَمْ آتِ حَتَّى أَمْسَيْتُ، فَوَجَدْتُهُمَا نَامَا، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ، فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصِّبْيَةَ، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ – أي: يصيحون من الجوعِ – عِنْدَ قَدَمَيَّ حَتَّى طَلَعَ الفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ لَنَا فَرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، فَفَرَجَ اللَّهُ، فَرَأَوُا السَّمَاءَ... " (صحيح البخاري)، فكان بره بأبويه سببا في تفريج كربته ونجاته.

ومنها: أن من بر والديه بره أبناؤه؛ لأن الجزاء من جنس العمل لأن الجزاء من جنس العمل، فمن كان بارًا بأبويه يرزقه الله تعالى بر أبنائه في الدنيا، وقد كافأ الله (عز وجل) سيدنا إبراهيم (عليه السلام) على حسن صنيعه وبره بأبيه أن رزقه بر ولده سيدنا إسماعيل (عليه السلام)، وقد صور القرآن الكريم ذلك، قال تعالى: {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا

بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ} [الصافات: ١٠٢]

وكما أن لبر الوالدين ثمراته في الدنيا، فهو أيضًا **سبب في سعادة المسلم في الآخرة بدخوله الجنة**، فقد جاء رجل النبيّ (صلى الله عليه وسلم) يستأذنه في الجهاد، فقال (صلى الله عليه وسلم): (هَلْ لَكَ مِن أُمٍّ؟)، قال: نعم، قال (صلى الله عليه وسلم): (فَالْزَمْهَا، فَإِنَّ الجَنَّةَ عِندَ رِجْلِها) (مسند أحمد)، وقال (صلى الله عليه وسلم): (الوالدُ أوسطُ أبواب الجنة، فإن شئتَ فحافظْ على الباب أو ضيِّعْ) (مسند أبي داود)، وقال ابن عمر (رضي الله عنهما) لرجل: أَتَفْرَقُ النَّارَ – أي: أتخاف وتفزع من النار – وَتُحِبُّ أَنْ تَدْخُلَ الْجَنَّةَ؟ قال: إي، والله، قال: أحيٌّ والداك؟ قال: عندي أمي، قال: فَوَ اللَّهِ، لَوْ أَلَنْتَ لَهَا الْكَلَامَ، وَأَطْعَمْتَهَا الطَّعَامَ، لَتَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مَا اجْتَنَبْتَ الكبائر) (الأدب المفرد).

على أننا نؤكد أن الإنسان مهما قدم لوالديه من بر وإحسان فلن يوفهما حقهما، قال (صلى الله عليه وسلم): (لَا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدًا، إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ) (صحيح مسلم)، كما أن بر الوالدين لا يكون في حياتهما فقط ؛ وإنما يستمر حتى بعد وفاتهما، بالدعاء لهما، والصدقة عنهما، وصلة رحمهما، قال (صلى الله عليه وسلم): (...إِنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَنَّى هَذَا؟ فَيُقَالُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ)، و هذا سيدنا سعد بن عبادة (رضي الله عنه) يسأل النبي (صلى الله عليه وسلم) عن الصدقة عن أمه، قال: يا رسول الله، إن أم سعد ماتت،

فأيُّ الصدقة أفضل؟ قال: (الْمَاءُ)، فحفر بئرًا، وقال: هذه لأم سعد، وجاء رجل رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فقال: يا رسول الله، هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: (نَعَمْ، الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا)، والصلاة عليهما تعني: الدعاء لهما، وقال (صلى الله عليه وسلم): (إِنّ مِنْ أَبَرّ البِرِّ أَنْ يَصِلَ الرّجُلُ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ).

**أقولُ قولِي هذَا، وأستغفرُ اللّهَ لِي ولكُمْ.**

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لاَ شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ سيدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عبدُه ورسُولُه، اللهُمَّ صَلّ وسلمْ وَبارِك عليهِ، وَعلى آلهِ وصحبهِ أجمعينَ، وَمن تَبعَهُمْ بإحسانٍ إِلىَ يومِ الدِّين.

**إخوةَ الإسلام**:

كما أوصى الإسلام بالوالدين، أوصى بذوي الأرحام، وهم من يرتبط الإنسان معهم بقرابة، وجعل لهم حقوقًا، قال تعالى: {وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ} [الأحزاب: ٦]، قَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَا مِنْ ذَنْبٍ أَحْرَى أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ الْعُقُوبَةَ لِصَاحِبِهِ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ، مِنَ الْبَغْيِ، وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ) (مسند أحمد)، وقال (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ اللَّه تَعَالى خَلَقَ الخَلْقَ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ، قَامَتِ الرَّحِمُ، فَقَالَتْ: هَذَا مقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى، قال: فذَلِكَ لَكِ)، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّه (صلى الله عليه وسلم): (اقرؤوا إِنْ شِئْتُمْ: {فَهَلْ

عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ}[محمد: ٢٢، ٢٣]، (شعب الإيمان للبيهقي) ، وقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، (قَالَ اللَّهُ (تَبَارَكَ وَتَعَالَى): أَنَا اللَّهُ، وَأَنَا الرَّحْمَنُ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ، وَشَقَقْتُ لَهَا مِنِ اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ) (سنن الترمذي)

وتتحقق صلة ذوي الأرحام **بزيارتهم**، **وتفقد أحوالهم**، **ومعاونتهم**، قال (صلى الله عليه وسلم): (الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي الرَّحِمِ اثْنَتَانِ؛ صِلَةٌ، وَصَدَقَةٌ) (مسند أحمد)، كما تتحقق كذلك بإجابة دعوتهم، وعيادة مريضهم، واتباع جنائزهم، كما ينبغي توقير كبيرهم، ورحمة صغيرهم، وسلامة الصدر نحوهم، والدعاء لهم.

ولقد جعل الله (عز وجل)صلة الرحم سببا في بركة العمر وسعة الرزق، حيث يقول نبينا قال (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمْرِهِ، وَأَنْ يُزَادَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، فَلْيَبَرَّ وَالِدَيْهِ، وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ) (مسند أحمد)، كما أخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) أن صلة الرحم سبب في مغفرة الذنوب، فَقَد جاء رجل إلَى النبي(صلى الله عليه وسلم) فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا، فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ (صلى الله عليه وسلم): (هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟)، قَالَ: لاَ، قَالَ (صلى الله عليه وسلم): (هَلْ لَكَ مِنْ خَالَةٍ؟)، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ (صلى الله عليه وسلم): (فَبِرَّهَا) (سنن الترمذي).

فيجب على الإنسان أن يحذر من القطيعة ، وأن يرد السيئة بالحسنة، بل يعفو ويصفح، قال وقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لَيْسَ الوَاصِلُ

بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا) (صحيح البخاري)، وجاء رجل إى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: (لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ) (صحيح مسلم)،

لقد نهى الإسلام عن القطيعة، وحذر من عواقبها الوخيمة في الدنيا والآخرة، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم): (مَا مِنْ ذَنْبٍ أَحْرَى أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ الْبَغْيِ، وَ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ) (مسند أحمد)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعٌ) (مسند أحمد) ؛ يعني: قاطع رحم.

فلنتق الله في آبائنا وأمهاتنا ، ولنصل أرحامنا ، ولنحسن إلى الناس أجمعين.

اللهم وفقنا للبر بآبائنا، وأمهاتنا، واجعلنا واصلين لأرحامنا، واحفظ شعبنا، واجعل مصرنا بلدًا آمنًا، سخاء، رخاء، سلمًا سلاما، وسائر بلاد العالمين.

* * *

## من سنن الله تعالى الكونية
## إجراء المسببات على الأسباب

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}[التوبة:١٠٥]، وأشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليَهِ وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، أجمعين .

**وبعد :**

فقد جعل الله (عز وجل) للكون سننا وقوانين تحكمه، وقواعد تسيّر حركته، فلا يتقدم لاحق على سابق، ولا يتأخر سابق عن لاحق، قال تعالى: {لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ}[يس:٤٠]، وقال تعالى: {فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا}[فاطر:٤٣]، ولقد جعل الله (عز وجل) هذه السنن ميزانًا يضبط قواعد الحياة، ويتحقق به إعمار الأرض، والحفاظ عليها الذي هو غاية من غايات الخلق، حيث يقول سبحانه: {هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا}[هود:٦١]، ويقول جل شأنه : {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا}[الأعراف:٥٦]، ومما لا شك فيه أن الأمم التي أدركت حقيقة هذه السنن الإلهية ، وعملت بمقتضاها، سادت ، وتقدمت حتى ولو لم تكن مسلمة ، بل ولو لم تكن تدين بدين أصلا ؛ لأن هذه السنن لا تحابي أحدًا، ولا تجامل مخلوقًا.

وإن من سنن الله تعالى الكونية : إجراء المسببات على الأسباب ؛ فلقد خلق الله تعالى الأسباب ومسبباتها، وأمرنا بالأخذ بالأسباب، فإذا وجدت الأسباب تحققت النتائج، وهذا قانون عام محكم، يجري على الكون كله، في كل زمان ومكان، فلكل شيء سببه، فالنار سبب الإحراق، والقتل سبب للموت ، والحرث والبذر سبب للزرع ، والأكل سبب للشِّبَع، والجد والاجتهاد سبب للنجاح ، والكسل والإهمال سبب للفشل، وهكذا.

إن الأمر بالسعي في الأرض والعمل فريضة دينية، وواجب شرعي ووطنيّ، حيثُ يقول سبحانه: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ}[الملك: ١٥]، ويقول سبحانه: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[الجمعة :١٠]، فهذا مفهوم الدين الإسلامي للسعي والجد والعمل والاجتهاد، وإعمار الأرض، فلا حجة لنا حين نتخلف، تحت أي دعاوى لا تمت للدين بأي صلة ؛ إنما هي دعاوى الخمول، والكسل، والتخلف عن ركب الحضارة.

وإن المتأمل في سيرة الأنبياء والصالحين يجد أنهم اجتهدوا في الأخذ بالأسباب في كل شئون حياتهم، فهذا سيدنا نوح (عليه السلام) كان نجارًا، وبعد عمر طويل في دعوة قومه أمره الله سبحانه أن يصنع السفينة، قال تعالى: {وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ}[هود:٣٧]، وكان يمكن أن ينجيه الله تعالى بقدرته بلا سبب، أو عمل، ولكن الله تعالى يعلمنا كيف يكون الأخذ

بالأسباب، فاستجاب نوح (عليه السلام) لأمر ربه، وأخذ يصنع السفينة، ولم يتوان رغم سخرية قومه منه، قال تعالى: {وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ}[هود:٣٨]، واستمر في عمله، وكافأه الله تعالى فنجاه هو والمؤمنين من قومه .

وكان سيّدنا داود (عليه السّلام) حدادًا، علمه الله هذه الصنعة التي يعود أثرها ونفعها عليه وعلى الناس ، قال تعالى : {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}[سبأ : ١٠ ،١١]، وقال (صلى الله عليه وسلم) : (ما أَكَلَ أَحَدٌ طعامًا قطُّ، خيرًا من أن يأكلَ من عملِ يدِه، وإنّ نبيّ اللهِ داودَ (عليهِ السّلامُ) كان يأكلُ من عملِ يدِه) (صحيح البخاري).

وفي قصة نبي الله يوسف ( عليه السلام ) كان الأخذ بالأسباب والتخطيط المحكم سببًا لنجاة البلاد والعباد من مجاعة مهلكة، وخطر محدق، فقد أخذ نبي الله يوسف (عليه السلام) بالأسباب وأعدَّ خطة طويلة مدروسة ، لإنقاذ البلاد من مجاعة أحاطت بالعالم كله ، فتحقق لبلاده الرخاء والازدهار ، والحماية ، والقوة الاقتصادية ، وجاءه الناس من كل فج عميق لينالوا من خيرات مصر ، وقد ذكر لنا القرآن الكريم ذلك على لسان سيدنا يوسف (عليه السلام) في قوله تعالى : {قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ

* ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ} [يوسف : ٤٧ – ٤٩].

وهذه السيدة مريم (عليها السلام) والتي كان يأتيها الرزق رغدًا بصورة تعجب منها نبيُّ الله زكريا (عليه السلام) فقال لها كما ذكر لنا القرآن الكريم ذلك على لسانه، فقال تعالى: {كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [آل عمران : ٣٧]، وفي موقف آخر على الرغم من ضعفها ومشقة الألم يأمرها الله سبحانه أن تهز جذع النخلة ليتساقط عليها الرطب، ولو أراد الله تعالى أن يتساقط دون شيء لفعل، ولكنه تعالى يعلمنا الأخذ بالأسباب وبذل الجهد، قال تعالى: {وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا} [مريم:٢٥]، ولله در القائل:

تَوَكَّلْ عَلَى الرَّحْمَنِ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ ... وَلا تَرْغَبَنْ فِي العَجْزِ يَوْمًا عَنِ الطَّلَبْ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ قَالَ لِمَرْيَمٍ ... وَهُزِّي إِلَيْكِ الجِذْعَ يَسَّاقَطِ الرُّطَبْ
وَلَوْ شَاءَ أَنْ تَجْنِيهِ مِنْ غَيْرِ هَزَّةٍ ... جَنَتْهُ وَلَكِنْ كُلُّ شَيْءٍ لَهُ سَبَبْ

(المستطرف في كل فن مستظرف)

وهذا ذو القرنين الذي طوى الله تعالى له الأرض شرقًا وغربًا، لما مرَّ على القوم الذين لا يكادون يفقهون قولاً لاستعجام كلامهم وبعدهم عن الناس، اشتكوا إليه ظلم يأجوج ومأجوج، وإغارتهم عليهم، وإفسادهم لأموالهم وزروعهم وأنفسهم، قالوا كما قص القرآن الكريم: {يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ

تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا}[الكهف:٩٤]، فاكفنا شرهم، ولك الأجر والعطاء، فسلك بهم طريق الأخذ بالأسباب ، واستثمر طاقاتهم المهدرة ، وحرك قوتهم المعطلة ، وجعلهم يتعلمون كيف يعتمدون على أنفسهم لا على غيرهم في قضاء مصالحهم، فتحولوا بذلك أعوانًا له، لا عالة عليه ، وحكى القرآن الكريم ذلك على لسانه ، حيث قال تعالى: {فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا}[الكهف:٩٥:٩٧]، ثم عندما بذل جهده في الأخذ بالأسباب، وأتم البناء نسب الفضل لله (عز وجل): {قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا}[الكهف:٩٨].

ولقد ضرب لنا نبينا الكريم (صلى الله عليه وسلم) أروع الأمثلة في الأخذ بالأسباب في رحلة الهجرة المباركة، حيث علّم النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) أمته أن التخطيط المحكم، والترتيب الدقيق ضرورة من ضرورات النجاح، وتخطي الأزمات، فقد جهز النبي (صلى الله عليه وسلم) راحلتين، واختار الصاحب الأمين، وحدد الوقت والمكان المناسب للخروج والانطلاق، فخرجا ليلاً من بيت أبي بكر (رضي الله عنه)، واختار دليلاً ماهرًا إيمانًا منه (صلى الله عليه وسلم) بتقديم الكفاءات، واستثمار الطاقات ، مهما اختلفت الأفكار والرؤى ، أو حتى العقائد ، ثم كلف (صلى الله عليه وسلم) عامر بن فهيرة (رضي الله عنه) بتتبع آثارهما للعمل على إخفائها أخذًا بالأسباب ، وهو يدرك غاية

الإدراك أن الله كفيل به هو وصاحبه، غير أنه (صلى الله عليه وسلم) أراد أن يعلمنا أن سنة الله تعالى في كونه تقتضي الأخذ بالأسباب، ثم تفويض الأمر لله (عز وجل).

**أقولُ قولِي هذَا، وأستغفرُ اللهَ لِي ولكُمْ.**

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لاَ شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ سيدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عبدُه ورسُولُه، اللهُمَّ صَلِّ وسلمْ وَبارك عليهِ، وَعلى آلهِ وصحبهِ أجمعينَ، وَمن تَبعَهُمْ بإحسانٍ إِلىَ يومِ الدِّين.

**إخوة الإسلام:**

إن الأخذ بالأسباب لا يتعارض ولا يتنافى مع التوكل على الله (عز وجل)، فإن من علم حقيقة التوكل اجتهد في الأخذ بالأسباب، فالمتوكل الحقيقي يأخذ بالأسباب، ويبذل طاقته وجهده، ويرد الأمر كله لله صاحب التوفيق والفضل والعون، قال تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}[الفاتحة:٥]، وفي تطبيق عمليٍّ لمعنى التوكل على الله يقول النبيُّ (صلى الله عليه وسلم): (لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا) [مسندأحمد]، فالطيرُ لا تدخر طعامًا ولا شرابًا، ولا تكسل عن السعي وطلب الرزق، ولكنها تبدأ مع الصباح في السعي والانطلاق والبحث، وتعود وقد رزقها الله تعالى من فضله ما يكفيها ، وهذه غريزة وفطرة تتسق وحركة الحياة ، ولو كان عندها ما يكفيها عمرها كله ، ما كسلت ، ولا ركنت إلى الدعة، بل تستمر في سعيها، وبحثها، وخروجها كل صباح .

لقد كان (صلى الله عليه وسلم) يعلم أصحابه المعنى الحقيقي للأخذ بالأسباب في الأمور كلها، وينهى عن التواكل الذي يضر ولا ينفع، ولا نبالغ إذا قلنا: إننا نأثم ونظلم أنفسنا وأبناءنا حين لا نأخذ بأسباب التقدم والرقي، فديننا دين العلم والرقي والحضارة والجمال والنفع للناس أجمعين، فقد قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أُطْلِقُ نَاقَتِي وَأَتَوَكَّلُ؟ أَوْ أَعْقِلُهَا وَأَتَوَكَّلُ؟ قَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ)(سنن الترمذي)، فربط الناقة أخذًا بالأسباب لضمان بقائها ، أما تركها فأدعى لسرقتها، أو ضياعها.

ولقد فقه الصحابة والتابعون الكرام ذلك من النبي (صلى الله عليه وسلم)، وطبقوه عمليًّا، قال سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): " لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق، ويقول: اللهم ارزقني، وقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا، ولا فضة" (إحياء علوم الدين)، وحينما أَتَى عَلَى قَوْمٍ لا يعملون، فَقَالَ: مَا أَنْتُمْ؟ فقَالُوا: نَحْنُ الْمُتَوَكِّلُونَ، فقَالَ: بَلْ أَنْتُمُ الْمُتَّكِلُونَ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالْمُتَوَكِّلِينَ؟ رَجُلٌ أَلْقَى حَبَّةً فِي بَطْنِ الْأَرْضِ، ثُمَّ تَوَكَّلَ عَلَى رَبِّهِ"(شعب الإيمان)، وقال الأزرق بن قيس: كنا على شاطئ نهر بالأهواز قد نضب عنه الماء، فجاء أبو برزة الأسلمي على فرس فصلى، وخلى فرسه، فانطلقت الفرس، فترك صلاته، وتبعها حتى أدركها، فأخذها، ثم جاء فقضى صلاته، وفينا رجل له رأي، فأقبل يقول: انظروا إلى هذا الشيخ، ترك صلاته من أجل فرس ! فقال أبو برزة: ما عنفني أحد منذ فارقت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ثم قال: إن منزلي مُتَرَاخٍ (بعيد)، فلو صليت وتركت، لم آتِ أهلي إلى الليل"(صحيح

البخاري)، وهذا فهم حقيقي لمعنى الأخذ بالأسباب الذي دعا إليه ديننا الحنيف الذي أمرنا بالأخذ بالأسباب والتوكل، ويكافئ كل مجتهد بقدر سعيه وجهده، قال الله تعالى: {وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى}[النجم:٣٩:٤١].

اللهم وفقنا لما فيه صالح ديننا ، ورفعة شعبنا ، ورقي بلادنا ، وسائر بلاد العالمين.

* * *

## أمة اقرأ.. أمة أتقن.. بين علماء الأمة ودعاة الفتنة

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ}[الزمر: ٩]، وأَشهدُ أنْ لاَ إلـهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَـهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليهِ وعلَى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين.

**وبعــد**:

فلقد رغب الإسلام في طلب العلم، وحث على الجد والاجتهاد في تحصيله، ولا أدل على ذلك من أن أول ما نزل من القرآن الكريم هو قول الله سبحانه وتعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}[العلق: ١-٥] ؛ فأول أمرٍ سماوي نزل به الوحي هو الأمر بالقراءة التي هي أول أبواب العلم، ثم أتت بعد ذلك الإشارة إلى القلم الذي هو وسيلة تدوين العلم ونقله، وفي هذا تنبيه للناس كافة على بيان فضل العلم، والترغيب في طلبه، والحث عليه، وإشارة صريحة إلى أن الإسلام دين العلم والمعرفة، وأن هذه الأمة هي أمة العلم وصناعة الحضارة.

كما سُميت سورة كاملة في القرآن الكريم باسم "القلم" ، واستهلها سبحانه وتعالى بقوله : {ن * وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ}[القلم: ١، ٢] ؛ تأكيدًا على أهمية أدوات العلم ووسائله، ويكفي بالعلم شرفًا أن الله (عز وجل) لم يأمر نبيه (صلى الله عليه وسلم) بالازدياد من شيء في الدنيا إلا من العلم، حيث يقول سبحانه: {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا}[طه: ١١٤]، بل إن

النبي (صلى الله عليه وسلم) جعل الخروج لطلب العلم خروجًا في سبيل الله (عز وجل)، وبين أن الجد في طلبه سبب من أسباب دخول الجنة، فقَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَهُوَ فِي سَبِيل الله حَتَّى يَرْجِعْ) [سنن الترمذي]، ويقول (صلى الله عليه وسلم ): " مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ " [صحيح مسلم]، فالعلم أحد أعمدة بناء الدول، به تنهض الأمم وتتقدّم، وبه ينال الإنسان مكانته، ويعلو قدره.

ولقد أعلى القرآن الكريم من شأن العلماء – على اختلاف تخصصاتهم – فقال تعالى: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}[المجادلة: ١١]، كما شهد الله تعالى للعلماء بأنهم أهل خشيته، فقال سبحانه: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ}[فاطر: ٢٨]، ولعظم قدرهم وعلو منزلتهم شرَّفهم الله (عز وجل) بالشهادة على أعظم مشهود، فقال تعالى: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[آل عمران: ١٨].

وقد أكد النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) على ذلك، فبين أن أهل العلم هم ورثة الأنبياء في إرشاد الناس، وهدايتهم، والأخذ بناصيتهم إلى طريق الحق والنور، والإصلاح والبناء، فقال (صلى الله عليه وسلم): (إنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياء، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا وَإِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بحَظٍّ وَافِرٍ) [سنن أبي داود]، ويقول (صلى الله

عليه وسلم): (وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ) [سنن أبي داود].

ولا شك أن أهل العلم الذين كرمهم الله (عز وجل) وأعلى من شأنهم، والذين أثنى عليهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هم علماء الأمة المخلصون الذين أدركوا عظم الأمانة التي يحملونها ؛ أمانة العلم، وأمانة الدعوة، وأمانة البيان، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِيَ فَحَفِظَهَا فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا...) [مسند البزار]، علماء الأمة المخلصون هم من فطنو لطبيعة المهمة التي اصطفاهم الله عز وجل من أجلها، وأنها ليست مهمة تكسب بالعلم، أو بالدين، فالرسالة التي يقومون بأدائها أرقى، وأسمى، وأعظم من ذلك، يقول الحق سبحانه على لسان سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم): {قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}[سبأ: ٤٧]، ويقول سبحانه على لسانه (صلى الله عليه وسلم): {قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا} [الفرقان: ٥٧]، ويقول سبحانه على لسان أنبيائه: نوح وهود وصالح ولوط وشعيب (عليهم السلام): {وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ}[الشعراء: ١٠٩]، بصيغة واحدة تؤكد وحدة الهدف، والمنهج، وصدق النية مع الله (عز وجل)، وتمام الإخلاص له وحده.

إن علماء الأمة الحقيقيين هم من بذلوا وقتهم، وجهدهم، وقدموا علمهم خدمة لدينهم، ووطنهم، فسلكوا بالناس مسلك الوسطية والاعتدال، والتسامح والرحمة، فأثمرت دعوتهم أجيالا نافعة، تبني ولا

تهدم، تعمر ولا تخرب، تُعلي من القيم الإنسانية، وترفع من كرامة الإنسان، وتتعايش مع الناس جميعا في سلم وسلام، وأمن وأمان، وهذا هو العلم النافع الذي يكون ذخرا لصاحبه بعد وفاته، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ، إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ) [صحيح مسلم]، وكان (صلى الله عليه وسلم) يستعيذ بالله من العلم الذي لا ينفع ولا يبني ولا يعمر ولا يهذب الأخلاق والسلوك، فكان (صلى الله عليه وسلم) يقول: (سَلُوا اللَّهَ عِلْمًا نَافِعًا، وَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ) [صحيح ابن حبان]، وكان من دعائه (صلى الله عليه وسلم): (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لاَ يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لاَ تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لاَ يُسْتَجَابُ لَهَا) [صحيح مسلم].

إن علماء الأمة الحقيقيين هم من فقهوا رسالة العلم، وعرفوا ثقل أمانته، فأدركوا خطورة الفتوى، وكانوا يتحرجون منها، لعلمهم بعظم أمرها، وهذا ما كان عليه أهل العلم من الصحابة والتابعين، فها هو سيدنا أبو بكر الصديق (رضي الله عنه)، يقول: " أَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي؟ وَأَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي؟ إِذَا قُلْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ" [موطأ الإمام مالك]، وقد سُئل الإمام مالك (رحمه الله) يومًا في أربعين مسألة ، فأجاب عن أربع منها، وقال في ست وثلاثين منها : " لا أدري" [نهاية السول شرح منهاج الوصول]، دون خجل ، أو تردد ؛ لأنَّ لا أدري هي وقاية العالم وجُنته التي لو أغفلها هلك .

وسئل الإمام الشافعي (رحمه الله) يومًا عن مسألةٍ، فسكَت، فقيل له: ألا

تُجيب السائل يا إمام؟ فقال: حتى أدري الفضل في سكوتي، أم في الجواب؟ [فتاوى ابن الصلاح] وكان الإمام أحمدُ بن حنبل (رحمه الله) يُستفتى، فيُكثر مِن قول: لا أدري، وسئل الشعبي (رضي الله عنه) عن مسألة، فقال: لا أحسنها، فقال له أصحابه: قد استحيينا لك، فقال: لكن الملائكة لم تستح حين قالت: {لَا عِلْم لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا}[البقرة: ٣٢] [نثر الدرر]، وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى: أدركت عشرين ومائة من الأنصار، من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، يُسألُ أحدهم عن المسألة، فيردها إلى هذا، وهذا إلى هذا، حتى ترجع إلى الأول [السنن الكبرى للبيهقي]، وقد سُئِلَ عَطَاء بن يسار عَنْ شَيْءٍ، فقالَ: "لَا أَدْرِي"، قِيلَ لَهُ: أَلَا تَقُولُ فِيهَا بِرَأْيِكَ؟ قَالَ: "إِنِّي أَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ) أَنْ يُدَانَ فِي الْأَرْضِ بِرَأْيِي" [سنن الدارمي].

**أقولُ قولِي هذَا، وأستغفرُ اللّهَ لِي ولكُمْ.**

*   *   *

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لاَ شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ سيدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عبدُه ورسُولُه، اللهُمَّ صَلِّ وسلمْ وَبارك عليهِ، وَعلى آلهِ وصحبهِ أجمعينَ، وَمن تَبعَهُمْ بإحسانٍ إِلىَ يومِ الدِّين.

**إخوةَ الإسلام** :

إن علماء الأمة المخلصين هم أصحاب الهدْي الصالح، والسَّمت الصالح، والاقتصاد والاعتدال ، الذين يحملون راية الوسطية في كل زمان ينفون عن دين الله تحريف الغالين وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين.

أما علماء الفتنة الذين اتخذوا دينهم مطية لتحقيق أهدافهم، وبلوغ أغراضهم، فأولئك الذين تجرءوا على دين الله (عز وجل)، وأطلقوا قذائف الفتاوى التي تضر ولا تنفع، وتفرق ولا تجمع، وتهدم ولا تبني، وتفتح على الأمة باب التكفير، الذي حذر الإسلام من الولوج فيه، حيث يقول الحق سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا} [النساء: ٩٤]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلاَّ رَجَعَتْ عَلَيْهِ) [متفق عليه واللفظ لمسلم].

لقد اتخذ علماء الفتنة من التشدد والعنت والتضييق على الناس منهجًا لهم؛ وهو منهج بعيد كل البعد عن سماحة الإسلام ووسطيته، فقد رفع الإسلام عن الناس كل حرج، وأزال عنهم كل مشقة، حيث يقول الحق سبحانه: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} [الحج: ٧٨]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (بَشِّرُوا، وَلَا تُنَفِّرُوا، وَيَسِّرُوا، وَلَا تُعَسِّرُوا) [صحيح مسلم]، فالتشدد في الفتاوى يخالف الوسطية السمحة التي تميز بها الدين الإسلامي الحنيف، قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ}[البقرة: ١٤٣]، والوسطية تعني: العدل، والاعتدال، والبعد عن الغلو الذي هو سبب في هلاك الأمم، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ) [سنن ابن ماجه]، وقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ (رحمه الله): " إِنّمَا الْعِلْمُ عِنْدَنَا الرُّخْصَةُ مِنْ ثِقَة، فَأَمّا التّشَدُّدُ فَكُلُّ أَحَدٍ يُحْسِنُهُ " [فتاوى ابن الصلاح].

على أننا نؤكد أن الجرأة على الفتوى من غير المؤهلين لها علميًّا ضلال وإضلال، فما أكثر ما تسببت الفتوى بغير علم في الإضرار بحياة الأشخاص، فعن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما)، قال: خرجنا في سفر فأصاب رجلًا منا حجر فشجّه في رأسه، ثم احتلم، فسأل أصحابه: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء، فاغتسل فمات، فلما قدمنا على النبي (صلى الله عليه وسلم) أُخبر بذلك، فقال (صلى الله عليه وسلم): (قَتَلُوهُ، قَتَلَهُمُ اللَّهُ، أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا ؛ فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ، إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ وَيَعْصِرَ، أَوْ يَعْصِبَ عَلَى جُرْحِهِ خِرْقَةً، ثُمَّ يَمْسَحَ عَلَيْهَا، وَيَغْسِلَ سَائِرَ جَسَدِهِ) [سنن أبي داود].

فما أحوجنا إلى أن يلزم كل منا تخصصه، وأن يجتهد فيما يحسنه، خشية لله تعالى، واحترامًا للعلم، وحرصًا على عدم إضلال الناس، يقول الحافظ بن حجر (رحمه الله): "من تكلم في غير فنه أتى بالعجائب"[فتح الباري]، وكم من كلمةٍ أطلقها صاحبها – بغير علم – كانت سببا في خراب، ودمار، وفساد، فالسكوت خير من كلام يضر ولا ينفع، ولو سكت من لا يعلم لسقط الخلاف، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (... وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ) [متفق عليه].

اللهمّ أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه، واحفظ مصرنا وسائر بلاد العالمين.

* * *

# حقوق الشباب ووجباتهم

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى}[الكهف: ١٣]، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ وعلَى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين.

**وبعــد**:

فإن مرحلة الشباب من أهم مراحل عمر الإنسان ؛ فهي مرحلة القوة البدنية، والنضج، والحيوية، والنشاط، والعطاء، والأمل الواسع، والانفتاح على الحياة، ولا شك أنَّ الشباب هم عماد الأمة، وقلبها النابض، وساعدها القويّ، ولا ينكر أحد دورهم المهم في بناء الأوطان، وفي نهضة الأمم ورقيها.

ولقد عبر القرآن الكريم عن مرحلة الشباب بأنها مرحلة القوة بين ضعفين ؛ ضعف الطفولة، وضعف الشيخوخة، فقال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً} [الروم: ٥٤]، لذا كانت النبوة والرسالة في سن الشباب، قال تعالى حكاية عن سيدنا يوسف (عليه السلام): {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}[يوسف: ٢٢]، وقال عن سيدنا موسى (عليه السلام): {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}[القصص: ١٤]، وقال ابن عباس (رضي الله عنهما): (مَا بعث الله نبيًّا إلا شابًّا، ولا أوتي العلم عالم إلا وهو شاب...)،(الدر المنثور) فهذا خليل الرحمن إبراهيم (عليه السلام) واجه

عبدة الأصنام وهو في سن الشباب، قال تعالى: {قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ}[الأنبياء: ٦٠]، كما أشار القرآن الكريم إلى فطنة وذكاء سيدنا سليمان (عليه السلام) وهو في مرحلة الشباب، فقال سبحانه: {فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا} [الأنبياء: ٧٩]، وهذا نبي الله موسى (عليه السلام) في ريعان شبابه وقوته وأمانته التي دفعت ابنة الرجل الصالح إلى التعبير عن ذلك، كما حكى القرآن الكريم على لسانها، في قوله تعالى: {قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ} [القصص: ٢٦]، وخاطب سبحانه سيدنا يحيى (عليه السلام) ليقوم بأمانة العلم، وتحمل عبء الدعوة، في قوة وعزم الشباب، قال تعالى: {يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا} [مريم: ١٢]، وقال تعالى واصفًا فتية الكهف المؤمنين: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى}[الكهف: ١٣]، كما بين الحق سبحانه وتعالى أن الشباب والقوة والعلم من مؤهلات القيادة وتحمل المسئولية، حيث يقول سبحانه: {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}[البقرة: ٢٤٧].

ولأهمية هذه الفترة من عمر الإنسان فقد بين النبي (صلى الله عليه وسلم) أن الله (عز وجل) سوف يسأل العبد عنها سؤالًا خاصًّا يوم القيامة، حتى يجتهد الإنسان في الاستفادة منها، واغتنامها فيما يعود نفعه عليه

وعلى الناس، فقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لا تَزُولَ قَدَما عبدٍ يومَ القيامةِ حتى يُسْأَلَ عن أَرْبَعِ خِصالٍ ؛ عن عُمُرِهِ فيمَ أَفْناهُ؟ وعَنْ شَبابِه فيمَ أَبْلاهُ؟ وعَن مالِهِ من أين اكْتَسَبَهُ، وفيمَ أَنْفَقَهُ؟ وعَنْ علمِهِ ماذا عمِلَ فيهِ؟) [المعجم الكبير للطبراني].

ولقد اهتم الإسلام بالشباب اهتمامًا كبيرًا، وجعل لهم حقوقًا، وعليهم واجبات، فلهم حق **التعليم**، **والتوجيه**، **وحسن الإعداد**، ولقد حكى القرآن الكريم ما كان من لقمان الحكيم مع ابنه، حيث غرس فيه الجوانب الدينية، وحثّه على الإصلاح و العطاء، والتحلي بالقيم الأخلاقية، قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ }[لقمان: ١٣ ]، وقال سبحانه: {يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ}[لقمان: ١٦ ـ ١٩].

وهذا ما كان يفعله النبي (صلى الله عليه وسلم) مع الشباب، فكان (صلى الله عليه وسلم) يهتم بهم اهتمامًا بالغًا، ويحرص على تأهيلهم وإعدادهم، ويغرس في قلوبهم وعقولهم مبادئ الدين العظيمة، وحب العلم، والتميز، فعن ابن عباس (رضي الله عنهما)، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَوْمًا، فَقَالَ: (يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ

كَلِمَاتٍ ؛ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ) [سنن الترمذي].

وبعد التعليم الجيد، والتدريب المتقن، يأتي حق الشباب في التمكين والدفع بهم – كل حسب علمه وقدراته وكفاءته – في مواقع العمل أو القيادة والمسئولية، وهذا ما فعله النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ) حيث وظف طاقات الشباب المختلفة، ودفع بهم لخوض معتركات الحياة ؛ فقد استأمن النبي (صلى الله عليه وسلم) على دعوته شابا لم يتجاوز العشرين من عمره، هو الأرقم بن أبي الأرقم (رضي الله عنه) الذي كان بيته مقرًّا آمنًا للنبي (صلي الله عليه وسلم) وصحابته الكرام في بداية الدعوة الإسلامية، كما أمَّر النبي (صلي الله عليه وسلم) أسامة بن زيد (رضي الله عنهما) على جيش المسلمين، وعمره آنذاك لم يتجاوز الثامنة عشرة عامًا.

وهذا زيد بن ثابت الأنصاري (رضي الله عنه) الذي كان عمره أحد عشر عامًا عند قدوم النَّبِيّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الْمَدِينَةَ، وقد أمره النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ) أن يتعلم لغة اليهود، ويعمل مترجمًا لرسول الله (صلى الله عليه و سلم) من وإلى لغة اليهود، وعن ذلك يقول سيدنا زيد (رضي الله عنه): "... فَتَعَلَّمتُ لَهُ كِتَابَهُم، مَا مَرَّت بِي خَمسَ عَشرَةَ لَيلَةً حَتى حَذَقتُهُ، وَكُنتُ أَقرَأُ لَهُ كُتُبَهُم إِذَا كَتَبُوا إِلَيهِ، وَأُجِيبُ عَنهُ إِذَا كَتَبَ " [مسند أحمد]، هذا إلى جانب تعلمه السّريانِية، والْفَارِسِيَّة، والْحَبَشِيَّة،

وَالرُّومِيَّة، وَغيرها، ثم كان له بعد تراكم كل هذه الخبرات دوره العظيم في جمع القرآن الكريم، فقد قال له سيدنا أَبُو بَكْر الصديق (رضي الله عنه) في خلافته: " إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لاَ نَتَّهِمُكَ، وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَتَتَبَّعِ القُرْآنَ فَاجْمَعْهُ " [صحيح البخاري]، فقام سيدنا زيد (رضي الله عنه) بهذه المهمة الثقيلة الجليلة على خير ما يكون القيام، هذا إلى جانب كونه (رضي الله عنه) علمًا في علم المواريث والقراءات، وكافة العلوم الشرعية التي أهلته أن يكون مفتيا وقاضيا في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان (رضي الله عنهما)، وعمره لم يتجاوز الثلاثين عامًا.

وكان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يدعو لمجلسه الشباب إلى جانب الشيوخ، ويستشيرهم في كل الأمور ، ويقول: " لا يمنع أحدًا منكم حَداثة سِنه أن يشير برأيه، فإن العلم ليس على حداثة السن ولا قِدمه، ولكن الله يضعه حيث شاء "[جامع معمر بن راشد]، فكان في مجلسه شباب، في مقدمتهم عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) الذي قال عنه عمر (رضي الله عنه): " إن له لسانًا سؤولاً، وقلبًا عقولاً " [المعجم الكبير للطبراني].

ولم يكن الأمر قاصرًا على الشباب من الرجال ؛ وإنما كان للنساء الشابات دورهن الذي لا ينكر في صنع الحضارة الإسلامية، فكان لهن دورهن في السلم والحرب، ومنهن السيدة أسماء بنت أبي بكر الصديق (رضي الله عنهما) ودورها البارز في الهجرة النبوية، حيث كانت تقوم بالإمداد من الطعام والشراب للنبي (صلى الله عليه وسلم)، وأبيها (رضي

الله عنـه) في رحلـة الهجـرة المشـرفة، بـل كـان لهـن دورهـن في أشـد الأوقـات وأصـعبها، ففـي سـاحات المعـارك كـن يسـقين الجنـد، ويسعفن المصابين، ومن ذلك ما كان منهن يوم أحد، يقول أنس (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): " وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ، وَأُمَّ سُلَيْمٍ تَنْقُلَانِ القِرَبَ عَلَى مُتُونِهِمَا – أي: ظهورهما – ثُمَّ تُفْرِغَانِها فِي أَفْوَاهِ القَوْمِ، ثُمَّ تَرْجِعَانِ فَتَمْلَآنِهَا، ثُمَّ تَجِيئَانِ فَتُفْرِغَانِهَا فِي أَفْوَاهِ القَوْمِ " [صحيح البخاري].

**أقولُ قولِي هذَا، وأستغفرُ اللّهَ لِي ولكُمْ.**

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لاَ شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ سيدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عبدُه ورسُولُه، اللهُمَّ صَلِّ وسلمْ وَبارك عليهِ، وَعلى آلهِ وصحبهِ أجمعينَ.

**إخوة الإسلام**:

إنَّ واجبات الشباب كثيرة، أولها : **تحصين أنفسهم بالعلم والثقافة**، **والمزيد من التعلم المستمر**، فالعلم في تطور وتقدم كل لحظة، ولا بد لشبابنا من مواكبة التطورات والأحداث، ومراعاة متطلبات سوق العمل، واحتياجات الوطن، وذلك بالاستزادة من البرامج والدورات التدريبية، والخبرات اللازمة، حتى يكونوا مؤهلين لمواجهة التحديات ، وإن الله (عز وجل) لم يأمر نبيه (صلى الله عليه وسلم) بالاستزادة من شيء من أمور الدنيا إلا من العلم، حيث يقول سبحانه مخاطبًا نبيه (صلى الله عليه وسلم): {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا}[طه: ١١٤].

ثانيها: **الحرص على الإفادة من الخبرات**، **والحذر من الغرور**، فينبغي للشباب أن يستفيدوا من حكمة وخبرة من سبقوهم من ذوي الخبرة،

فالعلاقة بين الأجيال المتعاقبة ليست علاقة إقصاء، ولا صراع ؛ إنما هي علاقة تكامل، وتناصح، وليحذر شبابنا الغرور الذي يهدم ولا يبني، ويهلك صاحبه ؛ حيث يقول سبحانه: {وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا}[الإسراء: ٣٧] ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (ثَلاثٌ مُهْلِكَاتٍ: شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِرَأْيِهِ) [مسند البزار].

ثالثها: **تجديد النية لخدمة الدين والوطن**، فالإنسان مأجور بقدر إخلاصه في عمله، وصدق نيته، قال (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى...) [ صحيح البخاري].

رابعها: **اغتنام الفرصة ببذل المزيد من الجهد**، **وإدراك أن الطريق طويل**، **والأمانة ثقيلة**، ذلك أننا نعيش في مجتمع يتحرك بسرعة عالية، ولا مكان فيه لغير المجدين والمتفانين في أعمالهم، وفي تنفيذ المهام المسندة إليهم، فلكي نحقق طموحاتنا ونصل للمكانة التي نرجوها لأنفسنا ووطننا لا بد أن نبذل أقصى الطاقة والجهد والوسع في أعمالنا.

خامسها: **رد الجميل للوطن الذي ربّى وعلّم ومكّن** ؛ فللوطن حق على أبنائه الذي عاشوا على ترابه، وتربوا في خيراته، ولهم فيه ذكرياتهم وتاريخهم، وليكن زادنا الإصرار والعزيمة، وسلاحنا العلم والإبداع، وشعارنا الانتماء والعطاء؛ خدمة لهذا الوطن، ودفاعًا عن ترابه، ولله درّ شوقي حين قال:

وَلِلأَوطانِ في دَمِ كُلِّ حُرٍّ    يَدٌ سَلَفَت وَدَينٌ مُستَحِقٌ

ديوان شوقي

ويقول حافظ إبراهيم:

رِجالَ الغَــدِ المَأمولِ إنّا بِحاجَةٍ إلى قـادَةٍ تَبني وَشَعبٍ يُعَمِّـــرُ

رِجالَ الغَــدِ المَأمولِ إنّا بِحاجَةٍ إلى عـالِمٍ يَـدعو وَداعٍ يُذَكِّـــرُ

رِجالَ الغَــدِ المَأمولِ إنّا بِحاجَةٍ إلى عـالِمٍ يَـدري وَعِلمٍ يُقَـــرَّرُ

رِجالَ الغَـدِ المَأمولِ إِنَّ بِلادَكُـم تُناشِـدُكُم بِاللَهِ أَن تَتَـذَكّـــروا

عَلَيكُم حُـقوقٌ لِلـبِلادِ أَجَلّـُهــا تَعَهُّـدُ رَوضِ العِلمِ فَالرَوضُ مُقفِرُ

قُصـارى مُنى أَوطانِكُم أَن تَرى لَكُم يَدًا تَبـتَنـي مَجـدًا وَرَأسًا يُفَـكِّـــرُ

ديوان حافظ إبراهيم

اللهمّ بارك لنا في شبابنا ، واحفظهم من كل سوء ، ووفقهم للبناء والتعمير ، واهدهم لما فيه صلاح البلاد والعباد ، واحفظ مصرنا وسائر بلاد العالمين .

* * *

# وحدة الوطن سبيل قوته

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} [آل عمران: ١٠٣]، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليهِ وعلَى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين.

**وبعد**:

فقد جاء النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) برسالة تدعو إلى الوحدة والتآلف، وتنهى عن الفرقة والشقاق، فجمع أشتات العرب المتنافرين، وجعلهم أمة واحدة، وآخى بينهم بأخوة الإيمان، وربط بين قلوبهم برباط الألفة، حيث يقول الحق سبحانه: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} [الحجرات: ١٠]، ويقول (جل شأنه): {وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [الأنفال: ٦٣]، كما أمر النبي (صلى الله عليه وسلم) بالتواد، والتراحم، والتعاطف، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى) (صحيح مسلم).

على أن هذا التآلف لم يقتصر على المسلمين فيما بينهم ؛ ولكنه شمل الناس جميعًا، حيث يقول الحق سبحانه: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} (الحجرات: ١٣]، وهذا ما أكده القرآن الكريم حين تحدث عن الأخوة الإنسانية بين الأنبياء وبين المخالفين لهم في

العقيدة، ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: {وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا} [الأعراف: ٦٥]، وقوله (جل شأنه): {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا}[الأعراف: ٧٣]، وقوله سبحانه: {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا} [الأعراف: ٨٥]، وبعد أن ذكر الحق سبحانه وتعالى قصص الأنبياء السابقين، قال (جل شأنه): {وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ}[المؤمنون: ٥٢]، ويقول سبحانه: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: ٩٢]، قال الإمام البغوي (رحمه الله): "بعث الله الأنبياء كلهم بإقامة الدين، والألفة والجماعة، وترك الفرقة والمخالفة" (تفسير البغوي).

ومما لا شك فيه أن دعوة الإسلام إلى الوحدة والاجتماع، ونبذ الفرقة والأنانية، هي إحدى عوامل الحفاظ على قوة الوطن وسلامة المجتمع ؛ لأن الفرد مهما كان قويا في مجتمع ضعيف فإنه يظل ضعيفًا، وفي المقابل إذا كان الفرد ضعيفًا في مجتمع قوي فإنه يستمد قوته من قوة المجتمع الذي يعيش فيه ؛ لذا أعلى الإسلام من قيمة المواطنة، وأكد على أن الوطن لجميع أبنائه، وهو بهم جميعا ؛ لأن وحدة الوطن تقتضي عدم التفرقة بين أبنائه على أساس الدين، أو اللون، أو الجنس، فلا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى، والعمل الصالح، ومن هنا كانت وثيقة المدينة التي أقرها النبي (صلى الله عليه وسلم) مع يهود المدينة ؛ حيث أعطى اليهود كل حقوق المسلمين من الحرية، والأمن، والسلام، وألزمهم فيها بالدفاع المشترك مع المسلمين عن المدينة، في تأكيد قوي أن الوطن في الإسلام يشمل جميع المواطنين ويسعهم، طالما التزم كل منهم واجباته ومسئولياته.

كما أعلى الإسلام من قيمة العمل بروح الجماعة، وجعل وحدة الصف، وتكاتف الجهود، ونبذ الخلافات واجب الأمة في كل زمان ومكان، وهذا أمر الله تعالى في القرآن الكريم، قال سبحانه: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} [آل عمران: ١٠٣]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا ؛ فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ) (صحيح مسلم)، ولقد ضرب النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) مثلا للأمة في اتحادها، وتماسكها، وتآزرها بالبنيان المرصوص، فقال (صلى الله عليه وسلم): (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ ؛ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ)(متفق عليه)، ولله در القائل:

كُونُوا جَمِيعًا يَا بَنِيّ إِذَا اعْتَرَى ... خَطْبٌ ، وَلاَ تتفرقُوا آحَادًا

تَأْبَى الرِّمَاحُ إِذَا اجتَمَعْنَ تَكَسُّرًا ... وَإِذَا افْتَرَقْنَ تَكَسَّرَتْ أَفْرَادًا

(فاكهة الخلفاء و مفاكهة الظرفاء)

ولقد ضرب لنا القرآن الكريم نماذج للوحدة التي أدت إلى الحفاظ على الوطن، وسلامة المجتمع، ومن ذلك ما كان من سيدنا يوسف (عليه السلام) حين أعد الخطة المحكمة، وتعاون الجميع، واتحدوا خلف غايتهم، وطبقوا ذلك على أرض الواقع، فتعاونوا، وتكاتفوا – كل قدر استطاعته – وفق المنهج المرسوم، ورغبة في الغاية المنشودة، فتحقق للبلاد الرخاء، والازدهار، والحماية، والقوة الاقتصادية، وجاءه الناس من كل فج عميق لينالوا من خيرات مصر، حيث قال سبحانه وتعالى على

لسان سيدنا يوسف (عليه السلام): {قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ} [يوسف: ٤٧- ٤٩]

كما دعا الإسلام ورغب في كل أمر يكون سببا في وحدة الصف والاجتماع، فدعا إلى الرحمة واللين والرفق، فقال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران: ١٥٩]، فالرحمة واللين وخفض الجناح سبب للاتحاد وتأليف القلوب، وقال (صلى الله عليه وسلم): ( إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا، وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ، وَالرَّوْحَةِ، وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ) (صحيح البخاري)، وقال (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّمَا بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ) (المعجم الكبير).

كما دعا الإسلام إلى نشر الألفة والسلام بين أبناء المجتمع على اختلاف عقائدهم، حيث يقول سبحانه: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا} [البقرة: ٨٣]، ويقول تعالى: {لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الممتحنة: ٨]، وكان النّبي (صلى الله عليه وسلم) يتعامل مع غير المسلمين من هذا المنطلق القرآني، فكان (صلى الله عليه وسلم) يحسن إليهم، ويقبل هديتهم، ويجيب دعوتهم، ويعود مريضهم ؛ إظهارًا لسماحة هذا الدين، وحفاظًا على وحدة المجتمع وتماسكه.

وجعل النبي (صلى الله عليه وسلم) المحبة بين الناس شرطًا لكمال الإيمان، فقالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ) (صحيح مسلم)، ونهى (صلى الله عليه وسلم) عن خصومة الغير، والانخراط في أسبابها، وجعل الخيرية لمن يسارع في تحقيق التصالح والوئام، فقال (صلى الله عليه وسلم): (لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ) (متفق عليه).

إن واجب الوقت وفقه الأولويات يحتمان على جميع أبناء الوطن المخلصين المدركين لطبيعة المرحلة أن يقفوا جميعًا صفًّا واحدًا، حتى تحقق الكفاية لوطنهم، كل في مجال عمله؛ فأهل الطب يتعاونون في تحقيق الكفاية لوطنهم، وكذلك رجال القانون، والهندسة، والزراعة، والتعليم، وسائر التخصصات والصناعات، وذلك بتنمية روح البذل والعطاء ؛ فهذا يعمل بيده، وذاك ينفق من ماله، وهذا يعلم الناس، وبهذا يتم توظيف جميع الطاقات والمواهب لخدمة الوطن، فهذا من صميم ديننا، حيث خاطبنا الله تعالى جميعًا بصيغة الجمع التي لا تستثني أحدًا من العمل والجد، حيثُ يقول سبحانه: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} [الملك: ١٥]، ويقول (جل شأنه): {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الجمعة: ١٠].

**أقولُ قولِي هذَا، وأستغفرُ اللهَ لِي ولكُمْ.**

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لاَ شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ سيدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عبدُه ورسُولُه، اللهُمَّ صَلّ وسلمْ وَبارك عليهِ، وَعلى آلهِ وصحبهِ أجمعينَ.

**إخوة الإسلام**:

إن المتابع الجيد لأحداث التاريخ يدرك أن التفرق والاختلاف سبب من أسباب الهزيمة والضعف، وقد حذرنا القرآن الكريم من ذلك، فقال تعالى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [آل عمران: ١٠٥]، وقال سبحانه: {وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال: ٤٦]، كما أن التفرق واختلاف الكلمة يذهب مهابة الأمة، ويورثها الضعف والوهن، ويكفي في التحذير من الفرقة أن من مات عليها مات ميتة جاهلية.

من أجل ذلك حارب الإسلام كل سلوك ومظهر من شأنه أن يؤدي إلى الفرقة والاختلاف، فترى أن الإسلام نهى عن العنصرية التي هي أثر من آثار العصبية الجاهلية الممقوتة، فقال (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ) (سنن أبي داود)، كما بين النبي (صلى الله عليه وسلم) أن الناس متساوون في الحقوق والواجبات، فقال (صلى الله عليه وسلم): (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى...) (مسند أحمد).

كما نبذ الإسلام الكراهية، وحذر منها ؛ لأنها الوقود المحرك لكل عدوان، يقول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّدَقَةِ؟)، قَالُوا: بَلَى، قَالَ (صلى الله عليه وسلم): (صَلاَحُ ذَاتِ البَيْنِ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ البَيْنِ هِيَ الحَالِقَةُ) (سنن أبي داود) ؛ أي: التي تزيل الحسنات وتمحوها، كما حذر النبي (صلى الله عليه وسلم) من كراهية الإنسان لأخيه، وربط بين كمال الإيمان وسلامة الصدر، فقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)(صحيح البخاري).

ومن هنا، ينبغي أن نبتعد عن كل ألوان الفرقة، والشقاق، والتنافر، وكل مظاهر العنف والتشدد، قال (صلى الله عليه وسلم): (هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ)، وكررها ثَلَاثًا (صحيح مسلم)، والمتنطعون: هم المتعصبون، والمتشددون الذين يتجاوزون حد الاعتدال في أقوالهم وأفعالهم، وينشرون الفرقة بين الناس، فهؤلاء أصحاب مصالح خاصة، يوظفون الدين لمصالحهم، وأهوائهم، ومطامعهم السلطوية، فيفرقون ولا يجمعون، ويَضِلونَ ويُضِلون، ويغرسون العداوة والبغضاء في النفوس، وقد تبرأ النبي (صلى الله عليه وسلم) من ذلك كله، فقال (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ، يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ) (صحيح مسلم).

**إن قـوة الـوطن تنبـع مـن تماسـك ووحـدة جميـع أبنائـه، واتحـاد واصطفاف أهله، وبعدهم عن التشرذم والتفرق، وهذا مبدأ أصيل من مبادئ الإسلام، نحن في أمس الحاجة إلى تطبيقه عمليًّا، خاصة والعالم حولنا يتكتل ولا يحترم إلا الأقوياء المتحدين.**

**اللهم وحد صفوفنا ، وألف بين قلوبنا ، ووفقنا لما تحب وترضى ، وارزقنا الإخلاص في القول والعمل ، واحفظ مصرنا ، وارفع رايتها في العالمين.**

*** * ***

## الدخول في معية الله (عز وجل)
## " أسبابه ، وآثاره"

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [ الحديد: ٤ ]، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليهِ وعلَى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين .

**وبعد**:

فإنَّ معية الله (عز وجلَّ) منها معية مراقبة ، ومنها معية تأييد ، أما الأولى فتعني إحاطته سبحانه وتعالى بجميع خلقه ، حيث يقول سبحانه: {وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} [الأنعام: ٥٩] ، ويقول سبحانه : {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [المجادلة:٧] ، ويقول جل شأنه : {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك:١٤].

وأما الثانية وهي معية التأييد ، والتوفيق ، والحفظ ، والعون ، والرعاية فقد اختص بها رسله وأنبياءه وأولياءه والصالحين من عباده بمعية،

ولقد أشار القرآن الكريم في مواطن عدة لهذه المعية العظيمة التي نالها صفوة الله من خلقه ، ومن ذلك خطاب الله (عز وجل) لنبيين كريمين من أنبيائه – سيدنا موسى، وسيدنا هارون (عليهما السلام)- حيث يقول سبحانه: {اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي * اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى * قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى * قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى}[طه:٤٢ – ٤٦] ، وهي المعية التي تحدث عنها موسى (عليه السلام) حين ظن قومه أن فرعون وجنوده قد أدركوهم، وأنه لا نجاة لهم من سطوته، فالبحر أمامهم، وفرعون وجنوده خلفهم، فصاحوا: {إِنَّا لَمُدْرَكُونَ}[الشعراء: ٦١] فأجاب سيدنا موسى (عليه السلام) بيقين الواثق في معية ربه وتأييده ونصره: {قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ} [الشعراء: ٦٢].

وهي معية الله (عز وجل) لنبيه (صلى الله عليه وسلم) وصاحبه الصديق (رضي الله عنه) في أثناء الهجرة، حيث يقول سيدنا أبو بكر (رضي الله عنه): كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فِي الغَارِ، فنَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا، فَقَالَ (صلى الله عليه وسلم): (يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟) [صحيح مسلم] وفي هذا يقول الحق سبحانه: {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ

لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[التوبة: ٤٠].

فما أعظم أن يكون العبد في معية الله (عز وجل) ، ومن كان في معية الله فلا عليه بمن عليه ومن معه. ولكي تتحقق للعبد معية الله سبحانه وتعالى فعليه الدخول من الأبواب الموصلة إليها، ولا بد له أن يحقق الأسباب التي تؤهله لذلك، ومن أهم هذه الأبواب: تحقيق **الإيمان بالله** (**عز وجل**): حيث يقول سبحانه: {وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ} [الأنفال: ١٩] ومقتضى الإيمان كما ذكر رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم): (أن تُؤمِنَ باللهِ، وملائكتِه، وكُتبِه، ورُسلِه، واليومِ الآخِرِ، وتُؤمِنَ بالقدَرِ خَيرِه وشَرِّه) [متفق عليه] وحقيقة الإيمان أن يظهر أثر هذا التصديق في سلوك الإنسان ومعاملته مع الناس، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ) [سنن النسائي].

وعندما سُئل الحسن البصري (رحمه الله): أمؤمن أنت؟ قال: " الإيمان إيمانان ؛ فإن كنت تسألني عن الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والجنة، والبعث، والحساب، أنا مؤمن، وإن كنت تسألني عن قول الله (عز وجل): {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا} [الأنفال: ٢ ـ ٤] فو الله ما أدري أنا منهم، أم لا " [شعب الإيمان للبيهقي] قال البيهقي معلقًا: فلم يتوقف الحسن في أصل إيمانه في الحال ؛ وإنما توقف في

كماله الذي وعد الله (عز وجل) أهله بالجنة، في قوله تعالى: {لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}[الأنفال: ٤].

ومنها: أن يحقق العبد **التقوى والإحسان**، حيث يقول الحق سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ} [النحل: ١٢٨] ويقول سبحانه: {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ}،[البقرة:١٩٨] ويقول جل شأنه: {وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [العنكبوت: ٦٩] والتقوى: هي فعل كل أمر يُرضي الله (عز وجل)، والبعد عن كل ما يسخطه سبحانه، فهي جماع كل خير، وقد بين القرآن الكريم معنى التقوى في مواطن كثيرة، منها قوله تعالى: {لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}[البقرة:١٧٧].

ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا) [صحيح مسلم]، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، (بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ؛ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ) [صحيح مسلم]، وقال سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لأُبي بن كعب (رضي الله عنه): ما معنى التقوى التي أكثر الله من ذكرها

في كتابه؟ فقال: يا أمير المؤمنين، أما سلكت طريقا ذا شوك؟ قال: بلى، قال: فماذا كنت تفعل؟ قال: كنت أشمر ثيابي، وأحترز، قال: هذه التقوى [التذكرة في الوعظ لابن الجوزي].

وأما الإحسان، فقد بين النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) حقيقته في قوله (صلى الله عليه وسلم) : (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ) [متفق عليه] .

وهنا يحقق العبد تمام مراقبة الله (عز وجل)، ويوقن تمام اليقين أن ربه لا يغفل عنه في سره وجهره، في حركاته وسكناته، قال تعالى: {أَلَمْ يَعْلَم بِأَنّ اللَّهَ يَرَى}[العلق: ١٤]

كذلك من أسباب الدخول في معية الله (عز وجل): **الصبر**، قال تعالى: {وَاصْبِرُوا إِنّ اللَّهَ مَعَ الصّابِرِينَ} [الأنفال: ٤٦] وقال سبحانه: {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧] وقال تعالى: {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ} [الطور: ٤٨] وقال (صلى الله عليه وسلم): (وَاعْلَمْ أنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا) [مسند الإمام أحمد] والصبر: حبس النفس عن الجزع، واللسان عن الشكوى، والجوارح عن الهلع، ويتحقق بمجاهدة النفس، وهو خير عطاء، قَالَ (صلى الله عليه وسلم): (...وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ) [موطأ الإمام مالك].

ومن عوامل الدخول في الحظوة والمعية: **يقظة الضمير** ؛ فصاحب الضمير الحي يدرك أن الله تعالى معه حيث كان في السفر، أو في الحضر، في الخلوة، أو في الجلوة، لا تخفى عليه خافية، ولا يغيب عنه سر ولا علانية، وهذا ما كان من نبي الله يوسف (عليه السلام) حين غلقت الأبواب، وهُيِّئَتْ له أسباب المعصية، فاستعصم بربه الذي يدرك معيته إياه في كل لحظة، فانطلق لسانه مرددًا قوله تعالى: {إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} [يوسف: ٣٢] .

وهذا ما ذكرته امرأة العزيز كما بين ذلك القرآن الكريم على لسانها في قوله تعالى: {وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمْ} [يوسف: ٣٢] ففضل استشعار المعية عظيم، حين يتملك العبد خوف ربه (عز وجل) في الدنيا، فيأمن من عذابه سبحانه يوم القيامة ، وفي الحديث القدسي، يقول رب العزة (جل وعلا): (وَعِزَّتِي، لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ، وَلَا أَجْمَعُ لَهُ أَمْنَيْنِ ؛ إِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا، أَخَفْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا، أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) [الزهد والرقائق لابن المبارك].

كما يحظى الإنسان بالدخول في معية الله (عز وجل) **بذكر الله تعالى**: حيث يقول سبحانه: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ} [البقرة: ١٥٢] ويقول (صلى الله عليه وسلم): (يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ...) [متفق عليه].

**أقولُ قولِي هذَا، وأستغفرُ اللهَ لِي ولكُمْ**

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لاَ شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ سيدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عبدُه ورسُولُه، اللهُمَّ صَلِّ وسلمْ وَبارك عليهِ، وَعلى آلهِ وصحبهِ أجمعينَ، وَمن تَبعَهُمْ بإحسانٍ إلِىَ يومِ الدِّين.

**إخوةَ الإسلامِ**:

إنَّ للمعية آثارًا عظيمة يجني العبد ثمرتها في دنياه وآخرته، منها: أن من دخل في معية الله (عز وجل) **وقاه الله كل شر**، **وأذهب عنه كل ضر**، قال تعالى: { الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} [آل عمران: ١٧٣] وقال سبحانه: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} [الطلاق: ٣] ؛ أي: كافيه، قال (جل وعلا): {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ}[الزمر:٣٦]، ومَن توكل على الله ووثق بكفايته حقيقةً، فلن يتمكَّن منه عدوٌّ، ولن يخيب له مطلوبٌ، ولن يفوته مرغوب، وعندما نقف عند قول الله تعالى لسيدنا موسى عليه السلام: {وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} [طه: ٣٩] وقوله سبحانه: {وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي} [طه: ٤١] وقول جل شأنه لنبيه (صلى الله عليه وسلم): {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا} [الطور: ٤٨] وقوله تعالى: {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ} [يونس: ٢] ندرك عظمة المعية ، وفضلها ، وجميل آثارها .

ولا شك أن الدخول الحقيقي في معية الله تعالى والانضواء تحتها أهم أبواب **السكينة** ، **والطمأنينة** ، **والصحة النفسية** ، والبعد عن كل جوانب التوتر، والقلق، والاضطراب ، والاكتئاب ؛ إذ كيف يقلق من كان يأخذ بصحيح الأسباب ، ويدرك أن الأمر كله بيد من أمره إذا أراد شيئا

أن يقول له كن فيكون؟ حيث يقول الحق سبحانه : {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران: ٢٦] ويقول سبحانه: {ما يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[فاطر: ٢].

إن استشعار العباد معية الله (عز وجل)، واستحضارهم عظمته سبحانه، يحقق لهم وللمجتمع **أعلى درجات السلام النفسي**، **والتعايش السلمي**، **والأمن المجتمعي**؛ لأن العباد إذا عَلِموا عِلْم اليقين أنهم لا يغيبون عن نظر الله (عز وجل) يستقيم سلوكهم، وتحسن أخلاقهم، فيلتزمون أمره سبحانه، ويجتنبون نهيه جل وعلا، ويقفون عند حده، ويأخذون بالأسباب ليصلحوا دنياهم بدينهم، فيعيش الفرد في سلام مع نفسه ، وسلام مع أسرته ، وسلام مع عائلته ، وسلام مع جيرانه ، وسلام مع زملائه ، وسلام مع أصدقائه ، وسلام مع المجتمع ، وسلام مع الناس أجمعين، وتلك رسالة الإسلام التي جاءت رحمة للعالمين.

اللهم أدخلنا في معية نصرك وتأييدك، واشملنا بواسع فضلك، وأسبغ علينا نعمك، وارزقنا الإخلاص في كل شئوننا، واحفظ مصرنا، وسائر بلاد العالمين

* * *

# السماحة عقيدةً وسلوكًا

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} [البقرة: ١٨٥]، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه ورسوله القائل: (بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ) (مسند أحمد)، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليهِ وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ.

**وبعد**:

فقد جاء النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) برسالةٍ عالميةٍ جعلت من السماحة والتيسير منهج حياة، فلا حرج في الدين، ولا مشقة في التكليف، ولا شدّةً، ولا عُسْرًا، حيث يقول الحق سبحانه: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} [الحج: ٧٨]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا، وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ، وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ) (صحيح البخاري)، فالسماحة في الشريعة الإسلامية ليست كلمة تقال، أو شعارًا يرفع ؛ إنما هي عقيدة يحيا بها المسلم، ويجعلها منهج حياة، كما أنها مبدأ من المبادئ التي أمر الحقُّ سبحانه عباده أن يتعاملوا بها فيما بينهم، وجعلها سببًا لرضوانه ومغفرته ورحمته، حيث يقول سبحانه: {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ} [النور: ٢٢].

على أن الذي نسعى إليه هو أن تصبح السماحة سلوكا حياتيًا ؛ لأن دعوة الإسلام إلى السماحة دعوة للتطبيق العملي، حيثُ دعا الحق

سبحانه عباده إلى العفو والتسامح في مواضع عديدة من كتابه الكريم، فقال تعالى: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ}[فصلت: ٣٤] وطبق النبي (صلى الله عليه وسلم) السماحة تطبيقًا عمليًّا مع الناس، فكان (صلى الله عليه وسلم) نعم القدوة لأمته وللإنسانية جمعاء، حيثُ يقول (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ) (المستدرك للحاكم)، وتقول أم المؤمنين السيدة عَائِشَةُ (رضي الله عنها): (مَا خُيِّرَ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ عَنْهُ...) (متفق عليه).

والسؤال الذي ينبغي أن يطرحه كل منا على نفسه بمصارحة ومكاشفة: هل نحن نطبقُ هذه العقيدة في سلوكياتنا؟ هل جعلناها منهجًا للتعامل فيما بيننا وبين الناس جميعًا؟ فالسماحة سلوك نبيل ينبغي أن يطبقه المسلم في جميع مناحي الحياة، ومن ذلك **السماحة بين الزوجين**: فالعلاقة الزوجية من أسمى العلاقات الإنسانية، وهي آية من آيات الله تعالى، وقد بين الله (عز وجل) أنها تقوم على المودة والرحمة وحسن العشرة، قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً} [الروم: ٢١]، وقال سبحانه: {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيرًا} [النساء: ١٩]، وقَالَ (جل شأنه): {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ} [البقرة: ٢٢٨] ؛ أي: لهن من حسن الصحبة والعشرة بالمعروف على أزواجهن مثل الذي عليهن من ذلك، ويقول (صلى الله

عليه وسلم): (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي) (سنن الترمذي)، وكثيرًا ما أوصى (صلى الله عليه وسلم) بالنساء، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم): (لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ) (صحيح مسلم)– وَلَا يَفْرَكْ: لَا يُبْغِضْ – وكان آخر ما أوصى به النبي (صلى الله عليه وسلم) قبل وفاته النساء حيث يقول (صلى الله عليه وسلم): (اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا) (متفق عليه).

فينبغي أن تكون السماحة سلوكًا متبادلاً بين الزوجين، وقانونا إنسانيًّا ينظم الحياة، وما أجمل ما قاله أبو الدرداء (رضي الله عنه) لزوجه (رضي الله عنها): إذا رأيتني غضبت فرضني، وإذا رأيتك غضبى رضيتك، وإلا لم نصطحب" (العقد الفريد)، في تبادلية إنسانية قوامها العدل والسماحة معا.

**السماحة مع الجيران**: حيثُ يقول الحق سبحانه: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ} [النساء: ٣٦]، وما أكثر ما أوصى النبي (صلى الله عليه وسلم) بالجار، فقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَا زَالَ يُوصِينِي جِبْرِيلُ بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ) (صحيح البخاري)، وقال (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَه) (متفق عليه)، وقال (صلى الله عليه وسلم): (وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ)، قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ) (صحيح البخاري) ؛ أي: شروره، وقال (صلى الله عليه وسلم): (خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الجِيرَانِ

عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ) (سنن الترمذي)، يقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (لَيْسَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَبِيتُ وَجَارُهُ إِلَى جَنْبِهِ جَائِعٌ) (المستدرك للحاكم).

كما ينبغي أن تسود السماحة **بين الزملاء** في العمل، وفي الجامعات، وفي المدارس، و غير ذلك، فقد وطد القرآن الكريم العلاقة بين الناس جميعًا، حيث قال سبحانه: {يَا أَيُّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: ١٣]، وكان (صلى الله عليه وسلم) أحسن الناس خلقًا مع الناس جميعًا ومع أصحابه، فكان (صلى الله عليه وسلم) يحسن معاملاتهم، ويعود مريضهم، ويتفقدهم، ويتصدق على فقرائهم، ويقضي ديونهم وحوائجهم، ويصفح عن مخطئهم، يقول الحق سبحانه وتعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} [آل عمران: ١٥٩].

وما أكثر المواقف التي تعامل فيها النبي (صلى الله عليه وسلم) بالرفق والسماحة حتى مع أغلظ الناس قلوبا، ومن ذلك ما كان من الأعرابي الذي جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَعْطِنِي، فَإِنَّكَ لَا تُعْطِي مِنْ مَالِكِ وَلَا مِنْ مَالِ أَبِيكَ، وَأَغْلَظَ لِلنَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَدَعَاهُ (صلى الله عليه وسلم)، فَدَخَلَ بَيْتَهُ، فَأَعْطَاهُ، فَقَالَ: (أَرَضِيتَ؟)، قَالَ: لَا، ثُمَّ أَعْطَاهُ أَيْضًا، فَقَالَ: (أَرَضِيتَ؟)، قَالَ: لَا، ثُمَّ أَعْطَاهُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: (أَرَضِيتَ؟)، قَالَ: نَعَمْ....) (كتاب الأمثال لأبي الشيخ الأصبهاني)

وعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ (رضي الله عنه)، قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ، مَا شَأْنُكُمْ، تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللَّهِ، مَا كَهَرَنِي، وَلَا ضَرَبَنِي، وَلَا شَتَمَنِي ؛ إنما قَالَ: (إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ، وَالتَّكْبِيرُ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ) (صحيح مسلم).

**السماحة في الطرقات والمواصلات**: فالإنسان فيها قد يتعرض لأي أذى يقع عليه من غيره، لأن الناس منهم الجافي، ومنهم الغليظ، ومنهم السمح، ومنهم القوي، ومنهم الضعيف، ومنهم من يُحتمل، ومنهم من لا يُحتمل، وما أجمل أن يقابل الإنسان ذلك كله بحلم وسماحة، فيكون رده بلين وأدب، قال تعالى: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} [الفرقان: ٦٣]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ) (صحيح مسلم)، كما ينبغي الالتزام بالضوابط المنظمة للطرق والمواصلات من إتاحة الأماكن للكبار والضعفاء، والنساء، ومراعاة مشاعر الناس، والرفق بهم، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ) (صحيح مسلم).

ومن مظاهر السماحة: **سماحة النفس بالمال**: فالإنفاق دليل الإيمان بالله ورسوله، ودليل صلاح المرء واستقامته، به يُعرف المؤمنون، وتتآلف القلوب، وبه ينال العبد البر، قال تعالى: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} [آل عمران: ٩٢]، فالإنفاق على الفقراء والمساكين يدل على سماحة النفس ومكارمها، قال (صلى الله عليه وسلم): (السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اللهِ، قَرِيبٌ مِنَ الجَنَّةِ، قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ، بَعِيدٌ مِنَ النَّارِ) (سنن الترمذي).

وكذلك: **السماحة في البيع**، **والشراء**، **والاقتضاء**: حيث يقول نبينا (صلي الله عليه وسلم): (رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى) (صحيح البخاري)، وعن الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ (رضي الله عنه)، قَالَ: بِعْتُ مِنَ النَّبِي (صلى الله عليه وسلم) بَكْرًا، فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضَاهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اقْضِنِي ثَمَنَ بَكْرِي، فَقَالَ: أَجَلْ، لاَ أَقْضِيكَهَا إِلاَّ لُجَيْنِيَّةً – أي: أعطيك الثمن دراهم جديدة ناصعة البياض – قَالَ: فقضاني، فَأَحْسَنَ قضائي، وَجَاءَهُ أعرابي، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: اقْضِنِي بَكْرِي، فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) جَمَلاً قَدْ أَسَنَّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا خَيْرٌ مِنْ بَكْرِي، فَقَالَ (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ خَيْرَ الْقَوْمِ خَيْرُهُمْ قَضَاءً) (مسند أحمد).

ولقد رغب النبيُّ (صلي الله عليه وسلم) في كل ما يحقق السماحة واليسر، ويجسد معاني الأخوة الإنسانية، والتآلف بين الناس، كالتجاوز عن المعسرين، أو إنظارهم، قال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا، أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظَلَّهُ اللهُ فِي ظِلِّهِ ) (صحيح مسلم) وقال (صلى الله

عليه وسلم): (كَانَ رَجُلٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَكَانَ يَقُولُ لِفَتَاهُ: إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِرًا فَتَجَاوَزْ عَنْهُ، لَعَلَّ اللَّهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا، فَلَقِيَ اللَّهَ فَتَجَاوَزَ عَنْهُ ) (متفق عليه).

**أقولُ قولِي هذا، وأستغفرُ اللهَ لِي ولكُمْ.**

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لاَ شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ سيدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عبدُه ورسُولُه، اللهُمَّ صَلِّ وسلمْ وَبارك عليهِ، وَعلى آلهِ وصحبهِ أجمعينَ، وَمن تَبعَهُمْ بإحسانٍ إِلىَ يومِ الدِّين.

**إخوةَ الإسلامِ:**

إن من أعظم مظاهر السماحة، وأيسرها، **السماحة بالكلمة الطيبة**، حيث يقول الحق سبحانه: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا} [البقرة: ٨٣]، ويقول تعالى: {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [الإسراء: ٥٣]، والكلمة الطيبة تكون مع الناس جميعًا على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ومعتقداتهم ؛ وهذا إن دل فإنما يدل على حسن التربية، وجميل الخلق، وقد قيل: "حُسْنُ الخُلُقِ شَيْءٌ هَيِّنٌ ؛ وَجْهٌ طَلِيقٌ، وَكَلَامٌ لَيِّنٌ" (مكارم الأخلاق للخرائطي).

ولقد أمر الله تعالى سيدنا موسى (عليه السلام) أن يقول قولا طيبا لفرعون رغم كبره وعناده، قال تعالى: {اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى* فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} [طه: ٤٣، ٤٤]، كما ينبغي الابتعاد عن كل لغو، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ} [المؤمنون: ٣]، ويقول سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا} [الأحزاب: ٧٠]، ويقول (جل شأنه): {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ* تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [إبراهيم: ٢٤، ٢٥]، وقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ) (صحيح البخاري)، كما يجب الابتعاد كل ألوان الفحش في القول، يقول (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيْسَ بِاللَّعَّانِ، وَلَا الطَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَذِيءِ) (مسند أحمد).

إنَّ السماحة وسط بين نقيضين ؛ التشدد، والتسيب، وكلاهما تطرف بعيد عن منهج الإسلام الوسطي الذي شمل ضروبًا من التسامح والتيسير والرفق التي تقضي على كل صور التطرف، والغلو، والإفراط، والتفريط.

اللهم ارزقنا السماحة في أقوالنا ، وأفعالنا ، ومعاملاتنا ، وكل شئوننا ، وأصلح ذات بيننا ، واحفظ بلادنا ، وسائر بلاد العالمين.

* * *

# الآداب العامة وأثرها في رقي الأمم

لحمد لله رب العالمينَ، القائلِ في كتابه الكريم: {قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}[الأنعام:١٦١]، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه ورسوله، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وباركْ عليهِ وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ.

**وبعد**:

فإن الأمم المتحضرة والدول الراقية هي التي تجعل من مراعاة الآداب العامة منهج حياة، ولا تعد هذه الآداب من نافلة القول، أو على هامش الحياة ؛ فالآداب العامة لا تنفك عن منظومة القيم والأخلاق الإنسانية، وهذا ما يتسق وتعاليم ديننا الحنيف الذي أرسى مجموعة من الآداب العامة التي تنظم علاقة الإنسان بربه، وعلاقته بالكون كله.

ومن هذه الآداب: **النظافة**، فقد عُني الإسلام بطهارة الجسد والثوب والمكان، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرضى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}[المائدة:٦]، وقال سبحانه: {وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ}[المدثر: ٤]، وقد

بين النبي (صلى الله عليه وسلم) حرص الإسلام على الطهارة، في قوله (صلى الله عليه وسلم): (حَقٌّ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، يَغْسِلُ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ)(صحيح مسلم).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (إذا استيقظ أحدُكم من نومِهِ، فلا يَغْمِسْ يدَه في الإناءِ حتى يغسلَها ثلاثًا...) (متفق عليه واللفظ لمسلم)، وقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ)، قَالُوا: وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: (الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ فِي ظِلِّهِمْ) (صحيح مسلم).

ولقد ربط الإسلام بين **النظافة الحسية والمعنوية**، فجعل الطهارة الحسية من أسباب الطهارة المعنوية، فإن الإنسان إذا حافظ على نظافة جسده كان ذلك سببا في غفران ذنوبه، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ - أَوِ الْمُؤْمِنُ - فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ - فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ - فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ - حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ) (صحيح مسلم)، وكمَا عُنيَ الإسلامُ بالنظافةِ الخاصةِ - أوِ الشخصيةِ - عُنِيَ كذلكَ بالنظافةِ العامةِ ، فقالَ (صَلىَ اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ): (طَهِّرُوا أَفْنِيَتَكُمْ) (المعجم الأوسط)، والأفنيةُ تشملُ فناءَ البيتِ، والمدرسةِ والمصنعِ، والمنتدياتِ، والمتَنزهاتِ العَامةِ ، كمَا تتسعُ لتشملَ الطُّرقَ والميادينَ وغيرَهَا، فيجب

الحفاظ عليها، وعدم الظهور فيها بما لا يليق، وتركها أفضل مما كانت، والإسهام في نظافتها.

ومن هذه الآداب: **احترام النظام**، إذ لابد لكل مجتمع من بعض الأنظمة والقواعد العادلة التي تضبط سلوك أفراده، وتحفظ على الإنسان حقوقه، ويُلزم فيها بأداء ما عليه من واجبات، فتتحقق المصلحة العامة التي يعم نفعها على المجتمع كله، والمتأمل في حال الدول المتقدمة، والمجتمعات الراقية يعلم يقينًا أنها ما وصلت إلى ما وصلت إليه إلا باحترامها للقوانين، والتزامها بتطبيقها، وذلك يجسد احترام حقوق الآخرين، ومبدأ الحق مقابل الواجب، وأن يعامل الإنسان الناس بما يحب أن يعاملوه به، فذلك من كمال الإيمان، قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) (متفق عليه)، وتلك مسئولية يقع الجميع تحت طائلتها، قال (صَلى اللهُ عَلَيه وَسَلم): (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ ومَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ...) (صحيح البخاري)، فباحترام النظام، والالتزام بضوابطه يسود العدل، وتنتشر روح الإخاء والمحبة والمودة، وينعم المجتمع كله بالأمن والأمان والاستقرار.

ومن هذه الآداب: **مراعاة الذوق العام** ، حيث جاء الإسلام بكل ما يهذب السلوك ، ويُرَقِّي المشاعر ، ويؤلف بين القلوب وفق قواعد عامة لا يختلف عليها الناس، مع احترام أعراف الناس ، وما تآلفوا عليه، فقد أقر

الشرع الشريف كل طيب لا ينفر الناس، وحرم كل خبيث يوقع بهم الضرر، قال تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ}[الأنعام: ١٥٧].

ومراعاة الذوق العام تقتضي: اقتصاد الإنسان في ملبسه، ومأكله، ومشربه، والبعد عن الإسراف الممقوت شرعا، والمظهر غير المقبول، قال تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}[الأعراف: ٣١]، وكذلك احترام المواعيد، والوفاء بالعهود، قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ} [المائدة:١]، كما يجب مراعاة الذوق العام في الحركة واللباس والشكل العام، فعَنْ جَابِرٍ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) نَهَى عَنْ اشْتِمَالِ الصَّمَّاءِ وَالِاحْتِبَاءِ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ وَأَنْ يَرْفَعَ الرَّجُلُ إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى وَهُوَ مُسْتَلْقٍ عَلَى ظَهْرِهِ) (صحيح مسلم)، وقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِذَا انْقَطَعَ شِسْعُ أَحَدِكُمْ فَلَا يَمْشِ فِي الْأُخْرَى حَتَّى يُصْلِحَهَا) (صحيح مسلم) ؛ وشسع النعل: هو ما يشد به النعل، والمعنى: إذا قطع أحد النعلين، ولم يعد صالحا، لا ينبغي أن يمشي الإنسان بنعل واحدة، مراعاة للذوق العام.

ومن مراعاة مشاعر الناس ألا يصدر الإنسان صوتًا، أو فعلًا يستهجنه الناس، فعن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: تجشَّأ رجل عند النبي (صلى الله عليه وسلم)- أي: أخرج صوتا من فمه نتيجة شبع أو امتلاء - فقال (صلى الله عليه وسلم): (كُفَّ عَنَّا جُشَاءَكَ ؛ فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ شبَعًا فِي الدُّنْيَا

أَطْوَلُهُمْ جُوعًا يَوْمَ القِيَامَةِ) (سنن الترمذي)، والجشاء: صوت يخرج من الفم نتيجة الشبع أو الامتلاء، وهذا الفعل وإن لم يكن محرمًا، إلا أنه يتنافى مع الذوق العام، وأولى بذلك من يؤذون الناس بتناول المحرمات التي تبعث روائح كريهة من أفواههم أو ملابسهم، وكذلك مراعاة الذوق العام في كل ما يصدر عن الإنسان من أفعال، أو أقوال، أو غير ذلك، قال تعالى: {إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا}[الإسراء:٣٦].

ومن الآداب العامة: **مخاطبة الناس بالقول الحسن، وتخير الكلمة الطيبة**، قال تعالى: {وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنّ الشّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنّ الشّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا}[الإسراء: ٥٣]، ويقول النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ)، (صحيح البخاري) ومن ذلك استخدام الألفاظ الحسنة التي لا تنفر، فقد مرَّ سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على قوم يوقدون نارًا ، فكَرِه أن يقول لهم: السلام عليكم يا أهل النار؛ إنما قال: السلام عليكم يا أهل الضوء) (الأذكياء لابن الجوزي).

ومنها: **احترام الخصوصيات، وعدم تدخل الإنسان فيما لا يعنيه**، حيث يقول الحق سبحانه:{وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا}[الإسراء: ٣٦]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيهِ) (سنن الترمذي).

**أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم**

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لاَ شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ سيدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عبدُه ورسُولُه، اللهُمَّ صَلّ وسلمْ وَبارِك عليهِ، وَعلى آلهِ وصحبهِ أجمعينَ، وَمن تَبعَهُمْ بإحسانٍ إِلىَ يومِ الدِّين.

**إخوةَ الإسلامِ**:

إن من أهم أعمدة الآداب العامة التي تسهم في رقي المجتمع: الحياء ؛ وهو خلق إسلامي رفيع، يمنع صاحبه من فعل ما يلام عليه، ويبعث على اجتناب كل قبيح ، ويعصم من التقصير ، ولقد بين النبي (صلى الله عليه وسلم) أن الحياء من الأخلاق التي جاءت بها الرسالات السماوية السابقة ، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ) (صحيح البخاري).

وعندما مر النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الحَيَاءِ، فَقَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (دَعْهُ فَإِنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ) (متفق عليه واللفظ للبخاري)، وعن عَبْدِاللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ (رضي الله عنه)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (اسْتَحْيُوا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ)، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ: (لَيْسَ ذَاكَ؛ وَلَكِنَّ الِاسْتِحْيَاءَ مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْتَذْكُرْ الْمَوْتَ وَالْبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ) (سنن الترمذي)، والحياء يمنع الإنسان من الزلل، ففاقد الحياء لا عاصم له ، ولله در القائل:

يَعيشُ المَـــرءُ ما اِستَحيـا بِخَيـــرٍ وَيَبقى العــــودُ ما بَقِيَ اللِحـــاءُ
فَلا وَاللَهِ ما في العَيـشِ خَيــــــرٌ وَلا الدُنيـــا إِذا ذَهَبَ الحَيـــاءُ
إِذا لَم تَخشَ عاقِبَـــةَ اللَيــــالي وَلَم تَـستَحيِ فَافعَـــل ما تَشـــاءُ
(أدب الدنيا والدين)

ومن أهم أعمدة الآداب التي لها دورها في رقي المجتمع وتحضره: المروءة، وهي كلمة جامعة لكل معاني الرجولة، وتعني: طيب الصفات، وكريم الأخلاق، وبذل الخير للناس، وصيانة النفس عن الأدناس، وحفظ اللسان عن اللغو واللغط، وتجنب كل ما يعتذر منه، وقد قيل: " مَنْ عَامَلَ النَّاسَ فَلَمْ يَظْلِمهُمْ، وَحَدَّثَهُمْ فَلَمْ يَكْذِبْهُمْ، وَوَعَدَهُمْ فَلَمْ يُخْلِفْهُمْ، فَهُوَ مِمَّنْ كَمُلَتْ مُرُوءَتُهُ، وَظَهَرَتْ عَدَالَتُهُ، وَوَجَبَتْ أُخُوَّتُهُ، وَحَرُمَتْ غَيْبَتُهُ" (أدب الدنيا والدين).

ومروءة الإنسان تجعله **طيب المظهر والجوهر**، **يراقب ربه في سره وجهره**، فلا يظهر بشكل طيب أمام الناس، وإذا خلا بمحارم الله انتهكها، عَنْ ثَوْبَانَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: "لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا"، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: "أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا)(سنن ابن ماجه)، أما المروءة مع الناس فتكون بتقديم يد العون لهم، والحرص على مصالحهم، وأن يحب الإنسان لهم ما يحبه لنفسه، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لاَ

يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ) (مُتَّفَقٌ عَلَيهِ)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعَهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُرُورٍ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دِينًا، أَوْ تطْرَدُ عَنْهُ جُوعًا، ولأَن أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ ؛ يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ شَهْرًا) (المعجم الأوسط للطبراني).

لقد أقر الإسلام مجموعة من **الآداب الراقية النبيلة** التي ما إن تمسكت بها أي أمة من الأمم بلغت منزلتها من الرقي والتطور والتحضر والتقدم، وتلك سنة الله التي لا تتغير ولا تتبدل، فما أحرانا أن نأخذ بهذه الآداب وأن نطبقها سلوكا فيما بيننا، فنسعد في دنيانا وأخرانا.

اللهم بصرنا بما ينفعنا في دنيانا وآخرتنا ، ووفقنا لما فيه نفع بلادنا، واحفظ مصر، وشعبها، وجيشها، وشرطتها.

* * *

# فضل الشهادة، وواجبنا نحو أسر الشهداء.

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ* يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ} [آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧١] وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه ورسوله، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليهِ وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ.

**وبعد**:

فقد خلق الله (عز وجل) الإنسان لعمارة الأرض وإصلاحها، وحفظ الحق (جل وعلا) للإنسان ما يعينه على هذا الإعمار، وأحاط النفس البشرية التي هي مناط التكليف بسياجات حفظٍ جعلت أيَّ اعتداء عليها – أو أيّ إفسادٍ في الأرض – اعتداء على الناس جميعًا، وأيَّ حفظ لها – أو إصلاح في الأرض – حفظًا للناس جميعًا ، وإجلالا للفعل، وبيانًا لقدره العظيم، قال تعالى: {مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا} [المائدة: ٣٢] .

وغاية الإعمار والإحياء من أسمى الغايات التي لا تتحقق إلا بتضحيات كبيرة، من أناس مخلصين لدينهم ووطنهم، عرفوا قيمة الدين والوطن

والحياة الآمنة المستقرة ، فضحوا بأنفسهم وأموالهم لتحقيق هذه الغاية، ودخلوا في تجارة رابحة مع ربهم سبحانه وتعالى، وهي تجارة لن تبور حيث يقول الحق (جل وعلا): {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة: ١١١] فكان جزاؤهم من جنس عملهم ؛ حيث حقق لهم الله سبحانه أفضل مما أرادوا أن يوفروه لغيرهم، فرزقهم الله تعالى بنيتهم الطيبة الحياة الأبدية الآمنة المستقرة، يقول تعالى: {وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ}[البقرة: ١٥٤].

والشهادة في سبيل الله منزلة من أسمى المنازل، وغاية من أجل الغايات التي لا تتحقق إلا لصفوة الله سبحانه من خلقه، قال تعالى: {وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ} [آل عمران:١٤٠] إنها منحة الله تعالى لأحب خلقه إليه بعد الأنبياء والصديقين، يقول (جل وعلا): {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} [النساء: ٦٩] كما أن الله سبحانه ينجيهم من فتنة القبر، ومن الصعق يوم القيامة، فقد قال رجل: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا بَالُ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيد؟ قال (صلى الله عليه وسلم): (كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً) [السنن الكبرى للنسائي] ولما سأل النبي (صلى الله عليه وسلم) جبريل (عليه السلام) عن هذه الآية: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ

إِلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ}[الزمر:٦٨] من الذين لم يشأ الله أن يصعقهم؟ قال: (هم شهداء الله) [المستدرك للحاكم] ويكفي الشهداء منزلة قول رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): ( كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ، إِلَّا الْمُرَابِطَ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَإِنَّهُ يُجْرَى لَهُ أَجْرُ عَمَلِهِ حَتَّى يُبْعَثَ) [مسند الإمام أحمد].

ولذلك فإن من رزقه الله الشهادة، ورأى فضلها، وبلغ منزلتها، يتمنى لو يرجع إلى الدنيا فيستشهد مراتٍ ومراتٍ ، يقول : (صلى الله عليه وسلم) : (مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَنَّ لَهُ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَيءٍ غَيْرُ الشَّهِيدِ، فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ، فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ الْكَرَامَةِ) [متفق عليه] ولا أدل على ذلك الفضل من قول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (...وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ) [صحيح البخاري].

ولذلك كان الصحابة (رضوان الله عليهم) أشد الناس حرصًا على الشهادة، فكانوا يحرصون عليها، ويسارعون لنيلها، فهذا سيدنا عمرو بن الجموح (رضى الله عنه) الصحابي الأعرج الذي كان يتمنى الخروج يوم بدر فأبى النبي (صلى الله عليه وسلم) ألا يخرج لعرجه، فلما كان يوم أحد، قال لبنيه: أخرجوني، فقالوا له: قد رخص لك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في عدم الخروج، فقال لهم: هيهات هيهات! منعتموني الجنة يوم بدر، والآن تمنعونيها يوم أحد! فأبى إلا الخروج، وجاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم)، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ قُتِلَ الْيَوْمَ دَخَلَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ (صلى الله عليه وسلم): (نَعَمْ)، قَالَ: فَوَالَّذِي

نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أرجعُ إِلَى أَهْلِي حَتَّى أَدْخُلَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ (رضي الله عنه): يَا عَمْرُو، لَا تَأَلَّ عَلَى اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (مَهْلًا يَا عُمَرُ، فَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَّره، مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ، يَخُوضُ فِي الجنة بعرجته) [صحيح ابن حبان].

ولما كان الإسلام دين المروءة، والشهامة، والرجولة، والعفة، وحفظ الأنفس، والأعراض، والأموال، والحقوق، جعل الحفاظ على ذلك كله من الإيمان، وجعل الدفاع عن إقامة هذه الأخلاق والآداب من أشرف الغايات، ومن مات في سبيل تحقيق ذلك فهو شهيد، فالشهادة لا تقتصر على شكل واحد؛ وإنما ألوانها متعددة، حيث يَقُولُ(صلى الله عليه وسلم): (مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ) [سنن أبي داود]، كما لا يحرم فضل الشهادة من سألها بصدق نية، قال (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ) [صحيح مسلم].

إن الشهيد الحق هو من اعتنق الحق، وأخلص له، وضحى في سبيله، قال (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ) [متفق عليه] والشهيد مشرف في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا يذكر اسمه ويكتب بحروف من نور في ذاكرة الأمة مثالا للتضحية، والرجولة، والشرف، وسيظل شهداؤنا باقين في عقولنا وقلوبنا، نذكرهم بالإعزاز والإكبار، مهما تعاقبت الأجيال، وفي الآخرة يبعث الشهيد في

هيئة الفخر، والشرف، والجمال، يقول (صلى الله عليه وسلم): (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللهِ – وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ– إِلاَّ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ) [صحيح البخاري].

لقد ضحى شهداؤنا الأبرار بأنفسهم من أجل غيرهم، وتركوا خلفهم أسرهم، وإن لهم علينا حقوقًا وواجبات، منها: **أن ننظر إليهم نظرة إجلال وإكبار واعتراف بالجميل الذي قدمه آباؤهم**، فلا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذوو الفضل، حيث يقول الحق سبحانه: {هَلْ جَزَاءُ الإحْسَانِ إلا الإحْسَانُ} [الرحمن: ٦٠] ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ) [مسند الإمام أحمد] ويقول (صلى الله عليه وسلم): (وَمَنْ آتَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ) [مسند الإمام احمد] وأي معروف يوازى أو يضاهى بذل الإنسان روحه فداء لوطنه وعرضه.

ومنها: **ألا نشعرهم بمرارة فقد الأب أو العائل**، ويكون ذلك بتعهدهم، وقضاء بعض الأوقات معهم، والبشاشة في وجوههم، وحسن معاملتهم، وقد كان النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) يتعهد أسر الشهداء وأبناءهم بالرعاية، ومن ذلك ما كان منه (صلى الله عليه وسلم) مع أسرة سيدنا جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) الذي استشهد يوم مؤتة، وترك خلفه أولادا صغارًا، فتولى النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) أمرهم، وتعهدهم بملاطفته، وحنوه، وكفلهم بعد وفاة أبيهم.

**أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم**

الحمد لله رب العالمينَ، وأشهدُ أن لاَ إلهِ إلا اللهُ وحدَه لاَ شريكَ له، وأشهدُ أنّ سيدَنا ونبينَا مُحمّدًا عَبدهُ وَرَسُولُه، اللهُم صَلّ وسلمْ وباركَ عليهِ، وعَلى آلهِ وصحْبهِ أَجمعينَ، ومن تبعهُم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين.

**إخوة الإسلام**:

إن من واجبنا نحو أسر شهدائنا: **أن نوفر لهم الحياة الآمنة المستقرة** فقد استشهد آباؤهم من أجل أن يوفروا لنا هذه الحياة، وقد ضمن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لمن يقوم برعاية أهل المجاهدين والشهداء جزيل الأجر والثواب، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ جهَّزَ غَازِيًا في سبيلِ اللَّهِ فَقَدْ غزَا، ومنْ خَلَفَ غَازيًا في أَهْلِهِ بخَيْر فَقَدْ غزَا) [متفق عليه] ومعنى خَلَفَ غَازيًا في أَهْلِهِ ؛ أي: قام على شئونهم ورعايتهم، ووفر لهم ما يحتاجون إليه، فينال بذلك مثل أجر الشهادة ، كما أن رعاية أسر هم هي عرفان بالجميل واعتراف بالفضل، ومجازاة لبعض حقوقهم الواجبة علينا، جاء في صحيح البخاري عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: (خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ،( رَضِيَ اللهُ عَنْهُ )، إِلَى السُّوقِ فَلَحِقَتْ عُمَرَ امْرَأَةٌ شَابَّةٌ فَقَالَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَلَكَ زَوْجِي وَتَرَكَ صِبْيَةً صِغَارًا وَاللهِ مَا يُنْضِجُونَ كُرَاعًا، وَلاَ لَهُمْ زَرْعٌ، وَلاَ ضَرْعٌ وَخَشِيتُ أَنْ تَأْكُلَهُمُ الضَّبُعُ وَأَنَا بِنْتُ خُفَافِ بْنِ إِيْمَاءَ الْغِفَارِيِّ وَقَدْ شَهِدَ أَبِي الْحُدَيْبِيَةَ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَوَقَفَ مَعَهَا عُمَرُ وَلَمْ يَمْضِ ثُمَّ قَالَ مَرْحَبًا بِنَسَبٍ قَرِيبٍ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى بَعِيرٍ ظَهِيرٍ كَانَ مَرْبُوطًا فِي الدَّارِ فَحَمَلَ عَلَيْهِ غِرَارَتَيْنِ مَلأَهُمَا طَعَامًا وَحَمَلَ بَيْنَهُمَا نَفَقَةً وَثِيَابًا ثُمَّ نَاوَلَهَا بِخِطَامِهِ ثمَّ قَالَ اقْتَادِيهِ فَلَنْ يَفْنَى حَتَّى يَأْتِيَكُمُ اللهُ بِخَيْرٍ فَقَالَ رَجُلٌ يَا

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَكْثَرْتَ لَهَا قَالَ عُمَرُ ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ وَاللهِ إِنِّي لأَرَى أَبَا هَذِهِ وَأَخَاهَا قَدْ حَاصَرَا حِصْنًا زَمَانًا فَافْتَتَحَاهُ ثُمَّ أَصْبَحْنَا نَسْتَفِيءُ سُهْمَانَهُمَا فِيهِ) [صحيح البخاري].

ففي هذه الواقعة نرى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يبين لنا ما يتوجب علينا تجاه الشهداء من الاعتراف بجميل فعالهم وحسن صنيعهم، ويبين كذلك واجبنا تجاه أسرهم من بعدهم، وهو ما يمكن أن نترجمه في زماننا بدور ضروري – فردًا ومؤسسة – لرعاية أبناء الشهداء، بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان، ترضية لهم وعرفانا بجميلهم.

ومنها: **حسن تأهيل أبنائهم،وإنزال الأكفاء المنزلة التي يستحقونها**، ولنا الأسوة الحسنة في رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؛ فقد كان يتعهد أسر الشهداء بالرعاية والحفظ، ويؤهل أبناءهم التأهيل الأمثل، ومن ذلك ما كان منه (صلى الله عليه وسلم) مع سيدنا أسامة بن زيد (رضي الله عنهما) ؛ فقد استشهد أبوه سيدنا زيد ابن حارثة (رضي الله عنه) يوم مؤتة، وقد تعهده النبي (صلى الله عليه وسلم) بالتأديب والتعليم حتى صار أصغر قائدٍ عسكري في التاريخ كله، ولم يكن قد أتم العشرين من عمره، حيث ولاه النبي (صلى الله عليه وسلم) قيادة الجيش وفيه كبار الصحابة.

وقد قَالَ النبي (صلى الله عليه وسلم) : (إِنْ تَطْعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ، فَقَدْ طَعَنْتُمْ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ، وَايْمُ اللَّهِ لَقَدْ كَانَ خَلِيقًا لِلْإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ

مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ) [صحيح البخاري].

ونبشر أسر الشهداء وأبناءهم أيضا بحفظ الله تعالى ورعايته إياهم إكراما لآبائهم ، فإن وعد الله حق، وإن الله (عز وجل) يتولى الصالحين، فالله تعالى يجعل من صلاح الآباء ما يعود على أبنائهم في الدنيا والآخرة، فقد وكل الله تعالى لغلامين يتيمين عبدين صالحين من عباده ؛ هما: سيدنا موسى وسيدنا الخضر (عليهما السلام) ليحفظا لهما مالهما وكنزهما، إكرامًا لأبويهما الصالحين، حيث يقول سبحانه {وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي} [الكهف: ٨٢].

وأما في الآخرة فيلحقهم ربهم بآبائهم إكرامًا لهم، وإن قل عملهم، يقول تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ}[الطور:٢١].

وعلينا أن نعلم علم اليقين أن تضحيات شهدائنا تاج على جبين الوطن، وعلى جبين كل مصري مخلص لوطنه، وأن الوفاء لهذه التضحيات يتطلب أن يكون كل واحد منا جنديًّا لهذا الوطن في مجاله، وأن يبذل أقصى طاقته في خدمة هذا الوطن العظيم، وأن نقف جميعا بالمرصادِ لقوى الإرهاب، والشر، والإفساد، والتخريب وأن نقف صفًّا واحدًا وعلى قلب رجل واحد خلف جيشنا وشرطتنا وسائر المؤسسات الوطنية، مؤكدين أن مؤسساتنا الوطنية صمام أمان المجتمع، وعلينا

جميعا مواجهة دعاة الفتنة والفوضى من جماعات التطرف والإرهاب التي لا تؤمن بوطن ولا بدولة وطنية، مقدمة مصلحة الجماعة على مصلحة الدولة، فهذه الكيانات وتلك الجماعات خطر داهم على الدين والدولة ومواجهتها والقضاء على فكرها المتطرف واجب ديني ووطني وإنساني

سائلين ا لمولى عز وجل أن يتغمد شهداءنا بواسع رحمته وأن يحفظ مصرنا العزيزة وجيشها ،وشرطتها وجميع أبناءها من كل سوء ومكروه.

* * *

## علو الهمة سبيل الأمم المتحضرة.

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}[الحديد:٢١]، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه ورسوله، اللّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ.

**وبعد**:

فإن الدين الإسلامي بتعاليمه الراقية يحثُّ الناس على علو الهمة، والجد، والاجتهاد، والإعمار، وينهى عن الكسل، والخمول، والإفساد، **وهذا مما جاءت به الرسالات السابقة**، حيث يقول الحقُّ سبحانه وتعالى: {أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى * أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى * وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى}[النجم:٣٦:٤١]، ولقد بين النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) قدر علو الهمة في قوله (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، وَمَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ، وَيُبْغِضُ سَفْسَافَهَا)(السنن الكبري للبيهقي)، وقال سيدنا عُمَر بن الخَطَّابِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): " لَا تُصَغِّرُنَّ هِمَّتَكُمْ، فَإِنِّي لَمْ أَرَ أَقْعَدَ عَنْ الْمَكْرُمَاتِ مِنْ صِغَرِ الْهِمَمِ "(أدب الدنيا والدين)، وقد قيل: من علامة كمال العقل علوُّ الهمة، ولله در أبي الطيب المتنبي في قوله:

وَلم أرَ في عُيُـوبِ النّاسِ شَيْئًـــــا    كَنَقصِ القادِرِينَ على التّمَــــامِ

(ديوان المتنبي)

على أن علو الهمة ليس قاصرًا على مجال معين ؛ وإنما ينبغي أن يتحقق في كل ما يقوم به الإنسان في حياته، ومن ذلك: **العبادة**، فلقد حفز الشرع الشريف على المسارعة، والمسابقة في ميدان العبادة، حيث يقول تعالى: {وَسارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِن رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ}[آل عمران:١٣٣]، وقد ضمن الحق سبحانه وتعالى جزيل الأجر لمن سعى، وجد، واجتهد في عبادته، فقال سبحانه: {وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا}[الإسراء:١٩].

وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) صاحب همة عالية في كل شئون حياته، **ومنها عبادته**، فقد خاطبه ربه سبحانه وتعالى قائلا: {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا}[المزمل:١:٥]، فكان (صلى الله عليه وسلم) يقوم من الليل حتى تتورم قدماه، وعندما سئل في ذلك، قال (صلى الله عليه وسلم): (أَفَلاَ أَكُونَ عبْداً شَكُورًا؟)(متفق عليه).

وما أكثر تحفيزه (صلى الله عليه وسلم) أصحابه وأمته على **التميز**، **وعلو الهمة**، يقول (صلى الله عليه وسلم): (فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ) (صحيح البخاري)، وعن رَبِيعَة بن كَعْبٍ (رضي الله عنه)، قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَأَتَيْتُهُ

بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ، فَقَالَ لِي: (سَلْ)، فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ؟)، قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ، قَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ) (صحيح مسلم).

وعلو الهمة في العبادة يقتضي: **حسن أدائها**، **وأن يظهر أثرها في سلوك الإنسان وأخلاقه**، فلا يكذب، ولا يخون، ولا يغش، ولا يأكل أموال الناس بالباطل، فيتوافق أداء العبادة مع الغاية منها، فتتحقق الاستقامة التي هي أساس هذا الدين القويم.

ومن أهم ميادين علو الهمة: **ميدان العلم**، فقد أمرنا النبي (صلى الله عليه وسلم) أن نسأل الله تعالى علما نافعًا يعود أثره على خلق الله تعالى جميعا، يقول (صلى الله عليه وسلم): (سَلُوا اللَّهَ عِلْمًا نَافِعًا، وَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ)(سنن ابن ماجه)، وكان من دعائه (صلى الله عليه وسلم): (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ... )(صحيح مسلم)، فالعلم النافع هو السلاح الحقيقيُّ الذي تقوى به الدول، وتتقدم به الأمم، فما تقدمت دولة إلا بالعلم، وما تخلفت أخرى إلا بتكاسلها وتأخرها في ميدان العلم.

وكان الصحابة والتابعون (رضوان الله عليهم) **أعلى الناس همة في طلب العلم**، فهذا سيدنا أبو هريرة (رضي الله عنه) كان ذا همة عالية في طلب الحديث، وكان يقول: "إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَشْغَلُنِي عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَرْسُ الْوَدِيِّ، وَلاَ صَفْقٌ بِالأَسْوَاقِ إِنِّي إِنَّمَا كُنْتُ أَطْلُبُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلِمَةً يُعَلِّمُنِيهَا وَأُكْلَةً يُطْعِمُنِيهَا، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: أَنْتَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ كُنْتَ أَلْزَمَنَا لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ وَأَعْلَمَنَا بِحَدِيثِهِ"(مسند أحمد)، ويقول سيدنا عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما): "... كَانَ لَيَبْلُغُنِي الْحَدِيثُ عَنِ الرَّجُلِ، فَآتِيهِ وَهُوَ قَائِلٌ، فَأَتَوَسَّدُ رِدَائِي عَلَى بَابِهِ، فَتَسْفِي الرِّيحُ عَلَى وَجْهِي التُّرَابَ، فَيَخْرُجُ فَيَرَانِي، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ، مَا جَاءَ بِكَ؟ أَلاَ أَرْسَلْتَ إِلَيَّ فَآتِيَكَ؟ فَأَقُولُ: لاَ، أَنَا أَحَقُّ أَنْ آتِيَكَ، فَأَسْأَلُهُ عَنِ الْحَدِيثِ) (سنن الدارمي)، وقال إسماعيل بن يحيى: سمِعت الشافعي (رحمه الله) يقول: حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر سنين (سير أعلام النبلاء)، وكان الإمام أحمد (رحمه الله) يحفظ ألف ألف حديث، وقيل: كان الإمام النووي يحضر في اليوم اثني عشر درسًا (البداية والنهاية لابن كثير).

كما جدَّ علماؤنا القدامى في حمل أمانة العلم في كل مجالاته، **وبلغوا رسالته للناس بكل تجرد**، إرضاء لله تعالى، ونفعًا للبشرية كلها، فسجلوا بذلك أسماءهم وعلومهم بحروف من نور في ذاكرة التاريخ، قال تعالى: {فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ}[الرعد:١٧].

ومن ميادين علو الهمة: **العمل**، فقد أعلت الشريعة من شأن العمل، ورفعت منزلته، حيث ربط القرآن الكريم بين العبادة والعمل، وجعلهما قرينين، وفي ذلك يقول الحق (جل شأنه): {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[الجمعة:١٠]، وقد وعد الله (عز وجل) من أحسن في عمله بالحياة الطيبة في الدنيا، والنعيم المقيم في الآخرة، فقال الله سبحانه:

{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}[النحل:٩٧]، وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً} [الكهف : ١٠٧].

وليس أدل على شرف العمل من أن جميع الأنبياء (عليهم السلام) كانوا يعملون، فكان آدم وإبراهيم ولوط (عليهم السلام) زُرَّاعًا ، وكان نوح (عليه السلام) نجارًا، وإدريس (عليه السلام) خياطًا، وصالح (عليه السلام) تاجرًا، وداود (عليه السلام) حدادًا، قال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}[سبأ:١٠ ،١١]، فالإنسان تعلو قيمته، ويشرف بما يجيد ويحسن، فالعمل خير من سؤال الناس، يقول (صلى الله عليه وسلم): (لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا، فَيُعْطِيَهُ، أَوْ يَمْنَعَهُ) (صحيح البخاري).

وليس المراد مجرد العمل ؛ وإنما المراد **إتقان العمل** ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلا أَنْ يُتْقِنَهُ)(شعب الإيمان للبيهقي)، وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حريصًا على أن يكون لكل فرد عمل طيب، ينفع به نفسه وغيره، يقول (صلى الله عليه وسلم): (عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ)، فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: (يَعْمَلُ بِيَدِهِ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ)، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: (يُعِينُ ذَا الحَاجَةِ المَلْهُوفَ)، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: (فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ) (متفق عليه)، فحث

(صلى الله عليه وسلم) من يعجز عن العمل على الإمساك عن ضرر الناس، وجعل ذلك عملا يثاب عليه ؛ لأنه وقى الناس من شروره وضرره .

ومن أعلى درجات الهمة: الهمة في خدمة المجتمع، وإعانة الضعيف، وإغاثة الملهوف، وقضاء حوائج المحتاجين، والنجدة والشهامة، فقد جَاءَ رجل إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ؟)، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دِينًا، أَوْ تطردُ عَنْهُ جُوعًا، وَلأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ – يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ – شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ، مَلأَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) قَلْبَهُ أَمْنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى أَثْبَتَهَا لَهُ، أَثْبَتَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) قَدَمَهُ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزِلُّ فِيهِ الْأَقْدَامُ) (المعجم الكبير).

**أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم**

* * *

الحمد لله رب العالمينَ، وأشهدُ أن لاَ إلهِ إلا اللهُ وحدَه لاَ شريكَ له، وأشهدُ أنّ سيدَنا ونبينَا مُحمّدًا عَبدهُ وَرَسُولُه، اللهُم صَلّ وسلمْ وباركَ عليهِ، وعَلَى آلهِ وصحْبهِ أَجمعينَ، ومن تبعهُم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين.

**إخوة الإسلام**:

إن من أجَلِّ الميادين التي ينبغي أن نتنافس جميعًا فيها، وأن نكون أصحاب همة عالية: **خدمة الوطن**، فخدمة الوطن من الإيمان ؛ وقد

أمرنا الله تعالى بالتنافس في ميدان الخير، والنفع الذي يعود أثره على الوطن، حيث يقول الحق سبحانه: {فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}[البقرة: ٤٨].

وقد مدح الله (جل شأنه) عباده الذين يسارعون في بذل الخير للناس، ويبين سبحانه أن ذلك الخير ينفع صاحبه في الدنيا والآخرة، يقول تعالى: {إِنَّهُمْ كانُوا يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَيَدْعُونَنا رَغَباً وَرَهَبًا وَكانُوا لَنا خاشِعِينَ}[الأنبياء:٩٠]، بعلو همة، ورغبة في نفع الناس، وثقة كاملة في فضل الله تعالى وتوفيقه.

ومن الهمة العالية: **الهمة في بناء الأوطان**، وتحمل المسئولية المجتمعية، والمنافسة في أعمال البر ؛ من صيانة المساجد، وبناء المدارس، وتجهيز المستشفيات، وعلاج المرضى، فكل ذلك من الصدقات الجارية، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (سَبْعٌ يَجْرِي لِلْعَبْدِ أَجْرُهُنَّ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ، وهُو فِي قَبْرِهِ: مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا، أَوْ كَرَى نَهْرًا، أَوْ حَفَرَ بِئْرًا، أَوْ غَرَسَ نَخْلا، أَوْ بَنَى مَسْجِدًا، أَوْ وَرَّثَ مُصْحَفًا، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ) (مسند البزار).

فما أجمل أن يكون بيننا تنافس في خدمة الوطن الذي يحتوينا جميعًا، ويعود خيره وفضله على جميع أبنائه، ونحقق ذلك بالتكاتف، والاتحاد، والوعي، والتراحم، ومد يد العون للجميع، فالوطن لنا جميعًا، ويتقدم بنا جميعًا، ولسنا أقل إرادة، ولا قوة ، ولا جهدًا من غيرنا، فنحن أصحاب الحضارة ، والأصالة ، والتاريخ ، ولا بد أن نعلم أن تحقيق السبق والتفوق يتطلب اقتحام الصعاب والأهوال، وإنكار الذات، فالمكارم

منوطة بالمكاره، والمصالح والخيرات لا يُتوصل إليها إلا بالجهد والمشقة، ولله در أبي تمام في قوله:

بصُرْتُ بالرَّاحةِ الكُبرى فلمْ أرهَـــا    تُنــالُ إلاَّ على جســـرٍ منَ التَّعـبِ

اللهم ارزقنا همما عالية نحوز بها السبق ، والفضل ، والتقدم ، والرقي فيما ينفعنا في الدنيا والآخرة ، واحفظ ديننا ، وبلادنا ، وسائر بلاد العالمين.

* * *

# ثمرات الإيمان

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {إِنّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنّاتِ النّعِيمِ} [يونس:٩]، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه ورسوله، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

**وبعد** :

فإن من نعم الله تعالى على عباده أن جعل لكل عمل صالح يقوم به الإنسان ثمرة طيبة، ومن أعظم الأعمال التي يعود أثرها بالخير على الفرد والمجتمع **الإيمان بالله** (**عز وجل**) ؛ وقد بين لنا النبي (صلى الله عليه وسلم) حقيقة الإيمان الّذي ينبغي أن يتحقق في قلب المؤمن، وذلك حينما سأله سيدنا جبريل (عليه السلام) عن الإيمان ، فقال (صلى الله عليه وسلم): (...أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ: صَدَقْتَ) (صحيح مسلم)، فليس الإيمان مجرد كلمة تقال باللسان ؛ وإنما هو اعتقادٌ بالقلب، وإقرارٌ باللسانِ، وعملٌ بالجوارحِ والأركان، فالإيمان ما وقر في القلب وصدّقه العمل باتباع أوامر الله واجتناب نواهيه .

وعندما سُئل الإمام الحسن البصري (رحمه الله) : أمؤمن أنت؟ قال: "الإيمان إيمانان ؛ فإن كنت تسألني عن الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والجنة، والبعث، والحساب ، أنا مؤمن، وإن كنت تسألني عن قول

الله (عز وجل): {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا}[الأنفال: ٣-٤]، فو الله ما أدري أنا منهم، أم لا؟ (شعب الإيمان للبيهقي).

فالإيمان الحقيقي إذا لامس شغاف القلب، وتمكن من مجامع النفس انعكست آثاره القوية على الروح والعقل، وعلى الفرد والمجتمع، فمن ثمراته أنه يورث العبد حسن الخلق ؛ لأن الإيمان والأمانة صنوان، لا يفترقان، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ) (مسند أحمد).

كما أن الإيمان والحياء قرينان، قال (صلى الله عليه وسلم): (الْحَيَاءُ وَالْإِيمَانُ قُرِنَا جَمِيعًا، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الْآخَرُ) (المستدرك للحاكم).

والإيمان والصدق متلازمان، فعن صفوان بن سُليم (رضي الله عنه)، قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ جَبَانًا؟ فَقَالَ: (نَعَمْ)، فَقِيلَ لَهُ: أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ بَخِيلًا؟ فَقَالَ: (نَعَمْ)، فَقِيلَ لَهُ: أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ كَذَّابًا؟ فَقَالَ: (لَا) (موطأ مالك).

ولقد عرف بعضهم الإيمان بالصدق، فقال: الإيمان الحقيقي هو أن تقول الصدق مع ظنك أن الصدق قد يضرك، وأن لا تقول الكذب مع ظنك أن الكذب قد ينفعك، فإن وجدت أخلاقا كريمة، فهي نتاج إيمان صحيح، فالمؤمن لا يتكلم إلا بالقول الطيب الذي يُصلح ولا يُفسد، يبني ولا يهدم، يُعمر ولا يُخرب ؛ لأن ديننا الحنيف دين الأخلاق، والإصلاح، والبناء، والتعمير، فمن زاد عليك في ذلك، فقد زاد عليك في الدين.

ومن ثمرات الإيمان: **السكينة والطمأنينة**، فإذا تمكن الإيمان من النفس البشرية فإنها حينئذ تمتلئ بالسكينة واليقين والرضا ؛ فتسعد في الدنيا والآخرة، والمؤمن الحقيقي يدرك يقينًا أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وهذا ما يجعله يتقلب بين مقام الشكر حال السراء، ومقام الصبر حال الضراء، فيطمئن قلبه بأن كل ما قضاه الله (عز وجل) هو خير له، يقول الحق سبحانه وتعالى: {وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ} [التغابن:١١]، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ) (صحيح مسلم).

ومنها: أن الإيمان **يعصم صاحبه من ارتكاب الموبقات**، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً، يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ) (صحيح البخاري)، كما أن المؤمن الحقيقي ينزه نفسه عن كل ما يؤذي مشاعر الناس كالسخرية، والاستهزاء، وسوء الظن، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [الحجرات: ١١]، وقال (جل شأنه): {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ

أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ} [الحجرات:١٢]، فالإيمان يورث سلامة الصدر، قال تعالى: {لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ}[النور: ١٢].

ومن ثمرات الإيمان: **التأييد والنصر من الله تعالى**، فالإيمان الصادق يجعل العبد في معية الله (عز وجل)، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: {وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ} [الأنفال: ١٩]، والمعية هنا تقتضي النصر والعون والتأييد، يقول سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ } [محمد: ٧]، ويقول تعالى: { إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ} [غافر: ٥١]، ويقول (جل شأنه): {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} [الروم: ٤٧]، ويقول تعالى: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ} [آل عمران ١٧٣، ١٧٤].

ومن ثمرات الإيمان ، **أن يغرس الله (عز وجل) محبة العبد في قلوب الخلق**، فترى المؤمن الحقيقي هينًا لينًا ، يألف ويؤلف، يقول الحق سبحانه: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا} [مريم: ٩٦]، فما أقبل عبد على ربه بقلب مؤمن صادق ، إلا أقبل الله (عز وجل) بقلوب المؤمنين إليه ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ،

فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ) (متفق عليه)، وفي الحديث القدسي أن الله (عز وجل) يقول: (لَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْت سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ) (صحيح البخاري).

ومنها: أن الإيمان سبب **في تفريج الكروب، ورفع البلاء، وكشف الغم**، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (أَلا أُخْبِرُكُمْ بِشَيْءٍ إِذَا نَزَلَ بِرَجُلٍ مِنْكُمْ كَربٌ أَوْ بَلاءٌ مِنْ بَلايَا الدُّنْيَا دَعَا بِهِ يُفَرَّجُ عَنْهُ؟)، فَقِيلَ لَهُ: بَلَى، فَقَالَ: (دُعَاءُ ذِي النُّونِ: {لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنْ الظَّالِمِينَ} [الأنبياء ٨٧]، فقد قال الله تعالى بعد ذلك: {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ}) [الأنبياء:٨٨] (السنن الكبرى للنسائي)، وذلك للمؤمنين عامة.

**أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم**

* * *

الحمد لله رب العالمينَ ، وأشهدُ أن لاَ إلهَ إلا اللهُ وحدَه لاَ شريكَ له، وأشهدُ أنّ سيدَنا ونبينَا مُحمّدًا عَبدهُ وَرَسُولُه ، اللهُم صَلّ وسلمْ وباركَ عليهِ، وعَلَى آلهِ وصحْبهِ أَجمعينَ ، ومن تبعهُم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين.

**إخوة الإسلام**:

إن من أعظم ثمرات الإيمان أنه **يحقق الأمن والأمان المجتمعي**، فالمؤمن الحق إذا تمكن الإيمان من قلبه صار مصدرًا للأمن، والطمأنينة، والاستقرار، فيأمنه الناس على أنفسهم ، وأرواحهم ، وأموالهم،

حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، والمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ) (سنن ابن ماجه)، فليس من أخلاق المؤمنين ترويع الآمنين، أو الاعتداء عليهم، حتى ولو كانوا غير مسلمين، يقول (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا) (صحيح البخاري).

ولقد صرَّح النبي (صلى الله عليه وسلم) بنفي كمال الإيمان عمن يؤذي جاره، أو من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم، فقال (صلى الله عليه وسلم): (وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ) (صحيح البخاري)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبْعَانًا، وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ) (المعجم الكبير للطبراني)، فالإيمان الحقيقي هو الذي يحمل صاحبه على فعل الخيرات، وتقديم يد العون للآخرين، وهو الذي يهذب أخلاق صاحبه، ويظهر أثره في سلوكه، وسائر تصرفاته، وحركته في الكون كله، وتعامله مع خلق الله أجمعين ؛ رحمة بالإنسان والحيوان والجماد، ابتغاء مرضاة الله وحده، قال تعالى: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا}[الإنسان: ٨، ٩].

ولله در محمد إقبال حين قال في ديوانه:

إِذَا الإِيمانُ ضَاعَ فَلاَ أَمَانٌ ... وَلا دُنيَا لِمَن لَمْ يُحْيِ دِينَا

ومَن رَضِي الحَيَاةَ بِغَيرِ دينٍ ... فَقَدْ جَعَلَ الفَنَاءَ لهَا قَرِينَا

وإن من أجل ثمرات الإيمان بالله (عز وجل)، **ما أعده الله تعالى لعباده المؤمنين في الآخرة** من أجر عظيم، ونعيم مقيم، حيث، ويقول تعالى: {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [البقرة:٢٥]، ويقول (جل شأنه): {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة:٨٢]، ويقول (عز وجل): {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا} [الكهف:٣٠]، ويقول سبحانه: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا} [الكهف: ١٠٧، ١٠٨] ، وفي الحديث القدسي يقول الله (عز وجل): (أعْدَدتُ لِعبادي الصّالِحِيْنَ ما لا عينٌ رَأَتْ، وَلا أذُنٌ سَمِعَت، وَلَا خَطَر عَلَى قَلْبِ بشَرٍ)، ثم قرأ: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [السجدة: ١٧] (متفق عليه).

فحري بنا أن نحقق الإيمان اعتقادًا، وقولًا، وفعلاً، فيعم التراحم، والتعاون، والصدق، والحياء، والسخاء، والعفة، وأن نبتعد عن الكذب، والغش، والخيانة، والغيبة، والنميمة، والفحش، والظلم، والخوض في الأعراض، وأن نحفظ للنفس حرمتها، وللأموال حقوقها، وللأوطان فضلها ومكانتها.

اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، واحفظ بلادنا، وسائر بلاد العالمين .

* * *

## عنايةُ القرآنِ الكريم بالقِيَمِ الأخلاقية

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {إِنّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا} [الإسراء: ٩]، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه ورسوله، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ.

**وبعد**:

فإن جوانب العظمة في القرآن الكريم لا تُحصى ولا تعد، فالقرآن الكريم حبل الله المتين، والذكر الحكيم، والنور المبين، والصراط المستقيم، الذي لا يناله التحريف، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، من قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم، يقول الحق سبحانه: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} [النحل: ٨٩]، ويقول جل شأنه: {مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} [الأنعام: ٣٨].

وإن من جوانب العظمة في القرآن الكريم عنايته بالبناء الأخلاقي في حياة الأفراد والأمم من خلال منظومة من القيم والمبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني، والتي تؤسس لمجتمع مترابط، يتسم بنفوس زكية، وقلوب نقية، يتعامل أصحابها فيما بينهم بالصدق، والأمانة، والرحمة، والعدل، ويؤمن كل منهم بسنة الاختلاف بين الناس، والتعايش السلمي، واحترام الآخر، والسعي على إعمار الدنيا بالدين، حيث يقول

الحق سبحانه: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: ١٣]، ويقول سبحانه: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ...} [هود: ١١٨، ١١٩]، ويقول جل شأنه: {هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} [هود: ٦١].

والمتدبر لآيات الذكر الحكيم يدرك يقينًا أن القيم الأخلاقية التي دعا إليها القرآن الكريم ليست لونًا من ألوان الترف يمكن الاستغناء عنه ، أو العمل بها في بيئة دون أخرى ، بل هي مجموعة من القيم الثابتة لا تتغير بتغير الزمان ، ولا تختلف باختلاف المكان ، وليس أدل على ذلك من أن هذه القيم الأخلاقية كانت منهج حياة طبَّقه النبي (صلى الله عليه وسلم)، وحث عليه ، فعندما سئلت أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) عن خلق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لم تعدد على سائلها جملة من الأخلاق المتنوعة ، وإنما أحالته إلى القرآن الكريم ، فعن سعد بن هشام ، في قول الله عز وجل: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}[القلم: ٤]، قال: قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا): يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَقَالَتْ: "أَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟" فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَتْ: "إِنَّ خُلُقَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الْقُرْآنُ" (المستدرك للحاكم)، وفي توجيه السيدة عائشة (رضي الله عنها) لسائلها تأكيد على أن القرآن كله بما فيه من عقائد وشرائع وعبادات ومعاملات إنما هو في الأساس دعوة قوية إلى بناء الإنسان بناء أخلاقيا متكاملاً، وأن الرسول

(صلى الله عليه وسلم) كان الأنموذج الأمثل لهذا البناء في جميع شئون حياته.

ومن أهم القيم: **احترام آدمية الإنسان**، **وحفظ كرامته**، **وعدم امتهانه**، فهذا أمر الله تعالى في كتابه الكريم للمؤمن أن ينزه نفسه عن كل ما يؤذي مشاعر الناس كالسخرية، والاستهزاء، وسوء الظن حيث يقول سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}[الحجرات: ١١]، ويقول سبحانه (جل شأنه): {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ} [الحجرات: ١٢]، فالقرآن الكريم يأمر بطهارة القلب وسلامته من كل الرذائل والأضغان، وعدم سوء الظن بالآخرين، قال تعالى: {لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ}[النور: ١٢].

وكذلك من القيم التي عُني القرآن الكريم بترسيخها: **قيمة التعاون**، **والتكافل والتراحم**، حيث أمر القرآن الكريم المجتمع بجميع أطيافه بالتعاون على البر والتقوى، فقال تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} [المائدة: ٢]، فالتعاون بين أفراد المجتمع عامل من عوامل قوة الدولة، وتحقيق الأمن الاجتماعي لأبنائها، فلكل

إنسان متطلبات يسعى إلى تحقيقها، ويجتهد في سبيل تلبيتها، فإن ارتفعت روح التكافل في المجتمع اطمأن وهدأت نفسه تجاه هذه المتطلبات، بل وسارع هو الآخر في إعلاء قيمة التكافل في المجتمع على قدر وسعه وطاقته، ولله در القائل:

الناس للناس من عرب ومن عجم     بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

وقد وجّه النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى قيمة التعاون في كثير من الأحاديث الشريفة، حيث قال: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَداعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى) (متفق عليه)، وقال(صلى الله عليه وسلم): (المُسْلِمُ أخُو المُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ ولا يُسْلِمُهُ، ومَن كانَ في حاجَةِ أخِيهِ كانَ اللَّهُ في حاجَتِهِ، ومَن فَرَّجَ عن مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عنْه كُرْبَةً مِن كُرُباتِ يَومِ القِيامَةِ، ومَن سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَومَ القِيامَةِ) (متفق عليه).

ومن هذه القيم: **قيمة التفكر، وإعمال العقل**، فلقد أمر الله (عز وجل) عباده بالتفكر في ملكوت السموات والأرض، وأثنى سبحانه على المتفكرين، فقال (جل شأنه): {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [آل عمران: ١٩٠، ١٩١]، وقال سبحانه: {أَوَلَمْ يَنْظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ} [الأعراف: ١٨٥]، وفتح لنا أبواب التدبر، والتأمل، فقال سبحانه: {اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ

عَمَدٍ تَرَوْنَهَا} [الرعد: ٢]، وقال تعالى: { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} [القصص: ٧١]، كما أمرنا بالتفكر في النفس، فقال تعالى: {أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ في أَنفُسِهِمْ} [الروم: ٨]، وقال جل شأنه: {وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} [الذاريات: ٢٠، ٢١]، فالقرآن الكريم يفتح لنا باب التفكر في كل ما يفيد الإنسان.

وهذا التفكر عبادة فقهها الصحابة والتابعون (رضوان الله عليهم)، وفطنوا إلى غايتها، يقول أبو الدرداء (رضي الله عنه): " تَفَكُّرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ" (شعب الإيمان للبيهقي)، ويقول وهب بن منبه (رحمه الله): " مَا طَالَتْ فِكْرَةُ امْرِئٍ قَطُّ إِلَّا فَهِمَ، وَمَا فَهِمَ امْرُؤٌ قَطُّ إِلَّا عَلِمَ، وَمَا عَلِمَ امْرُؤٌ قَطُّ إِلَّا عَمِلَ" (الغظمة لأبي الشيخ الأصبهاني).

ومنها: **قيمة الحوار، واحترام الآخر**، فكثير من آيات القرآنِ تُرشِدُ الأمة، بل ترشد الإنسانية كلها إلى أهمية الحوار فِي حياة الناس، فالحوار هو الأسلوب الذي ارتضاه الله (عز وجل) منهجًا للأنبياء والمرسلين في تبليغ رسالته للناس ؛ ذلك أن الإسلام يؤمن بحرية الاعتقاد، يقول الحق سبحانه: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ} [البقرة: ٢٥٦]، وهذا نبي الله نوح (عليه السلام) يخاطب قومه في موقف من مواقف حياته الدعوية الطويلة قائلا : {..يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ} [هود: ٢٨] .

وهذا نبي الله إبراهيم (عليه السلام) يقيم الحجة على الملك الطاغية في حوار عقلاني يصوره لنا القرآن الكريم في قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [البقرة: ٢٥٨]، وعلى المنهج نفسه سار نبي الله موسى (عليه السلام) في حواره مع فرعون، وفي ذلك يقول الحق سبحانه: {قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ * قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ* قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ} [الشعراء: ٢٣-٢٩].

إن في ترسيخ القرآن الكريم لقيمة الحوار دعوة للرقي الإنساني، واحترام الآخر بغض النظر عن لونه أو دينه أو جنسه، ونبذا للنظرة الأُحادية والعنصرية والاستعلائية، فالقرآن الكريم قد حفظ للجنس البشري كرامته من أجل إنسانيته، لا من أجل شيء آخر، وأقر بوحدة أصله مهما اختلفت الأجناس، يقول الحق سبحانه: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} [الإسراء: ٧٠]، ويقول سبحانه: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا

كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١].

**أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ**

* * *

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَن لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُه، اللَّهُمّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ، وعَلى آلهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

**إِخْوَةَ الإِسْلامِ**:

ومن القيم الأخلاقية التي دعا إليها القرآن الكريم: **ضبط النفس**، **وكظم الغيظ**، فمعلوم أن الإنسان في هذه الحياة لا يسلم من أن يتعرض لبعض المواقف أو الأحداث التي من شأنها أن تُثيرَ أو تستثيرَ غضبَه ؛ والنفس الإنسانية تنفعل وتتأثر بما تسمع وترى، وقد جاءت النصوص القرآنية تدعو إلى ضبط النفس، وكظم الغيظ، وسلوك سبيل الصفح والعفو، حيث يقول الحق سبحانه: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤]، ويقول تعالى: {وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النور: ٢٢]، ويقول جل شأنه: {وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ

الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} [فصلت: ٣٤، ٣٥]، ويقول سبحانه: {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ} [الشورى: ٤٠].

ومن القيم: **إصلاح ذات البين**، فما أكثر آيات القرآن الكريم التي تأمر بالإصلاح بين الناس، وتبشر المصلحين بالأجر العظيم، قال تعالى: {لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء: ١١٤]، ويقول سبحانه: {فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [البقرة: ١٨٢]، ويقول جل شأنه: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى، قُلْ إِصْلاَحٌ لَهُمْ خَيْرٌ، وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [البقرة: ٢٢٠]، وحذر الحق سبحانه من يقومون بالإفساد بين الناس تحذيرًا شديدًا، فقال سبحانه: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ} [البقرة: ٢٠٤– ٢٠٦].

فما أحوجنا إلى التمسك بالقيم الأخلاقية التي دعا إليها كتاب الله (عز وجل)، وطبقها رسولنا الكريم (صلى الله عليه وسلم)، حتى نبلغ ما بلغ أجدادنا من الحضارة والرقي والتقدم، ولله در شوقي حيث قال:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت      فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

**اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واصرف عنَّا سيئها لا يصرف عنّا سيئها إلا أنت ، واحفظ بلادنا وشعبنا وجيشنا وشرطتنا، وارزقنا الأمن والأمان وسائر بلاد العالمين.**

* * *

# السنة النبوية المشرفة، ومكانتها في التشريع

الحمد لله رب العالمينَ، القائلِ في كتابه الكريم: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الحشر: ٧] وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ، القَائِل: (تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِن اعْتَصَمْتُم بِهِ، فَلَن تَضِلُّوا أَبَدًا: كِتَابَ اللهِ، وَسُنَّةَ نَبِيِّه) [المستدرك للحاكم] اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ.

**وبعـد**:

فقد أرسل الله (عز وجل) رسله وأنبياءه (عليهم السلام) لهداية البشر، والأخذ بأيديهم من الظلمات إلى النور، ومن طريق الهلاك إلى طريق النجاة والفلاح، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} [الحديد: ٢٥] ثم ختم سبحانه الرسالات بسيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، فجاء كما قال الله تعالى عنه: {شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا} [الأحزاب:٤٥، ٤٦] برسالة خاتمة، صالحة لكل زمان ومكان، وأنزل عليه القرآن الكريم، كتابًا محكمًا، معجزًا، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ثم أوحى إليه السنة المشرفة مفصلة للكتاب، وشارحة له، حيث يقول تعالى: {وما ينطِقُ عَنِ الهَوَى * إنْ هُوَ إلاّ وَحْيٌ يُوحَى} [النجم: ٣، ٤] ويقول سبحانه: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل: ٤٤] ويقول نبينا

(صلى الله عليه وسلم): (أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ) [مسند الإمام أحمد].

والمتدبر لكتاب الله (عز وجل) يجد أن الله سبحانه وتعالى قد جمع بين أوامره تعالى، وأوامر نبيه (صلى الله عليه وسلم) في أكثر من موضع، يقول سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} [الأنفال: ٢٤] وقرن بين رضاه سبحانه ورضا نبيه (صلى الله عليه وسلم) في قوله (جل شأنه): {وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ}[التوبة: ٦٢].

كما قرن الله (عز وجل) طاعته بطاعة نبيه (صلى الله عليه وسلم)، حيث يقول سبحانه: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} [النساء: ٨٠] وجعل سبحانه هذه الطاعة سببًا في الرحمة، يقول (جل وعلا): {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [آل عمران:١٣٢] ويقول (جل شأنه): {وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [النور: ٥٦] وتتحقق هذه الطاعة باتباع سنته (صلى الله عليه وسلم)، يقول تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[آل عمران: ٣١].

وقد أجمع علماء الأمة وفقهاؤها على حجية السنة المشرفة، وأنها المصدر الثاني للتشريع بعد كتاب الله (عز وجل)، يقول سبحانه: {وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا} [النساء: ١١٣] ويقول تعالى: {وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا} [الأحزاب: ٣٤]

والسنة المشرفة تشمل: قولَه (صلى الله عليه وسلم)، وفعلَه، وتقريرَه، يقول الحق سبحانه وتعالى: {لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب: ٢١] وذلك في جميع أحواله (صلى الله عليه وسلم)، فعَنْ عبدالله بْنِ عَمْرٍو (رضي الله عنهما) قَالَ: كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم)، وَأُرِيدُ حِفْظَهُ، فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ عَن ذَلِكَ، وقَالُوا: تَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم)، وَرَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ، وَالرِّضَا، فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْكِتَابِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَأَوْمَأَ بِأُصْبُعِهِ إِلَى فِيهِ) (سنن أبي داود).

فالقرآن الكريم هو الأصل الأول للتشريع، والسنة المطهرة هي الأصل الثاني، حيث إنها شارحة ومفسرة ومبينة لما جاء في كتاب الله ( عز وجل) ؛ لأن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أعلم الناس بمراد الله سبحانه، وقضاؤه (صلى الله عليه وسلم) وحكمه من قضاء الله تعالى وحكمه، يقول الحق سبحانه: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ} [الأحزاب:٣٦] ويقول تعالى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء: ٦٥] ويقول سبحانه: {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ} [النساء: ٨٣] وحذرنا الله سبحانه من مخالفة أمر رسوله (صلى الله عليه وسلم)،

فقال تعالى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[النور: ٦٣].

ولقد فصلت السنة النبوية المشرفة كثيرا مما ورد مجملا في القرآن الكريم، فقد جاء الأمر بالصلاة والزكاة في القرآن مجملا، فقال سبحانه: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} [البقرة: ٤٣] فكيف نقيم أركان الإسلام من صلاة، وزكاة، وحج دون توضيح من السنة المشرفة؟ حيث فصل النبي (صلى الله عليه وسلم) ذلك، فقال: (صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي) (صحيح البخاري).

فبين الكيفية بفعله، وبقوله (صلى الله عليه وسلم): (إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلاَتِكَ كُلِّهَا) (متفق عليه)، وفي الزكاة فصلت السنة كثيرا من فروعها ، وحددت أنصبتها ، وكذلك الحج ، يقول (صلى الله عليه وسلم): (خُذُوا عني مناسِكَكم) (السنن الكبرى للبيهقي).

وحين جاء رَجل إلى سيدنا عِمْرَان بن حُصَيْنٍ (رضي الله عنه) وقال له: مَا هَذِهِ الْأَحَادِيثُ الَّتِي تُحَدِّثُونَاهَا وَتَرَكْتُمُ الْقُرْآنَ؟ فقال له: أَرَأَيْتَ لَوْ أَتَيْتَ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ الْقُرْآنَ، مِنْ أَيْنَ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ صَلَاةَ الظُّهْرِ عِدَّتُهَا كَذَا، وَصَلَاةَ الْعَصْرِ عِدَّتُهَا كَذَا، وَحِينَ وَقْتِهَا كَذَا، وَصَلَاةَ الْمَغْرِبِ كَذَا؟ وَالْمَوْقِفَ بِعَرَفَةَ وَرَمْيَ الْجِمَارِ كَذَا...) (الكفاية للخطيب البغدادي) .

وكما فصلت السنة النبوية المجمل من القرآن الكريم فهي أيضا قد تقيد المطلق، ومن ذلك تقييد الوصية بالثلث وأنه لا وصية لوارث، فعَنْ سَعْد بن أبي وقاص (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَعُودُنِي وَأَنَا مَرِيضٌ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ: لِي مَالٌ، أُوصِي بِمَالِي كُلِّهِ؟ قَالَ: (لاَ)، قُلْتُ: فَالشَّطْرِ؟ قَالَ: (لاَ)، قُلْتُ: فَالثُّلُثِ؟ قَالَ: (الثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ، أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدَعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ...) [صحيح البخاري] كما بينت السنة النبوية أن الوصية لا تكون لوارث، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم): (لاَ وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ) [سنن ابن ماجه] وذكرت السنة المطهرة تحريم الجمع بين المرأة وعمتها، وكذلك تحريم الجمع بين المرأة وخالتها، يقول (صلى الله عليه وسلم): (لَا تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ عَلَى عَمَّتِهَا، وَلا عَلَى خَالَتِهَا) (متفق عليه).

**أقولُ قولِي هذَا، وأستغفرُ اللهَ لِي ولكُمْ.**

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لاَ شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ سيدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عبدُه ورسُولُه، اللهُمَّ صَلِّ وسلمْ وَبارك عليهِ، وَعلى آلهِ وصحبهِ أجمعينَ، وَمن تَبعَهُمْ بإحسانٍ إِلىَ يومِ الدِّين.

**إخوةَ الإسلام:**

ونحن إذ نؤكد على مكانة السنة، وحجيتها، ومنزلتها في التشريع، فإننا – في الوقت نفسه– نفرق بوضوح بين ما هو من سنن العبادات، وما يندرج في أعمال العادات التي تختلف باختلاف الزمان، والمكان، وعادات الناس، مثل ما يتصل باللباس، ووسائل السفر، وغير ذلك مما

يرجع لأعراف الناس، فلكل عصر عاداته التي تختلف عن العصر الذي قبله، وليس من المعقول القول أن نحمل الناس على عادة معينة في السفر أو اللباس أو الطعام بحجة الاقتداء بالنبي ( صلى الله عليه وسلم)، فمرجع العادات إلى العرف وإلى ما يلائم العصر والبيئة، ما لم يخالف ثابت الشرع الشريف، فحين عد الإمام الشافعي (رحمه الله) غطاء الرأس من لوازم المروءة، كان ذلك مراعاة لظروف بيئته وعصره، واليوم لا غضاضة في ذلك ؛ لأن العرف والذوق لا ينكران ذلك.

ونؤكد أن أعدَى أعداء السنة نوعان ؛ أولهما: **المتاجرون بالدين، المحرفون له**، الذين يلوون أعناق النصوص لمآرب خاصة، فيسفكون الدماء، ويخربون باسم الدين، ويحسبون أنهم يحسنون صنعًا، والدين منهم براء، وهؤلاء هم المتنطعون الذين حذرنا منهم النبي (صلى الله عليه وسلم) في قوله: (هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ )، قَالَهَا ثَلَاثًا) [صحيح مسلم].

وعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ (رضي الله عنه)، أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، قَالَ: (إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ) [مسند الإمام أحمد].

وثانيهما: **الذين لم يأخذوا أنفسهم بنور العلم وأدواته**، وقد بين (صلى الله عليه وسلم) خطورتهم فقال (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا، وَأَضَلُّوا) [متفق عليه] فالسنة الشريفة بريئة من أي تطرف يجنح بها عن سماحتها، وعن وسطية الإسلام ومنهجه، وتطرف آخر ينكرها بالكلية،

حيث يقول (صلى الله عليه وسلم): (يُوشِكُ الرَّجُلُ يَتَّكِئُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يُحَدِّثُ بِحَدِيثِي فَيَقُولُ: بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَلَالًا اسْتَحْلَلْنَاهُ وَمَا كَانَ فِيهِ حَرَامًا حَرَّمْنَاهُ ، وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كَمَا حَرَّمَ اللَّهُ) [سنن الدارقطني].

إن الغلو والتفريط تطرف بعيد عن وسطية الإسلام ومنهجه، وظلم كبير للسنة النبوية التي تتسق كل الاتساق مع المقاصد العامة للقرآن الكريم، وبفهم مقاصدها نقف على المقاصد العامة لديننا الحنيف، وهو بلا شك عدل كله، رحمة كله، سماحة كله، تيسير كله، إنسانية كله، وأهل العلم قديمًا وحديثًا على أن كل ما يحقق هذه الغايات الكبرى هو من صميم الإسلام، وما يصطدم بها أو يتصادم معها إنما يتصادم مع الإسلام وغاياته ومقاصده.

ومن هنا يأتي دور العلماء المتخصصين في تقويم زيغ أهل الضلال والانحراف، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): ( يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ انْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ، وَتَحْرِيفَ الْغَالِينَ ) [مسند البزار].

إننا في حاجة ماسة إلى أن فهم السنة من خلال مقاصدها، ومراميها، وألا نجمد أو نتحجر عند ظواهر النصوص، دون فهم أبعادها ومقاصدها، ويتحقق ذلك بقراءة مقاصدية عصرية للسنة النبوية المشرفة، تتواكب مع روح العصر ومستجداته، وتقرب السنة النبوية العظيمة إلى الناس، هذا هو التجديد الذي تدعو إليه السنة المطهرة، حيث يقول (صلى الله عليه

**وسلم): (إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا) [سنن أبي داود].**

**اللَّهُمَّ وفقنا لفهم كتابك الكريم وسنة نبيك (صلى الله عليه وسلم) وعلمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما تعلمنا، واحفظ بلادنا، وسائر بلاد العالمين.**

* * *

# مفهوم العمل الصالح والعمل السيئ

الحمد لله رب العالمينَ، القائلِ في كتابه الكريم: {مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ} [فصلت: ٤٦]، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ، القَائِل فيما يرويه عن رب العزة (سبحانه وتعالى): (.. يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَن إِلَّا نَفْسَه) (صحيح مسلم)، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليَهِ وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ.

**وبعـــد**:

فقد كرم الله (عز وجل) الإنسان، فخلقه بيديه في أحسن تقويم، ونفخ فيه من روحه، وميزه بالعقل، وأسجد له ملائكته، وسخر له كل ما في الكون، وفضله على كثير من خلقه، حيث يقول سبحانه: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً}[الإسراء:٧٠]، ذلك أن الإنسان تحمل أمانة ثقيلة عرضت على السموات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ؛ إنها أمانة التكليف التي تقتضي السعي والعمل، وإعمار الأرض إلى جانب العبادة المفروضة، يقول تعالى: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[الجمعة : ١٠].

فالمسلم ينبغي أن يعلم أن كل ما يقوم به في حياته من عمل فهو في ميزان حسناته أو سيئاته، يقول (جل شأنه): {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه} [الزلزلة: ٧، ٨]، ويقول سبحانه: {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ} [آل عمران: ٣٠]، ومفهوم العمل يشمل: كل ما يقوم به الإنسان من قول، أو فعل، ويشترط في العمل الصالح أن يكون خالصا لله سبحانه، وأن يكون متقنا، يقول تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} [البينة: ٥]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (إِنّ الله يُحِبُ إذا عَمِل أحَدُكُم عَمَلاً أنْ يُتْقِنَهُ) (شعب الإيمان).

ولا شكَّ أن مفهوم العمل الصالح في الإسلام واسع، يشمل ما فرضه الله تعالى على عباده من صلاة، وصيام، وزكاة، وحج، وذكر، ونحوها، فتلك أساسيات لا بد للمسلم أن يقوم بها، حيث يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الحج: ٧٧].

ويقول سبحانه: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}[النور: ٥٦]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآنِ – أَوْ تَمْلأُ – مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَالصَّلاَةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ

ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ، فَمُعْتِقُهَا، أَوْ مُوبِقُهَا) (صحيح مسلم).

ومن الأعمال الصالحة التي ينبغي أن يتحلى به المسلم: **الصدق**، **وطيب القول**، **وإفشاء السلام**، وغير ذلك مما يجعل الإنسان يألف، ويؤلف، قال تعالى: {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [الإسراء: ٥٣]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ أَحبَّكم إليَّ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاقًا ؛ الْمُوَطَّئُونَ أَكْنَافًا، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ...) (المعجم الكبير للطبراني)، وبين النبي (صلى الله عليه وسلم) حال المؤمن في قوله: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ مَثَلَ الْمُؤْمِنِ لَكَمَثَلِ النَّحْلَةِ ؛ أَكَلَتْ طَيِّبًا، وَوَضَعَتْ طَيِّبًا، وَوَقَعَتْ فَلَمْ تَكْسِر، ولم تُفْسِدْ) (مسند أحمد).

والعمل الصالح ليس منحصرًا في جانب دون آخر ؛ بل كل ما يحقق القيم الإنسانية، ويسهم في بناء مجتمع مترابط، زكي النفس، تسوده الألفة والتعاون، وتعلوه قيم التسامح والحب والرحمة، فهو عمل صالح، فقد جعل الإسلام خروج الإنسان إلى عمله ليعف نفسه عن الحرام، ويكسب من عرقه قوت أولاده وأسرته عملا صالحا يثاب عليه، حيث عده النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) خروجًا في سبيل الله تعالى، فعندما مرَّ رجلٌ على النَّبيِّ (صلَّى اللهُ عليه وسلَّم) رجلٌ، فرأَى أصحابُ رسولِ اللهِ (صلَّى اللهُ عليه وسلَّم) من جلَدِه ونشاطِه، فقالوا: يا رسولَ اللهِ، لو كان هذا في سبيلِ اللهِ، فقال (صلَّى اللهُ عليه وسلَّم): (إن كَانَ خَرجَ يَسعَىَ عَلىَ ولدِه صِغارًا فَهُوَ فِي سَبيلِ اللهِ، وَإِن كَانَ خَرجَ يَسْعَى عَلى أبوَيْن شيخَيْن

كبيرَيْن فَهُوَ فِي سَبيلِ اللهِ، وإن كَان خَرجَ يَسعَى عَلى نفسِهِ يعفُّها فهو فِي سبيلِ اللهِ، وَإِن كَانَ خَرجَ يَسعَى رِيَاءً وَمُفاخَرةً فَهُوَ فِي سَبيلِ الشَّيطانِ) (المعجم الكبير للطبراني).

ولنا في رسول الله (صلى الله عليه وسلم) القدوة الحسنة ؛ حيثُ كان يعمل بنفسه، ويقوم على خدمة أهله، تقول أم المؤمنين السيدة عائشة (رضي الله عنها): كان رسول الله ( صلَّى الله عليه وسلَّم ) يَخصِفُ نعله، ويَخيط ثوبَه، ويعمل في بيته كما يعمل أحدُكم في بيته) (مسند أحمد)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (إِذَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ نفقَةً يحتَسبُها، فَهِي لَهُ صدقَةٌ) (البر والصلة للحسين بن حرب)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي) (سنن الترمذي).

ومن العمل الصالح أيضًا كل **ما ينفع الإنسان به غيره**، **قل أو كثر**، **ماديا كان أم معنويا**، يقول تعالى: {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}[النساء: ١١٤]، وقال (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ زَادَ لَهُ) (صحيح مسلم)، وحثَّ النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) على كثير من صور الخير، فقال (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ أَبْوَابَ الْخَيْرِ لَكَثِيرَةٌ: التَّسْبِيحُ، وَالتَّحْمِيدُ، وَالتَّكْبِيرُ، وَالتَّهْلِيلُ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَتُسْمِعُ الْأَصَمَّ، وَتَهْدِي الْأَعْمَى، وَتَدُلُّ الْمُسْتَدِلَّ عَلَى حَاجَتِهِ، وَتَسْعَى بِشِدَّةِ

سَاقَيْكَ مَعَ اللَّهْفَانِ الْمُسْتَغِيثِ، وَتَحْمِلُ بِشِدَّةِ ذِرَاعَيْكَ مَعَ الضَّعِيفِ، فَهَذَا كُلُّهُ صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ) (صحيح ابن حبان)، وكلها من قبيل العمل الصالح.

ومن ذلك: **البناء والإصلاح والتعمير**، فإن نظرة الإسلام إلى كل عمل يسهم في بناء مجتمع راق نظرة توقير وتمجيد، فقد ورد في القرآن الكريم نحو ثلاثمائة وستين آية تحدثت عن العمل، وذكر الله (عز وجل) لنا نماذج لمن كانوا يقومون بالأعمال الصالحة، يقول سبحانه: {هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا}[هود: ٦١]، وهذا يؤكد أن العاملين بالزراعة والصناعة والتجارة لهم عظيم الأجر على قدر ما يبذلون من جهد، إلى جانب الصناعات التي هي من مقومات الحياة، كصناعة الحديد، يقول تعالى: {وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ} [الحديد: ٢٥]، وصناعة السفن، يقول سبحانه: {فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا}[المؤمنون: ٢٧]، ويقول (جل شأنه) في صناعة الملابس والكساء: {وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ} [النحل: ٨٠]، ويقول تعالى: {وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ }[النحل: ٨١]، ويقول تعالى في صناعة الجلود: {وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ}[النحل: ٨١].

ولا يقتصر العمل الصالح على ما يعود نفعه على الناس ؛ وإنما يتعدى ليشمل ما يعود نفعه على الحيوان والجماد، فحين مرَّ رسولُ اللَّهِ (صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ) ببعيرٍ هزيل، قالَ: (اتَّقوا اللَّهَ في هذهِ البَهائمِ المعجَمةِ،

فاركَبوها صالِحةً، وَاتْرُكُوهَا صَالحةً) (رواية لأبي داود في شرح المشكاة للطيبي)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَه) (متفق عليه)، ويقول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ) (صحيح مسلم).

أما العمل السيئ، فيشمل كل عمل يغضب الله (عز وجل)، ويخرج بالإنسان من دائرة الإصلاح إلى الإفساد، فيبدأ من الابتعاد عن الطاعات المفروضة، واقتراف المنكرات والفواحش كعقوق الوالدين، والاعتداء على الأموال والأعراض.

ومن ذلك: تخلي الإنسان عن مسئوليته تجاه أسرته، وتقصيره في رعاية أبنائه، وعدم تربيتهم التربية الصالحة، يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا} [التحريم: ٦]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (كَفى بِالمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يقُوتُ) (سنن أبي داود).

ومنه: **الإفساد في الأرض**، بنشر الأفكار الهدامة، والإشاعات الكاذبة، وترويع الآمنين، قال تعالى: {وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا} [الأعراف: ٥٦]، ويقول تعالى: {إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}[المائدة: ٣٣]، ويقول سبحانه: {وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}[القصص: ٧٧]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (خيركُم منْ يرُجى خيرُه، ويؤمنُ شرُّهُ، وشرُّكم من لا يُرجى

خيرُهُ، ولا يؤمنُ شرُّهُ) (سنن الترمذي)، ومن ذلك أيضا: **الإضرار بالطرق**، فذلك إثم كبير، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم): (لاَ ضَررَ، وَلاَ ضِرَار ) (سنن ابن ماجه)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ آذَى الْمُسْلِمِينَ فِي طُرُقِهِمْ، وَجَبَتْ عَلَيْهِ لَعْنَتُهُمْ) (المعجم الكبير للطبراني).

ومنه: **ما يزرع الضغينة بين الناس، وما يسبب لهم أذى معنويا كان أم ماديا**، مثل: الغيبة، والنميمة، والسخرية، والاستهزاء، والتنابز بالألقاب، والسباب، والفحش في القول، وغير ذلك مما نهى الإسلام عنه، ويتنافى مع الأخلاق والفطرة السوية والسلوكيات الراقية المتحضرة، يقول (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ المَشَّاؤُونَ بِالنَّمِيمَةِ المُفَرِّقُونَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ المُلْتَمِسُونَ لِلْبُرَآءِ العَنَتَ) (شعب الإيمان ).

**أقولُ قولِي هذَا، وأستغفرُ اللهَ لِي ولكُمْ**

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لاَ شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ سيدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عبدُه ورسُولُه، اللهُمَّ صَلِّ وسلمْ وَبارك عليهِ، وَعلى آلهِ وصحبهِ أجمعينَ، وَمن تَبعَهُمْ بإحسانٍ إِلىَ يومِ الدِّين.

**إخوة الإسلام**:

إن لكل عمل يقوم به العبد آثاره التي تعود على صاحبها في الدنيا والآخرة، فمن ثمار العمل الصالح :

**طيب الحياة في الدنيا والآخرة**، حيث يقول (جل وعلا): {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل:٩٧].

ومنها: **استمرار الأجر بعد الموت**، قَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): ( سَبْعٌ يَجْرِي لِلْعَبْدِ أَجْرُهُنَّ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ: مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا، أَوْ كَرَى نَهَرًا، أَوْ حَفَرَ بِئْرًا، أَوْ غَرَسَ نَخْلًا، أَوْ بَنَى مَسْجِدًا، أَوْ وَرَّثَ مُصْحَفًا، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ) (مسند البزار).

ومنها: **تكفير السيئات**، **وتبديلها حسنات**، قال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ} [العنكبوت: ٧].

ومنها: **عظم الجزاء**، **وصحبة النبيين والصديقين والشهداء**، حيث يقول سبحانه: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا} [الكهف: ١٠٧]، وقال تعالى: { وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} [النساء: ٦٩].

وكما أن للعمل الصالح ثماره، فإن للعمل السيئ آثاره التي تقع على صاحبه في الدنيا والآخرة.

منها: **الضلال والحيرة والتخبط**، قال تعالى: {أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} [فاطر: ٨].

ومنها: **الحياة المضطربة غير المستقرة**، حيث يقول تعالى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا} [طه: ١٢٤].

ومنها: **سوء المصير يوم القيامة**، يقول تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا}

[النساء: ١٠]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (مَن أخذَ مِنَ الأرضِ شَيئًا بِغيرِ حَقّهِ خُسِفَ به يومَ القيامةِ إلى سبعِ أرضينَ) (صحيح البخاري)..

فما أحرانا أن نتمسك بكل خير نافع ، وأن نبتعد عن كل شر ضار، ونتواصى ونتعاون على الحق، يقول تعالى: {وَالْعَصْرِ * إِنّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلّا الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقّ وَتَوَاصَوْا بِالصّبْرِ}[سورة العصر كاملة].

اللهم إنا نسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وارزقنا الإخلاص والقبول، واحفظ مصرنا من كل سوء، وسائر بلاد العالمين.

* * *

# القيم الإنسانية في سورة الحجرات

الحمد لله رب العالمينَ، القائلِ في كتابه الكريم: {قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [الأنعام:١٦١] وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ، القَائِل: (إنّما بُعثتُ لأتمّمَ صالحَ الأخلاقِ) ( مسند الإمام أحمد) اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ.

**وبعــد**:

فقد حفل القرآن الكريم بالعديد من الآيات الكريمة التي تؤسس لمكارم الأخلاق، والقيم الراقية، بل إن هناك سورا كاملة جاءت مؤسسة لمجتمع إنساني راقٍ، كسورة الحجرات التي أرست مجموعة من القيم والأخلاق، منها: التبين **والتثبت** في الأمور كلها، وخاصة إذا كان هذا الأمر يتعلق بشئون الناس، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} [الحجرات: ٦] فالإسلام يبني كل شيء على اليقين، فهذا سيدنا سليمان (عليه السلام) حينما جاءه الهدهد بخبر الذين يعبدون الشمس من دون الله، ووصفه بالنبأ اليقين، لم يأخذ كلامه مُسَلَّمًا، وإنما تثبت، وتبين كما حكى القرآن ذلك على لسانه، قال تعالى: {قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ} [النمل: ٢٧ ] ويقول: (صلى الله عليه وسلم): (كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ) ( سنن أبي داود)، قَالَ النَّوَوِيّ (رحمه الله): فَإِنَّهُ يَسْمَع فِي الْعَادَة الصِّدْق

وَالْكَذِب، فَإِذَا حَدَّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ، فَقَدْ كَذَبَ لإِخْبَارِهِ بِمَا لَمْ يَكُنْ ) (شرح النووي لصحيح مسلم)، ولما دخل رجل على سيدنا عمر بن عبد العزيز (رحمه الله)، وذكر له عن رجل شيئًا، قال له: إن شئت نظرنا في أمرك ؛ فإن كنت كاذبًا، فأنت من أهل هذه الآية: {إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا}[الحجرات: ٦] وإن كنت صادقًا، فأنت من أهل هذه الآية: {هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ} [القلم: ١١] وإن شئت عفونا عنك، فقال: العفو يا أمير المؤمنين، لا أعود إليه. (الكبائر للذهبي)، فلو حرص كل منا على التثبت والتبين قبل إصدار الأحكام، أو قبل بث ونشر كل ما يصل إليه، لفقدت الإشاعة أثرها، ولأحجم مروجو الإشاعات عن نشرها بين الناس.

ومنها: **البعد عن الغيبة**، يقول تعالى: {وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ} [الحجرات: ١٢] وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، قَالَ: (أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟)، قَالُوا: (اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ)، قَالَ: (ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ)، قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: (إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتّهُ)،(صحيح مسلم)، وما أقدم الإنسان على الغيبة إلا لانشغاله بعيوب الناس عن عيوب نفسه، يقول (صلى الله عليه وسلم): (يُبْصِرُ أَحَدُكُمُ الْقَذَاةَ في عَيْنِ أَخِيهِ، وَيَنْسَى الْجِذْعَ فِي عَيْنِهِ) (صحيح ابن حبان).

بل إن الإنسان مطالب بأن يرد عن عرض أخيه حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ رَدّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ، رَدّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (مسند أحمد).

**ومنهــا**: **اجتنــاب اللمــز**، يقــول تعــالى: {وَلا تَلْمِـزُوا أَنفُسَـكُمْ} [الحجرات: ١١] أي ؛ لا يعب بعضكم على بعض، ويكون اللمز: بالقول، والهمز بالفعل، ونهى القرآن الكريم عنهما، يقول تعالى: {وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ} [الهمزة: ١] وهم الذين يطعنون في الناس، ويعيبون فيهم، ويدعونهم بما يكرهون من الأسماء والصفات، وهذا تحذير من همز ولمز الناس ووعد بهلاك شديد لمن يقع في هذا، وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ (رضي الله عنه)، قَالَ: (لَمَّا أُمِرْنَا بِالصَّدَقَةِ، كُنَّا نَتَحَامَلُ، فَجَاءَ أَبُو عَقِيلٍ بِنِصْفِ صَاعٍ، وَجَاءَ إِنْسَانٌ بِأَكْثَرَ مِنْهُ، فَقَالَ المُنَافِقُونَ: إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَدَقَةِ هَذَا، وَمَا فَعَلَ هَذَا الآخَرُ إِلَّا رِئَاءً، فَنَزَلَتْ: {الَّذِينَ يَلْمِزُونَ المُطَّوِّعِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[التوبة:٧٩] (صحيح البخاري).

ومنها: **عدم السخرية من الناس**، فالمؤمن الحق لا يسخر، يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا} [الحجرات: ١١] فقد نهانا ديننا عن كل ما يؤذي الآخرين، فمن صفات المسلم ألا يكون مؤذيا لأحد، ولا يأتي منه إلا الخير للناس، ونفع الإنسانية.

ولقد كان (صلى الله عليه وسلم) ينهى عن كل ما يؤذي المشاعر قولا، أو فعلا، أو إشارة، فكان (صلى الله عليه وسلم) يبث في الإنسان ما يرفع شأنه وفضله في أعين الناس، فعَنْ أُمِّ مُوسَى، قَالَتْ: ذُكِرَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ عِنْدَ عَلِيٍّ، فَذَكَرَ مِنْ فَضْلِهِ، ثُمَّ قَالَ: لَقَدِ ارْتَقَى مَرَّةً شَجَرَةً، أَرَادَ أَنْ

يَجْتَنِيَ لأَصْحَابِهِ، فَضَحِكَ أَصْحَابُهُ مِنْ دِقَّةِ سَاقِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): (مَا تَضْحَكُونَ؟ فَلَهُوَ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أُحُدٍ) (مسند أبي يعلى).

**أقولُ قولِي هذَا، وأستغفرُ اللهَ لِي ولكُمْ.**

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد ، وآله ، وصحبه ، والتابعين.

**إخوة الإسلام:**

إن من أعظم القيم التي دعت إليها سورة الحجرات **إعلاء مبدأ الأخوة والإصلاح بين الناس**، حيث يقول الحق سبحانه: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}[الحجرات: ١٠] فالإصلاح من أعظم القيم التي دعت إليها السورة الكريمة، والتي يدعو إليها ديننا الحنيف الذي يؤسس لمجتمع إنساني متماسك متسامح، ويعمل على إرساء قيمة العيش المشترك في جو من الألفة والتقارب، بعيدا عن التنازع، وهو علاج لكل مواطن النزاع والخلاف.

ففي إطار الأسرة يدعونا القرآن الكريم إذا ما وقع خلاف بين الزوجين، ولم يتمكنا من معالجته إلى إرسال من يتوسم فيه الصلاح من أهلهما للإصلاح بينهما، يقول تعالى: {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا}[النساء: ٣٥].

وتمتد هذه الروح الإصلاحية إلى المجتمع ليكون متصالحًا، حيثُ يقول الحق سبحانه: {لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء: ١١٤].

وقد بين النبي (صلى الله عليه وسلم) جزاء الإصلاح، وأثر فساد ذات البين في قوله (صلى الله عليه وسلم): (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ»، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «صَلَاحُ ذَاتِ البَيْنِ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ البَيْنِ هِيَ الحَالِقَةُ» وَيُرْوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «هِيَ الحَالِقَةُ لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ) (سنن الترمذي).

فالمؤمن الحقيقي يجعل من الإصلاح منهج حياة، فحيث نجده نجد الخير، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (إِنّ مِنَ النّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقَ لِلشّرِّ، وَإِنّ مِنَ النّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الشّرِّ عَلَى يَدَيْهِ)(سنن ابن ماجه).

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق، إنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها ، إنه لا يصرف عنا سيئها إلا أنت، واحفظ مصرنا، وسائر بلاد العالمين

* * *

## مفهوم الشهادة، ومنازل الشهداء

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ} [الحديد: ١٩]، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه ورسوله، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ.

**وبعد**:

فإن لله (عز وجل) عبادًا **اصطفاهم وخصهم بالشهادة**، حيث يقول تعالى: {وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ} [آل عمران: ١٤٠]، ولشرف مسمى الشهادة تعددت معانيها، فهم شهداء ؛ لأنَّ الله (سبحانه وتعالى) وملائكته (عليهم السلام) شهدوا لهم بالجنَّة، ولأنَّهم أحياء عند ربهم يرزقون، وشاهدون لما أعدَّه الله سبحانه لهم من النَّعيم، وشاهدون على صدق وعد الله تعالى إياهم، وغير ذلك من المعاني الطيبة التي تزيد اللفظ شرفا ورفعة، وتبين مكانة الشهداء عند ربهم، يقول تعالى: {وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ}[محمد: ٤ – ٦].

وليس أدعى للأمل في رحمة الله من إنسان بذل **روحه من أجل وطنه**، دافع عنه، ومات من أجله، فينال مرتبة الشهادة، وهي تجارة رابحة لن تبور، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: {إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ} [التوبة:١١١]، فمقام الشهادة من أعلى المقامات عند الله تعالى.

والشهادة في سبيل الله تعالى أقسام ؛ أعلاها منزلة، وأعظمها مكانة: **الشهاد في مواجهة العدو ؛ دفاعًا عن الوطن، وابتغاء مرضاة الله (عز وجل)**، حيث يقول (صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم): (لَيْسَ شَيءٌ أَحَبَّ إِلى اللَّه تعالى من قَطْرَتَين، وأَثَرَيْنِ ؛ قَطْرَةُ مِنْ دُمُوعٍ فِي خَشيَةِ اللَّه، وَقَطرَةُ دَمٍ تُهرَاقُ في سَبِيلِ اللَّه تعالى، وأما الأثران ؛ فأثر في سبيل الله تعالى، وَأَثَرٌ في فَرِيضَةٍ منْ فَرَائِضِ اللَّه تعالى)(سنن الترمذي).

وهناك ألوان من الشهادة لا تقل قدرًا ولا مكانة ؛ منها: كل من استشهد **في حماية وطنه، أو شيء من مقدراته، أو بسبب عمله على رفعته** ؛ كالشرطي الذي يحمي دور العبادة، والذي يحمي السائحين الذين يأتون لبلادنا، والذي يحمي الآثار ويحافظ عليها، فيستشهد بسبب إخلاصه في عمله، وحرصه على أدائه على الوجه الأكمل، وكل ما على شاكلة ذلك فهو في سبيل الله تعالى، كالموظف العام الذي يحرص على صيانة المال العام، فيستشهد بسبب ذلك.

وكذلك من قتل **دفاعا عن نفسه، أو عن غيره، أو عن عرضه أو عرض غيره، أو عن ماله، أو مال غيره**، فهو شهيد، يقول (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ) (سنن الترمذي)، فكل هؤلاء يحافظون على بلادهم ومقدراتها، ويحمون الأموال والأنفس والأعراض التي حرم الإسلام الاعتداء عليها، وأمر بحمايتها، والدفاع عنها، يقول (صلى الله عليه وسلم): (كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ ؛ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ) (صحيح مسلم).

ولأن الشّهادة منحة يَمنَحُها اللهُ (عز وجل) لأفضل الخلق بعد الأنبياء والرسل، فهم في أفضل المنازل يوم القيامة.

ومن ثمرات الشهادة: أنَّ الشهداء **لا يشعرون بالموت وشدته**، يقول (صلى الله عليه وسلم): (مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ القَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَسِّ القَرْصَةِ) (سنن الترمذي).

**ويأمنون من عذاب القبر وفتنته**، فقد قال رجل: يا رسول الله، ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إِلَّا الشَّهِيد؟ قال: (كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً) (سنن النسائي).

**ولا ينقطع عملهم الصالح أبدًا**: يقول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلاَّ الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللهِ، فَإِنَّهُ يُنْمَى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَيَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ) (سنن الترمذي).

**ولهم جزيل الأجر، وكريم العطايا**، فالشهيد ؛ (يَغْفِرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دُفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيُرَى مَقْعَدَهُ مِنْ الْجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنْ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ ) (سنن الترمذي).

كما أن الشهيد يبعث يوم القيامة مكرمًا تفوح منه رائحة المسك، يقول (صلى الله عليه وسلم): (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللهِ – وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ– إِلاَّ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ) (متفق عليه).

**أقولُ قولِي هَذَا، وَأستغفرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ.**

* * *

الحمـدُ للهِ ربِّ العـالمينَ، والصـلاة والسـلام علـى خـاتم الأنبيـاء والمرسلين ؛ سيدنا محمد، وآله، وصحبه، والتابعين.

**إخوة الإسلام**:

إن شـهداءنا الأبـرار مخلـدون في ذاكـرة الأمـة ؛ مثـالا للتضـحية، والرجولة، والشرف، والقدوة، وشاء الله (عز وجل) أن يمنحهم الحياة الحقيقية الأبدية التي لا مثيل لها، حيث يقول تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ*فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ} [آل عمران: ١٦٩– ١٧١]، يقول (صلى الله عليه وسلم): (أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً، فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا) (صحيح مسلم).

على أن من سأل الله (عز وجل)الشهادة بصدق وإخلاص بلغه الله تعالى منزلتها، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ) (صحيح مسلم)،

**فمن كان همه حماية دينه ووطنه والحفاظ على مقدرات بلاده، وقتل في سبيل ذلك، فهو شهيد.**

**فهنيئًا لمن اصطفاه الله تعالى للشهادة، فأكرمه برفقة الأنبياء والصديقين والصالحين ، وأنعم بها من رفقة، حيث يقول سبحانه: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} [النساء:٦٩].**

**اللهم ارحم شهداءنا، واحفظ مصرنا، وسائر بلاد العالمين.**

* * *

## فهرس الموضوعات

* * *